

الـدورة "10" Edition

الخط الفاسي (المجوهر) ببلاد المغرب ودور مدينة فاس في تطوره

تاريخه، صوره، رموزه، وعلاقته بتطور الخط المغربي عبر محطاته التاريخية

د.محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني



الخطّ العربي.. مدن وتاريخ

الندوة الفكرية المصاحبة

دائرة الثقافة الشارقة

ملتقى الشارقة للخطّ
الدورة العاشرة «ارتقاء»

الخط الفاسي (المجوهر)

ببلاد المغرب ودور مدينة فاس في تطوره

تاريخه، صوره، رموزه، وعلاقته بتطور الخط المغربي عبر محطاته التاريخية

د.محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني



الخطّ العربي .. مدن وتاريخ

الندوة الفكرية المصاحبة

إصدارات دائرة الثقافة ـ حكومة الشارقة 2022م



الدورة العاشرة (ارتقاء) 2022م

الناشر: دائرة الثقافة ـ حكومة الشارقة ـ دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 0097165123333
براق: 0097165123303
بريد إليكتروني: sdc@sdc.gov.ae

الطبعة الأولى 2022م

اللجنة المنظمة للندوة الدولية:
إسلام أبو شكير منسقاً
مريم المهيري عضواً

تصميم الغلاف: محمد باعشن
الإخراج الفني: عائشة السويدي - موزة ساحوه
تدقيق لغوي: إسلام أبو شكير

ISBN: 9789948811664

- أ. بسام محمد ديوب

محور بلاد الشام

- أ. خالد الجلاف

محور الإمارات

- د. خوسيه ميغيل بويرتا

محور الأندلس

- د. صلاح الدين شيرزاد

محور العراق والدولة العثمانية

"ضيف شرف الملتقى، ومشارك في الندوة الدولية"

- د. محمد حمزة إسماعيل الحداد

محور مصر

- د. محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني

محور المغرب العربي

الخط العربي .. مدن وتاريخ

لم يكن مقدّراً للخطّ العربي أن تكون له سيرورته الممتدة عبر الزمان فقط، بل عبر المكان أيضاً . فكما كانت له مراحل في الزمان تشكّل خلالها، ونما، ونضج، وتحوّل، وتطوّر، فقد كانت له محطّاتٌ في المكان أيضاً، حيث غرس جذوره عميقاً في تربته، ومدّ أغصانه بعيدا في سمائه، متفاعلا مع عناصره، أخذاً وعطاءً، ليكون في النهاية جزءاً منه، يعكس هويته وثقافته وشخصيته .

هل يمكن القول إذاً إنّ الخط العربي هو نقطة التقاء بعدي الجغرافيا، والتاريخ؟ الأرجح أن الأمر على هذا النحو فعلا، فالخطّ العربي في رحلته الطويلة زماناً، والواسعة مكاناً، تمكّن من أن يحرّر ذاته من القيود التي فرضتها عليه نشأته الأولى من حيث هو أداةٌ للسيطـرة على الصوت اللغويّ العـابر

الطارئ المتلاشي، وتثبيته عبر رمز يمكن استعادته والاستفادة منه متى مسّت الحاجة إلى ذلك؛ باتّجاه الاشتغالات الفنّية الجمالية المجرّدة عن الغرض النفعيّ الضيّق المباشر.

هذا التحوّل الكبير الذي عاشه الخط العربي، بانتقاله من حالة الأداء الوظيفي النفعي إلى حالة الأداء الفنّي الرحب، كان - بكل تأكيد - ثمرةً لرحلة تاريخية غنية ومعقدة، لكنه كان أيضاً نتيجة لتأثيراتٍ تركها عليه مروره في أماكن وأقاليم ومدن معيّنة، ولا أدلّ على ذلك من التمايزات التي لا يصعب تلمّسها فيه وهو يعيش تجربته في هذا المكان أو ذاك.

الندوة المصاحبة لأعمال ملتقى الشارقة للخطّ - الدورة العاشرة "ارتقاء"، والذي تنظّمه إدارة الشؤون الثقافية في دائرة الثقافة في الشارقة، حاملةً عنوان: "الخط العربي - مدن وتاريخ"، تسعى إلى الإضاءة على هذا الجانب: خصوصيّة التجربة الفنّية الخطّية العربية في علاقتها بالمكان.

أسئلة ساخنة ومفتوحة يقود إليها مثل هذا البحث، لا سيّما أنّ المكان هنا لا يتمّ تناوله بوصفه إطاراً جغرافياً ضيّقاً ومحدوداً، بل بما هو فضاء حضاري ثقافي غني، ما يعني أنّ الخطّ بعناصره ومدارسه واتّجاهاته حالة ثقافية هو الآخر، وبتحليلها وتفكيكها يمكن الوصول إلى حقائق عميقة وجوهريّة تمسّ طبيعة المكان نفسه.

منسّق الندوة

الخط الفاسي (المجوهر) ببلاد المغرب ودور مدينة فاس في تطوره

تاريخه، صوره، رموزه، وعلاقته بتطور الخط المغربي عبر محطاته التاريخية

د. محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني

بادئ ذي بدء، لابد أن نميز بين **"الخط الفاسي"** الذي كان خطا تحريريا استُعمل في تحرير الكتب العلمية والمراسلات السلطانية؛ وهو (الخط المجوهر) الذي كانت صور حروفه معلومة، وبين **"القلم الفاسي"** الذي كان (قلما حسابيا) تُستعمل فيه صور حروف الخط المجوهر استعمالا وظيفيا في حساب التركات والمواريث، حيث يرمز كل حرف من حروفه إلى قيمة عددية أو حسابية محددة. وحتى نربط تسمية: **"الخط الفاسي"** بسياقها التاريخي، نشير إلى أنها تتعلق ببداية العصر الحديث في المغرب، وتحديدا بعصر "الدولة السعدية" أو"الدولة الزيدانية"[1]، التي استطاعت أن تحافظ على استقلال

---

[1] - شاعت تسمية **"السعديين"** في المصادر التاريخية المغربية، لكن هذا الأمر؛ لم يمنع من استعمال تسميات أخرى في وثائقهم الرسمية؛ مثل: **"ملوك بني زيدان"**، **"الدولة الزيدانية"**، **"المملكة الحسنية"**، **"الإيالة الهاشمية"**، **"الإيالة العلوية"**، **"الإيالة الشريفة"**. عن تسمية الدولة السعدية؛ انظر:

- الإفراني (محمد الصغير)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1998م، ص: 35 - 36.

- رسائل سعدية، تحقيق: عبد الله كنون، نشر معهد مولاي الحسن - دار الطباعة المغربية، تطوان، 1954م، صفحات: 66 - 75 - 78 - 109 - 111 - 122 - 198.

المغرب عن التبعية للدولة العثمانية، لتكون بذلك هذه الدولة هي الناقل الحضاري الوحيد لتراث الغرب الإسلامي، والوارث الشرعي لتراثه وعوائده وفنونه، خاصة بعد سقوط الأندلس سنة: 897هـ/1492م، ودخول كافة دول شمال إفريقيا إلى حدود الجزائر تحت سيادة العثمانيين منذ سنة: 922هـ/1516م، ولأن العثمانيين كانوا ينعتون المغرب السعدي بـ: **"دولة فاس"**؛ فقد تم وسْم الخط المغربي خلال هذا العصر بتسمية: **"الخط الفاسي"**، باعتباره **"وحدة"** قائمة بذاتها تنضوي تحته عدة خطوط وأصناف تمثله، وذلك لتمييزه عن الخط المشرقي الذي كان هو الآخر **"وحدة"** تتفرع منها عدة خطوط وأصناف مشرقية من بينها؛ الخطوط الديوانية العثمانية الهمايونية التي فُرِضت على سائر الإيالات العثمانية بما في ذلك الإيالات الشمال إفريقية؛ ليبيا وتونس والجزائر. ولأن **"الخط المجوهر"** أيضا كان هو الخط الأكثر إقليمية بالمقارنة مع الخطوط المغربية الأخرى؛ وذلك بالنظر إلى اعتماده خطا "ديوانيا" رسميا في تحرير المكاتبات والمراسلات السلطانية بالمغرب، وكذا اعتماده خطا "نساخيا" أو "وراقيا" في نسخ الكتب العلمية وأعمال الوراقة، فضلا عن اعتماده خطا "تعليميا" في تدريس العلوم الشرعية بجامعة القرويين بفاس وهي أقدم جامعة عالمية؛ فإنه كان من الطبيعي أن ينال صفة إقليمية محدَّدة، وتسمية مُميِّزة، تُميِّزه عن غيره من الخطوط، ألا وهي تسمية: **"الخط الفاسي"**، حيث نُسب إلى "مدينة فاس" مهد جامعة القرويين، كما نُسب أيضا إلى "دولة المغرب الأقصى" وهي: "دولة فاس" كما كان يعرّفها العثمانيون منذ العصر السعدي.

فكيف ظهر الخط الفاسي في مدينة فاس خصوصا وبلاد المغرب عموما؟ وما هي الظروف التاريخية التي أسهمت في تطوره؟ وما علاقة ذلك التطور بظهور الخطوط المغربية الأخرى في الغرب الإسلامي وتسلسلها عبر محطاتها التاريخية؛ بدءا بالقيروان، ومرورا بقرطبة ومراكش، ثم انتهاء بمدينة فاس التي ارتبط بها الخط الفاسي ارتباطا سببيا؟ وعلى ذكر مدينة فاس، نتساءل قائلين: كيف أسهم استعمال هذا النوع من الخط بالمدينة المذكورة في تطوره فنيا ووظيفيا؟ وما هي مجالات استخداماته وأسرار استعمالاته؟ ثم كيف نفسر تصدير هذا الخط من مدينة فاس إلى كافة المدن الأخرى؟ وما هو دور جامعة القرويين في ذلك؟ وكيف نفسر أيضا اعتماد الخط الفاسي خطا "ديوانيا" رسميا في الدواوين السلطانية، وخطا "تعليميا" في المؤسسات التعليمية وعلى رأسها جامعة القرويين، وخطا "نساخيا" في حرفة الوراقة؟ ذلك ما سنحاول الإجابة عنه من خلال بعض الشهادات المصدرية والشواهد المادية.

1 - المحطات التاريخية لتطور الخطوط المغربية وصولا إلى الخط الفاسي:

إن الحديث عن الخط الفاسي، يقتضي بالضرورة رصد تطور الخطوط المغربية التي تأثرت في تطورها بعدة **"مدارس إقليمية"** كانت موجودة في الغرب الإسلامي منذ ما قبل العصر المريني إلى حدود نهاية العصر الوسيط، ويمكن ربط تلك المدارس الإقليمية بمحطات تاريخية تنسجم وتتلاءم مع طبيعة التحولات السياسية التي شهدها الغرب الإسلامي، والتي ترتب عنها تحول مركز الثقل الديني و السياسي من مدينة إلى أخرى ومن صقع إلى آخر، وذلك تبعا لنظرية قيام

وسقوط الدول التي تحدث عنها ابن خلدون في مقدمته، والتي كانت ترتكز على كل من (الدعوة الدينية) و(العصبية القبلية)؛ ويمكن حصر تلك المحطات التاريخية في محطات ثلاث؛ هي:

1 - 1 - محطة القيروان/ ظهور الخط القيرواني وعلاقته بتأسيس جامع القيروان بإفريقية (تونس) خلال عصر الفتح الإسلامي وعصر ولاة بني أمية:

ترتبط هذه المحطة التاريخية بمدينة القيروان التي أسسها عقبة بن نافع الفهري (ت.63هـ/683م) سنة: 50هـ/670م خلال عصر الفتح الإسلامي وعصر الولاة (ولاة بني أمية) في الغرب الإسلامي، وشهدت تطور **"الخط الكوفي القديم"**[2]، أو ما يعرف في المصادر التاريخية بـ: **"خط الجزم"**[3]، وهو الخط الذي ظل مفضلا في

---

[2] - يشير الباحاثة يوسف ذنون إلى أن: **"الخط الكوفي ليس كوفيا"**. لأنه - وبكل بساطة - قد **"سبق الكوفة والإسلام"**؛ **"كشخصية خطية"** تمتد وتُستمد من خط الجزم. لكنه كتسمية مُميِّزة؛ لم يرد للدلالة على مصطلح لمجموعة خطوط؛ إلا في القرن الرابع الهجري عند أبي حيان التوحيدي (310 - 414هـ/922 - 1023م) الذي انفرد بهذا المصطلح، بدليل أن معاصريه كابن البواب (350 - 413هـ/961 - 1022م)، وابن النديم (ت.438هـ/1047م)، لم يوردوا هذه التسمية أو ما يشير إليها.

وبرجوعنا إلى رسالة أبي حيان التوحيدي، وهي: **"رسالة في علم الكتابة"**، وجدناه فعلا، يتحدث عن الخط الكوفي، حيث يقول: **"..وكانت العبرة في زمانهم بتعيين قواعد الخط الكوفي بأنواعه، وهي اثنا عشرة قاعدة.."**. انظر: - التوحيدي (أبو حيان)، رسالة في علم الكتابة، نشرت ضمن كتاب: "ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي"، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، 1951م، ص: 29.

- ذنون (يوسف)، قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، مجلة المورد، من إصدار دار الشؤون الثقافية، بغداد، عدد: 1986م، صفحات: 11 - 12 - 13.

[3] - **"الجَزْمُ في الخَطِّ: تسوية الحروف، والقلم لا حَرْفَ له [أي: مبسوط غير محرف]، وهذا الخط المُؤَلَّفُ من حروف المعجم [سُمّي بذلك]، لأنه جُزِمَ، أي: قُطِعَ عن خط حمير"**. انظر:

- الفيروز آبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، تحت إشراف محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة: 2005م، ص: 1088.

وفي هذا الشأن؛ يذكر ابن دريد (223 - 321هـ/838 - 933م) في: **"أماليه"** نقلا عن عوانة أن **"الخط المسند"** كان سائدا في مكة، فحلّ محلّه **"خط الجزم"** بعدما انتقل إليه من دومة الجندل في مراحل لاحقة. يقول ابن دريد في ذلك: **"أول من كتب بخطنا هذا، وهو الجزم، مرامر بن مرة وأسلم بن جدرة الطائيان، ثم علموه أهل الأنبار، فتعلمه بشر بن عبد الملك أخو اكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل، وخرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، فعلم جماعة من**

كتابة المصاحف الشريفة، حتى بعد ظهور "الأقلام الموزونة" في صدر الدولة الأموية[4]، و"الخطوط المنسوبة" خلال عصر

أهل مكة، فلذلك كثر من يكتب بمكة من قريش، فقال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يَمَنّ على قريش بذلك:

لا تجحدوا نعماء بشر عليكمو	**فقد كان ميمون النقيبة أزهرا**
أتاكم (بخط الجزم) حتى حفظتمو	**من المال ما قد كان شتى مبعثرا**
وأتقنتمو ما كان بالمال مهملا	**وطامنتمو ما كان منه منفرا**
فأجريتم الأقلام عودا وبدأة	**وضاهيتمو كُتّاب كسرى وقيصرا**
وأغنيتمو عن (مسند) الحي حمير	**وما زبرت في الصحف أقيال حميرا**

- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي)، تعليق من أمالي ابن دريد، تحقيق: السيد مصطفى السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، قسم التراث العربي، السلسلة التراثية رقم: 10، الطبعة الأولى: 1984م، ص: 226 - 227.

وقد سُمي خط الجزم بهذا الإسم؛ لأنه جُزم - أي قطع - من الخط "**المسند الحميري**" الذي كان سائدا في اليمن وفي كافة بلدان شبه الجزيرة العربية منذ القرنين التاسع والعاشر قبل الميلاد، ولعل قِدم هذا الخط واستعماله في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، هو ما دفع يوسف ذنون إلى تسميته بـ: "**كوفي العصر الجاهلي**". انظر: - ذنون (يوسف)، الكتابة وفن الخط العربي. النشأة والتطور، سلسلة الفن الإسلامي (1)، دار النوادر، سورية - لبنان - الكويت، الطبعة الأولى: 2012م، ص: 232.

[4] - ارتبطت تسمية أصناف الخط العربي في بداياته الأولى بـ: "**الأقلام**" عوض "**الخطوط**"، حيث كانت تستعمل كلمة: "**قلم**" للدلالة على "نوع" من الخطوط تبعا لشكله أو حجمه، منذ صدر الدولة الأموية، وتحديدا في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي (86 - 96هـ/705 - 715م)، وهو ما أطلق عليه الخطاط الأموي الشهير: قطبة المحرر (ت.154هـ/770م)، تسمية: "**الأقلام الموزونة**"، وقد تحدث ابن النديم (ت.438هـ/1047م) في كتابه: "**الفهرست**"عن تطور هذه الأقلام إلى حدود سنة: 438هـ/1046م. وسُميت: "الأقلام الموزونة" بهذا الإسم، لأنها كانت توزن بعدد الشعرات التي تقاس بها قطة القلم، وكان أضخمها على الإطلاق "**قلم الطومار**"، وهو أجلّ الأقلام، ولذلك سمي أيضا بـ: "**القلم الجليل**"، ويذكر ابن النديم أن هذا القلم كان "**لا يقوى عليه أحد إلا بالتعليم الشديد**". انظر: - ابن النديم (محمد بن إسحاق البغدادي)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1997م، ص: 18 - 19.

وقد كان حجم قطة الطومار يبلغ 24 شعرة، فكانت تسميات الأقلام الأخرى ترتبط بنسبة وزنها من وزن قلم الطومار كقلم النصف (12 شعرة) وقلم الثلث (8 شعرات). وهكذا.. وكانت تلك الأقلام تُقاس بشعر "البرذون" وهو نوع من الخيول الأعجمية، حيث كان كل قياس يتناسب مع أحجام الأوراق المستعملة للكتابة، كما يتلاءم مع طبيعة الاستخدام الإداري وكذا طبيعة النصوص الإدارية المخصص لكتابتها، وفي هذا المعنى يقول القلقشندي (756 - 821هـ/1355 - 1418م) في كتابه: "**صبح الأعشى**": كل "**الأقلام منسوبة من نسبة قلم الطومار في المساحة، وذلك أن قلم الطومار الذي هو أجل الأقلام مساحة، عرضه أربع وعشرون شعرة من شعر البرذون.. وقلم الثلث منه بمقدار ثلثه وهو ثمان شعرات، وقلم النصف بمقدار نصفه وهو اثنتا عشرة شعرة، وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه وهو ثمان عشرة شعرة**". انظر:

- القلقشندي (أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل، نشر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 1987م، ج/3، ص: 53.

الدولة العباسية[5]، فسُمّي - تمييزا له - بـ: **"الخط المصحفي"**، أو**"الخط الكوفي المصحفي"**، أو**"كوفيّ المصاحف"**، أو**"الخط الكوفي القديم"**.

وقد تطور هذا الخط في مدينة القيروان من خلال مؤثرات إقليمية أسهمت في تغيير بعض صور حروفه، لينبثق منه خط جديد سيعرف فيما بعد بـ: **"الخط الكوفي القيرواني"** والذي أصبح - في تلك المرحلة - الخط الرسمي لكتابة المصاحف في مجموع بلدان الغرب الإسلامي[6].

---

[5] - لم تستعمل المصادر التاريخية كلمة: **"خط"** إلا من خلال بعض الأصناف والأنواع التي ابتكرها صاحب كتاب: **"تحفة الوامق"**؛ إسحاق بن إبراهيم البربري (أو اليزيدي) الملقب بـ: "الأحول المحرر"، بدلاً من كلمة: **"قلم"** التي كانت سائدة للدلالة على تسميات لقياسات مختلفة من الأقلام، ومعلوم أن الأحول هذا هو تلميذ إبراهيم الشجري (أو السجزي).(200هـ/815م). الذي انتهت إليه مدرسة كل من "الضحاك بن عجلان الشامي" (أول خطاط في الدولة العباسية)، و"إسحاق بن حماد" من بعده (12 قلما)، حيث أكمل هذان الخطاطان العباسيان ما بدأه قطبة المحرر (4 أقلام) في صدر الدولة الأموية فيما يتعلق باشتقاق الأقلام بعضها من بعض.

ومعلوم أيضا أن الأحول هو أستاذ الخطاط والوزير العباسي الشهير ابن مقلة (272 - 328هـ/886 - 939م) الذي وضع لنا **"الخطوط المنسوبة"** وهندستها التي استندت على قانون التناسب بين "الخط" و"النقطة" و"الدائرة"، لتحل نهائيا محل **"الأقلام الموزونة"**. فعُوّضت - تبعا لذلك - **"الأقلام"** بـ: **"الأصناف"** أو **"الخطوط"**، حيث اختزلت "الأقلام المتعددة" في "ستة أصناف"، كل صنف منها انفرد بسماته الجمالية وبنيته الهندسية، وهي الأصناف التي اصطلح على تسميتها بـ: "الخطوط الستة": **"الثلث، والريحان، والتوقيع، والمحقَّق، والنسخ، والرقاع"**. انظر:

- ابن النديم، الفهرست، ص: 19 - 20.

- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي)، معجم الأدباء؛ المسمّى: **"إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1993، ج/2، ص: 617.

[6] - (هو الكوفي القيرواني ذو الحروف المستطيلة المزوّاة)، لأنه ولد في القيروان عاصمة المغرب آنذاك، خلال أوائل القرن الثاني الهجري، حيث اقتُبس من الخط الكوفي ذي الصفات الهندسية مباشرة، ولم يُقتبس من الخط الحجازي اللين (المكي والمدني)، الذي اقتبست منه الخطوط اللينة المستعملة في المشرق. انظر: - مرزوق (محمد عبد العزيز)، المصحف الشريف - دراسة تاريخية فنية، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد: 20، سنة: 1970م، ص: 95.

وقد عرف الخط الكوفي عند دخوله إلى بلاد الغرب الإسلامي عدة محطات تاريخية أسهمت في تطويره وتليينه، وتعد المدرسة القيروانية أولى تلك المحطات التي أسهمت في تجويد صوره من خلال تأثيرات محلية أسهمت في ظهور لون جديد اصطلح على تسميته بـ: **"الخط الكوفي القيرواني"**، وخاصية هذا الخط أن تظهر حروفه قصيرة وقريبة من بعضها على خط التناسق والارتكاز، وهو خط كوفي بتأثيرات إقليمية، ينقسم إلى نوعين: مبكر ومتأخر:

وقد كان الجامع الأعظم بمدينة القيروان، مركزاً ثقافياً يضم مدرسة يمكن اعتبارها - إلى حد ما - أول مدرسة للخط العربي ببلاد الغرب الإسلامي؛ حيث تم فيها نَسخ العديد من المصاحف التي كُتبت بالخط الكوفي القديم، إلى جانب مصاحف أخرى كُتبت بالخط الكوفي القيرواني المشتق منه، والذي يبدو أكثر تقليداً ومحافظةً، كما يتميَّز بوجود الاستدارات النصفية تحت الخطِّ القاعدي للكتابة، وهي الاستدارات التي يمكن اعتبارها في تلك المرحلة من أولى ملامح التليين في الخط الكوفي القيرواني[7].

1 - 2 - محطة قرطبة - مراكش/ ظهور الخط القرطبي أو الخط الأندلسي، وعلاقة تطوره بنسخ المصاحف، وتدوين الدواوين، وتأسيس مدارس تعليم الخط، في كل من الأندلس والمغرب خلال عصر الدولة الأموية بالأندلس وعصر الدولتين المرابطية والموحدية بالمغرب:

ترتبط هذه المحطة التاريخية بانتقال الفرع الأموي: "عبد الرحمن بن معاوية" (عبد الرحمن الداخل).(138 - 172هـ/756 - 788م) من المشرق إلى المغرب عقب إفلاته من العباسيين، حيث دخل الأندلس سنة: 138هـ/756م، وأسّس فيها دولة أموية ثانية بعد سقوط الخلافة الأموية الأم في المشرق على يد العباسيين سنة: 132هـ/750م، لينقل بذلك إليها إرث الأمويين الحضاري والفني، ومن ثم جرى

---

* __المبكـر:__ وهو الذي كان شائع الاستعمال في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، وغالبا ما كان يُشْكل على طريقة أبي الأسود الدؤلي.

* __المتأخـر:__ وهو الذي شاع استعماله في أواخر القرن الرابع الهجري والقرن الذي يليه، وعادة ما كان يُضاف له الشكل وعلامات الترقيم التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي. انظـر:

- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، الخط العربي في بلاد المغرب. شهادات مصدرية وشواهد مادية، إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة: 2021م، ص: 267 - 268.

[7] - محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط العربي في بلاد المغرب، ص: 48.

استعمال: "**الخط الشامي**" إلى جانب كل من "**الخط الكوفي القديم**" و"**الخط الكوفي القيرواني**"، وهما الصنفان اللذان كانا سائدين قبل ذلك في مجموع بلدان الغرب الإسلامي إبّان عصر الولاة.

لكن وبسبب الخصوصيات الفنية المستقلة للغرب الإسلامي؛ تم الاقتصار على "الخط الكوفي القديم" و"الخط الكوفي القيرواني" من قِبل أهل الغرب الإسلامي، الذين كانوا ينظرون للخط الأول نظرة تقديس لارتباطه بالمصاحف الأولى التي أتت مع الفاتحين، كما كانوا ينظرون للخط الثاني نظرة اعتزاز لأنه أول خط إقليمي خاص بهم ظهر بمنطقة الغرب الإسلامي، لذلك فإنهم لم يجدوا أية غضاضة في الاستغناء عن "الخط الشامي" الذي أدخله أمويو الأندلس، وهو الاستغناء الذي سيصير واقعا منذ عهد عبد الرحمن الناصر الأموي (300 - 350هـ/912 - 961م) الذي تلقب بلقب الخلافة منذ سنة: 317هـ/929م، نتيجة ضعف الخلافة العباسية في بغداد وانحصار سلطتها في حيز جغرافي ضيق بالعراق[8]، مما

[8] - تولى "عبد الرحمن الناصر" الإمارة سنة: 300هـ/913م، وفي سنة: 317هـ/929م تلقب بلقب الخلافة، فدام حكمه 50 سنة إلى أن توفي في سنة: 350هـ/961م، ويعزى ذلك إلى ضعف الخلافة العباسية في بغداد وانحصار سلطتها في حيز جغرافي ضيق بالعراق، كما يُعزى أيضا إلى ظهور الفاطميين - العبيديين في إفريقية (تونس). هؤلاء الذين استطاعوا التوسع شرقا وغربا، فضموا كلا من المغرب ومصر، بل وأعلنوا قيام خلافة جديدة أساسها المذهب الشيعي، تحت اسم: "الخلافة الفاطمية"، وهو ما مثل تهديدًا عسكريًا ودينيا للأمويين بصفة خاصة، وللأندلس بصفة عامة. يقول الحميدي: "**فليس منهم [أي: الأمويون في الأندلس] أحد تسمى بإمرة المومنين، وإنما كان يسلم عليهم ويخطب لهم بالإمارة فقط، وجرى على ذلك عبد الرحمن بن محمد إلى آخر السنة السابعة عشر من ولايته، فلما بلغه ضعف الخلافة [العباسية] بالعراق في أيام المقتدر وظهور الشيعة [الفاطميين] بالقيروان، تسمى عبد الرحمن بأمير المومنين وتلقب بالناصر لدين الله**". انظـر: - الحميدي (محمد)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966م، ص: 12 - 13.

وأول من دعى لعبد الرحمن الناصر بالخلافة على المنابر، القاضي: "أحمد بن أحمد بن بقي بن مخلد"، وكان ذلك - على وجه التحقيق - في يوم الجمعة بالمسجد الجامع بقرطبة، في مستهل ذي الحجة 316هـ/15يناير929م، فصدر الأمر إلى كل الولاة والقادة بإعلان ذلك المرسوم في سائر المدن الأندلسية.

سيقوي الطابع الإقليمي لمنطقة الغرب الإسلامي في كافة تجلياتها وعوائدها الحضارية؛ بما في ذلك علم الخط أيضا.

وقد ترسّخ الطابع الإقليمي للخط بشكل كبير في عهد ابنه - من بعده - الحَكَم المستنصر (350 - 366هـ/961 - 976م) الذي كان يشجع الخطاطين رجالا ونساء على نسخ المصاحف بالخطوط الكوفية القديمة التي كانت سائدة قبل ذلك في القيروان، وذلك للتعبير عن شرعية خلافته واستقلاله السياسي عن الخلفاء العباسيين، الذين استبدلوا تلك الخطوط المصحفية القديمة بـ: "**الخط المنسوب**" الذي أبدعه الوزير العباسي الشهير ابن مقلة (272 - 328هـ/886 - 939م). وفي هذا الشأن؛ يذكر ابن فياض انه كان في عهد هذا الخليفة الأموي "**بالرَّبض الشرقي من قرطبة؛ مائة وسبعون امرأة، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي؛ هذا ما في ناحية من نواحيها، فكيف بجميع جهاتها ؟!**"[9].

وقد طوّر أهل الأندلس "**الخط الكوفي القيرواني**" - على وجه التحديد - باعتباره خطا إقليميا ينتمي إلى منطقة الغرب الإسلامي، وأدخلوا عليه ليونة رائقة، ميّزته عما كان عليه من ذي قبل، وبالتالي إنتاج خط جديد منبثق عنه، سيسمى فيما بعد بـ "**الخط القرطبي**" أو"**الخط الأندلسيّ**" تحديدا[10].

بل وحتى في بعض المدن المغربية التي نجح الناصر في عقد مجموعة من التحالفات مع بعض أمرائها الأمازيغ المعادين للفاطميين، وعلى رأسهم: "موسى بن أبي العافية" أمير مكناسة، الذي استطاع - وبعد استتباب الأمر له - أن يهزم جيشا أرسله: "عبيد الله الفاطمي" لغزو المغرب سنة: 321هـ/933م. للتوسع في ذلك: انظــر: - المراكشي (ابن عذاري)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنصال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة: 1983م، ج/2، ص: 198. وأيضا ص: 204.

[9] - المراكشي (عبد الواحد بن علي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دراسة وتحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، نشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى: 2006م، ص: 266 - 267.

[10] - عبد اللطيف (محمد الصادق)، الخط الأندلسي... تاريخ... وفكر... ومسيرة، مجلة التاريخ العربي، عدد: 15، صيف 2000م، ص: 269.

وبخصوص هذا الأمر؛ يشير محمد المقدسي المعروف بـ: "البشاري" (336 - 380هـ/947 - 990م) الذي ألف كتابه: "**أحسن التقاسيم**"، في سنة: 370هـ/980م[11]، إلى أن أهل الأندلس تفننوا في تجويد صور الخط اللين، حيث يقول في ذلك: "**وأهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة خطوطهم مدوّرة**"[12].

وقد كان هذا الخط مظهراً من مظاهر الإرهاصات الأولية لاستقلال الخطوط في الأندلس والمغرب عن نظيرتها في المشرق بشكل نهائي، حيث اتخذ الخط في الغرب الإسلامي مسارا تطوريا خاصا به، ليصل ذروته خلال العصر المريني بالمغرب، فتفرعت أصنافه وتنوعت أساليبه، وقد عبر ابن خلدون (732 - 808هـ/1332 - 1406م) خلال عصر الدولة المرينية - التي دخل في خدمتها - عن هذا الاستقلال الفني للخط بنص قوله: "**وتميز ملك الأندلس بالأمويين، فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط، فتميز صنف خطهم الأندلسي، كما هو معروف الرسم لهذا العهد [يقصد خلال العصر المريني]**"[13].

والواقع أن الخط اللين الذي عُرف في الأندلس سُمّي في البداية بـ: "**الخط القرطبي**" نسبة إلى قرطبة عاصمة أمويي الأندلس؛ لأن هؤلاء استعملوه في تدوين دواوينهم ونسخ مصاحفهم بديلا عن كل من الكوفي القديم، والكوفي القيرواني،

---

[11] - المنوني (محمد)، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات جامعة محمد الخامس، رقم: 2، كلية الآداب - الرباط،1991م، ص: 18.

[12] - البشاري (أبو عبد الله محمد المقدسي)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل، الطبعة الثانية، ليدن، 1906م، ص: 239.

[13] - ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: 1988م، ص: 528.

وذلك للتعبير عن استقلالهم وخصوصياتهم الحضارية والفنية. لكن وبعد خلع هشام بن محمد الملقب بـ: "المؤيد" (ت.403هـ/1013م)؛ وسقوط الخلافة الأموية بالأندلس سنة: 422هـ/1031م، ثم ظهور **"ملوك الطوائف"** الذين تكالب عليهم المسيحيون وضموا أطرافا من أراضيهم، قام المرابطون بمهمة إنقاذ الأندلس من حركة **"الاسترداد المسيحي" (Reconquista)** ذات الطابع الصليبي[14]، وهي المهمة التي تم تتويجها بنصر الزلاقة سنة: 479هـ/1086م من جهة، كما تم تتويجها أيضا بالقضاء على ملوك الطوائف من جهة أخرى، لتصبح بذلك الأندلس مجرد **"ولاية مغربية"**، تابعة لسيادة الدولة المركزية بالمغرب إلى حدود أواخر العصر الموحدي، ولا شك أن هذا الإجراء السياسي - التاريخي، قد سمح بتداخل وتمازج الخطوط وأصنافها بكلا العدوتين، وللتمييز بين الخط المستعمل في العدوة الشمالية (الأندلس) وبين الخط المستعمل في العدوة الجنوبية (المغرب)، فقد تمت تسمية **"الخط القرطبي"** فيما بعد بـ: **"الخط الأندلسي"** نسبة إلى الأندلس التي انتقل معظم

[14] - يشير المؤرخون إلى أن **"حركة الاسترداد"** أو **"حروب الاسترداد" (Reconquista)** ذات الطابع المسيحي بإسبانيا، تبتدئ بمعركة كوفادونجا (Covadonga) سنة: (99هـ/718م - أو 103هـ/722م) التي قام من خلالها جيش مسيحي صغير، بقيادة النبيل بيلاجيوس بهزيمة جيش الخلافة الأموية في جبال شمال إيبيريا، وإنشاء إمارة مسيحية في أستورياس (Asturias).

وقد اصطدمت هذه الحركة - فيما بعد - بقيام الدولتين المرابطية والموحدية اللتين حولتا الأندلس إلى ولاية مغربية، لكن وبعد نهاية الموحدين؛ تم استئناف حروب الاسترداد التي ستسفر عن سقوط إمارة بني الأحمر سنة: 897هـ/1492م، حيث استولى الإسبان على غرناطة، لتكون بذلك آخر معقل للمسلمين بالأندلس، وذلك بعدما بعدما استطاعت إسبانيا تحقيق وحدتها بزواج فردناند ملك قشتالة بإيزابيلا ملكة أراغونة منذ سنة: 873هـ/1469م، ومن ثم تأسيس "محاكم التفتيش الإسبانية" (Inquisición española) سنة: 883هـ/1478م، بمباركة من البابا سيكستوس الرابع، وهي المحاكم التي كان من أهم أهدافها: تصفية ما تبقى من الوجود الإسلامي في الأندلس على يد أتباع الكنيسة الكاثوليكية.

عن حركة الاسترداد المسيحي؛ انظر:

- Marco Ortiz Palanques, La “Reconquista” Española y elDiscurso “Anti Español y Pro Indígena” Latinoamericano: ¿Coincidencia o Continuidad Histórica? Mérida - Venezuela - ISSN 0798-3069 - AÑO 11 - Nº 32 - SEPTIEMBRE - DICIEMBRE - 2001, p.p. 390 - 420.

خطاطيها إلى المغرب، فنقلوا معهم خطهم الأندلسي، خاصة بعدما تم توحيد الدواوين السلطانية المتفرقة في: ديوان موحّد؛ ألا وهو الديوان المرابطي، الذي كان مقره بمدينة مراكش قاعدة ملك (عاصمة) المرابطين.

ومن أهم رجالات هذا الديوان في عهد يوسف بن تاشفين (454 - 500هـ/1062 - 1107م): "أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي" المعروف بـ: "ابن القصيرة"، الذي أصبح "**رئيس الكُتّاب**" بمراكش منذ سنة: 487هـ/1093م، وذلك بمجرد وفاة الكاتب عبد الرحمن بن أسباط[15]، حيث ظل في منصبه إلى حين وفاته بمراكش سنة: 508هـ/1114م[16]. وقد كان ابن القصيرة حسب لسان الدين ابن الخطيب (713 - 776هـ/1313 - 1374م): "**كاتب الدولة اللّمثونية [المرابطية]، وعلم وقته.. بارع الخطّ، كتب عن يوسف بن تاشفين**"[17].

ويشير ابن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م) في كتابه: "**مستودع العلامة ومستبدع العلامة**" إلى أن: "**يوسف بن تاشفين اللمثوني [المرابطي] ملك المغرب، كانت علامته: (صح ذلك بحول الله)**"[18]. حيث اختار أن "**يكتب علامته بخلاف**

---

[15] - يقول عنه ابن الخطيب في الإحاطة: "**ولم يكن [عبد الرحمن بن أسباط] حسن الخطّ، ولا معرّب اللفظ.. أقرّه أمير المسلمين [يوسف بن تاشفين] كاتبا، فنال ما شاء مما ترتمي إليه الهمم جاها ومالا وشهرة**". انظر:

- ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني)، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 2003م، ج/3، ص: 399 - 400.

[16] - ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1955م، ص: 539.

[17] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج/2، ص: 367.

[18] - ابن الأحمر (أبو الوليد)، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق: محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي، المطبعة المهدية، تطوان، 1964م، ص: 22.

اشتقاق لقبه"[19]، على النقيض من علامات وطغراوات السلاطين في المشرق الذين كانوا يفضلون أن تكون علاماتهم الخطية مشتقة من ألقابهم وأسمائهم[20]. أما صاحب الحلل الموشية، فيشير إلى أن الأمير المرابطي المذكور قد كانت **"علامته الصادرة عنه [تتألف من عبارة]: (الملك والعظمة لله)"**[21].

والجدير بالذكر أن الخط الأندلسي قد استفاد في تطوره من ظهور مدارس لتعليم الخط في الأندلس منذ أواخر العصر المرابطي وبداية العصر الموحدي.

- ففي **العصر المرابطي** مثلا؛ اشتهرت **مدرسة** "أبي عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال" (465 - 540هـ/1073 - 1146م)[22]. وهي المدرسة التي تخرج منها ثلة من الخطاطين المجيدين الذين انتقل معظمهم

---

[19] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 22.

[20] - تفرد ابن الأحمر - دون غيره - بذكر معلومات لم ترد في أي مصدر من المصادر الأخرى ولو عرَضا، حيث قدّم لنا إفادات مهمة عن طبيعة العلامات السلطانية التي اتخذها السلاطين في مجموع بلدان شمال إفريقيا من المغرب حتى مصر، كما ذكر لنا بعضا من نصوصها، وأوجه الائتلاف والاختلاف بينها من دولة إلى دولة، ومن مرحلة زمنية إلى أخرى. بل وميّز بين العلامات الخطية التي كانت تُكتب بأسماء السلاطين وألقابهم، والعلامات التي كانت تُكتب بنصوص وعبارات غيرها، تتنوع معانيها بين "التوكل" و"الحمد" و"الاستعانة" و"التوقيع" و"التصحيح" و"الإثبات".. يقول ابن الأحمر في ذلك: **"وقد اشتق بعضهم [يقصد: السلاطين] لفظ العلامة مجانسا للقبه... ومنهم من يكتب علامته بخلاف اشتقاق لقبه، كالسلطان يوسف بن تاشفين اللمثوني [المرابطي] ملك المغرب، كانت علامته: (صح ذلك بحول الله). وكملوك الموحدين من بني عبد المومن.. كانت علامتهم في أول صكوكهم بعد البسملة: (والحمد لله وحده)... وكملوك الموحدين من بني أبي حفص بإفريقية، كانت علامتهم في أول كتبهم: (الحمد لله والشكر لله). وكأمير المومنين المستنصر بالله أبي جعفر.. العباسي، كانت علامته: (الله القاهر فوق عباده). وكالسلطان قراقش الغزي، كانت علامته: (وثقت بالله). وكأمير المومنين الظاهر لإعزاز دين الله علي العبيدي ملك مصر الشيعي، كانت علامته: (الحمد لله شكرا لنعمته).. [و] بني الأحمر ملوك الأندلس، كانت علامتهم في أوليتهم: (ولا غالب إلا الله). ثم كانت علامتهم: (وكتب في التاريخ)... ثم انتقلوا من ذلك فكتبوا علامتهم: (صح هذا)"**. انظر: - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، صص: 21 - 24.

[21] - مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار - عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى: 1979م، ص: 30.

[22] - ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد الأنصاري)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى: 2012م، ج/1 ، ص: 169.

من الأندلس إلى بلاد العدوة (المغرب)، صحبة شيخهم ابن أبي الخصال الذي دخل مدينة فاس فأقام فيها، ثم ما لبث أن أشرف على مراسلات ومكاتبات علي بن يوسف بن تاشفين (500 - 537هـ/1106 - 1143م) وغيره من أمراء المرابطين[23]. بل وتعدى ذلك للإشراف على رسم **"العلامة المرابطية"** في الديوان المرابطي، بدليل ما ذكره القللوسي (607 - 707هـ/1210 - 1307م) من كون ابن أبي الخصال **"كان يخط العلامة السلطانية بمداد خاص، وكان خطه أنموذجا يُحتذى"**[24]. حيث كان يشترط في المداد الذي يدبّج به علامة المرابطين **"أن يكون أسوَدَ بَرَّاقا تعْلوه حُمْرةٌ، حَسنَ البَصيص، قَلِيلَ التَّعْقيدِ.. [وذلك حتى] يُنَشِّط للكَتْبِ، ويُعمل إرسال اليد، ويساعد عَلَى سرعة القَلم"**[25]. وقد أشار أبو بكر القللوسي أيضا في كتابه: **"تحف الخواص"** إلى أن هذا النوع من الأمدّة هو ما كان يطلق عليه: **"مداد العلامة. وهو: المِدَاد الذي يكتبُ به السلاطين العَلامة"**[26].

ومن خلال اعتمادنا على نسخة مخطوطة نادرة من كتاب: **"موطأ الإمام مالك"**، استطعنا أن نتعرف أيضا على بعض الخطاطين الأندلسيين الذين كانوا يشتغلون في ديوان الأمير المرابطي علي بن يوسف، ونخص بالذكر منهم:

---

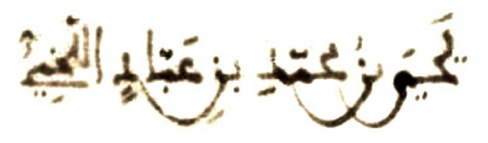
[23] - انظر:

- رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 1988م، ص: 11.

[24] - ابن شريفة (محمد)، نظرة حول الخط الأندلسي، نشر في كتاب: المخطوط العربي وعلم المخطوطات، تنسيق: أحمد شوقي بنبين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى: 1994م، ص: 80.

[25] - القللوسي (أبو بكر محمد بن القضاعي)، تحف الخواص في طرف الخواص، في صنعة الأمدة والأصباغ والأدهان، تحقيق: حسام أحمد مختار العبادي، نشر: مكتبة الإسكندرية، طبعة: 2007م، ص: 25.

[26] - القللوسي، تحف الخواص في طرف الخواص، ص: 25.



يحيى بن محمد بن عبَّاد اللخمي

توقيع يحيى بن محمد بن عبّاد. استخرجناه من نسخة مخطوطة لـ: "موطأ الإمام مالك"، كتبها برسم خزانة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين سنة: 502هـ/1108م.
المصدر: خزانة القرويين - فاس، رقم: 605.

شكل: 1

و"**يحيى بن محمد بن عبَّاد اللخمي**" هذا، هو أحد أبناء أمير إشبيلية: المعتمد بن عبَّاد، أنقذه حذقه لحرفة الخط والنساخة من الضياع وتكفُّفِ الناس، لاسيما بعدما فقد أبوه ملكه في عهد يوسف بن تاشفين عقب معركة الزلاقة، فتم اقتياده بعدها إلى مراكش أسيرا إلى أن أدركته المنية فيها[27]. وقد كان يحيى من أبرز الخطاطين في ديوان الأمير علي بن يوسف وأكثرهم حظوة عنده، حيث نسخ بيمينه النسخة المذكورة، ودبّجها بخطه برسم خزانة ولي نعمته بمدينة مراكش سنة: 502هـ/1108م، وهي نسخة من رواية: "**يحيى بن يحيى الليثي**"، حيث تعتبر من أندر النسخ المحفوظة بخزانة القرويين بمدينة فاس تحت رقم: 605.

وقد تحدث كل من ابن الأبار (595 - 658هـ/1199 - 1260م) في: "**التكملة لكتاب الصلة**"، وابن عبد الملك المراكشي (634 - 703هـ/1237 - 1303م) في: "**الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**" عن مجموعة من الخطاطين الذين اشتهروا بكتابة المصاحف خلال عصر الدولة المرابطية في الأندلس، ونذكر منهم:

---

[27] - ابن شريفة، نظرة حول الخط الأندلسي، ص: 79.

*عـابـد بن مسعـود بن عـابـد الصدفي (توفي بعد: 536هـ/1142م)، **"كان يكتب المصاحف وينقطها، وكان من أبرع الناس خطا، وأجودهم ضبطا"**[28].

* أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن محمد بن خالد الأنصاري، **"كان يكتب المصاحف وكان حيا في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة [535هـ/1141م]"**[29].

ومن جملة العلماء الذين عُرفوا بجودة الخط خلال العصر المرابطي؛ القاضي عياض السبتي (476 - 544هـ/1083 - 1149م)، الذي عيّنه المرابطون قاضيا على مدينة سبتة المغربية[30]، وهو مؤلف كتاب الشفا وغيره من المصنفات الشهيرة التي دبّجها بخطه الرائق، حتى وصفه ابنه محمد بأنه كان **"مليح القلم، من أكتب أهل زمانه"**[31]،

---

[28] - ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995م، ج/4، ص: 43.

- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/3، ص: 80. واللفظ لابن الأبار.

[29] - ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج/4، ص: 93.

- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/2، ص: 59. واللفظ لابن الأبار.

[30] - عندما خلع أهل سبتة طاعة الموحدين بزعامة القاضي عياض سنة: 543هـ/1148م، قام هؤلاء بمحاصرة المدينة، فخشي القاضي عياض على أهل المدينة من السبي والقتل الذي عُرف به الموحدون، فما كان منه إلا أن سلّم نفسه لهم، فاقتادوه إلى عاصمتهم مراكش، لكن (الخليفة) الموحدي عبد المومن بن علي الكومي (527 - 558هـ/1133 - 1163م) عفا عنه شريطة الاعتراف بعصمة ابن تومرت ومهديّته، وأن يؤلف في ذلك كتابا يصدر إلى الآفاق، حتى يكون حجة لهم ولشرعية حكمهم ودعوتهم، إلا أن القاضي عياض - الذي لولاه لما عُرف المغرب - رفض ذلك بشدة، فأمر (الخليفة) بقتله سنة: 544هـ/1149م بمراكش، وفي سنة: 712هـ/1312م، عُثر على قبره من قِبل المرينيين الذين أسقطوا دولة الموحدين، فعاد المغرب في عصرهم إلى العمل بتعاليم المذهب المالكي على غرار المرابطين، وأمر القاضي أبو إسحاق بن الصباغ بتسوية ما حول قبر القاضي عياض، وإشهاره وإظهاره، فاجتمع الناس عنده، ثم صلوا عليه مرات عديدة. انظـــر:

- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد)، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، طبعة: 2006م، ج/15، ص: 51.

- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدي المؤلف: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ج/2، صفحات: 113 - 114 - 115 - 116.

[31] - ابن القاضي عياض (محمد)، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الثانية: 1982م، ص: 4.

وفي موضع آخر وصفه بأنه كان "**حسن الضبط.. قوي الخط دقيقه**"[32]. أما ابن جابر الوادي آشي (ت.749هـ/1348م) فقد وصفه في الترجمة العياضية: بأنه "**كان بارع الخط المغربي، سريع الوضع، يدلّ على ذلك وجود أوضاع كثيرة [أي: صور كثيرة في خطه]**"[33]. الأمر نفسه أكده أحمد المقري (986 - 1041هـ/1578 - 1631م) في: "**أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**"، حيث قال عنه: "**وكان القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله بارع الخط المغربي، وقد وقفت على خطه رحمه الله، فرأيت خطا رائقا، وكان سريع الوضع، ويدل على ذلك كثرة أوضاعه**"[34]. ولا شك أن ذكر "**أوضاع الحروف**" في هذين النصين؛ يحيلنا على صور الحروف في حالة الإفراد، كما يحيلنا على تنوع تلك الصور في حالة التركيب والاتصال ابتداء وتوسطا وتطرفا. بل إن ذكر ذلك يُعدّ إشارة صريحة إلى "**علم الوضع**" الذي يرتبط - في الخط - بالجانب الفني، وليس بالجانب الوظيفي الذي كان يرتبط بعلوم أخرى؛ أبرزها "**علم الرسم**".

- وفي **العصر الموحدي** اشتهرت **مدرسة** "أبي بكر بن خير الفاسي" (502 - 575هـ/1108 - 1179م) وهو: "**فاسيُّ المولدِ والنَّشأة، استَوطنَ إشبيليَةَ وغيرَها من الأندَلُس**"[35]، لعبت مدرسته دورا كبيرا - على غرار مدرسة ابن أبي الخِصَال خلال العصر المرابطي - في تخريج كثير من العلماء الخطاطين المُجِيدين والمُجَوِّدين الذين انتقل معظمهم إلى المغرب.

---

[32] - ابن القاضي عياض، التعريف بالقاضي عياض، ص: 5.

[33] - عياض (القاضي أبو الفضل السبتي)، التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، تحقيق: محمد الوثيق - عبد النعيم حميتي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى:2011م، مقدمة التحقيق، ج/1، ص: 227.

[34]- المقري (أحمد بن محمد)، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلبي، منشورات المعهد الخليفي للأبحاث المغربية (بيت المغرب)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، طبعة: 1939م، ج/3، ص: 21.

[35] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/5، ص: 184.

وفي هذا الشأن؛ يذكر ابن عبد الملك المراكشي (634 - 703هـ/1237 - 1303م) في: **"الذيل والتكملة"**، عدة إشارات تؤكد على دور تلك المدارس الخطية إبّان تلك المرحلة، كما تؤكد على التنوع الذي كان يطبع الخطوط في المغرب والأندلس، من ضمنها إشارة لخطاط يدعى: أبو موسى الجَزولي (540 - 607هـ/1145 - 1211م) دفين مدينة أزمور بالمغرب[36]، كان **"حسَن الخطّ المشرقيّ"**[37]، وإشارة أخرى لخطاط آخر اسمه: أبو الحَسَن القَلَنّي[38]، الذي التحق بالديوان الموحدي بمراكش خلال عهد أبي يوسف يعقوب المنصور (580 - 595هـ/1184 - 1199م)[39]، وكان **"حسَن الخطّ في الطريقتَيْن: الشّرقية والغربية"**[40]. وهما الطريقتان اللتان يغلب على الظن أن المقصود بهما: **"طريقة أهل شرق الأندلس"**، و**"طريقة أهل غرب الأندلس"**[41]. ولعل ما يقوي هذا الطرح، هو ما أشار إليه ابن أبي أصيبعة (596 - 668هـ/1200 - 1270م) في كتابه: **"عيون الأنباء في طبقات الأطباء"**، في معرض حديثه عن الطبيب "أَبي الحكم بن غَلَنْدو" (أو غلنده)؛ نزيل مراكش ودفينها - الذي دخل هو الآخر في خدمة أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي سنة: 580هـ/1184م - حيث قال عنه أنه كان: **"يكْتب خطين أندلسيين"**[42]. وهي إشارة صريحة إلى الطريقتين الأندلسيتين:

---

[36] - أزمّور هي مدينة مغربية تقع على ضفة نهر أم الربيع، تبعد 15 كلم عن مدينة الجديدة، و75 كلم جنوب شرقي الدار البيضاء.

[37] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/5، ص: 118.

[38] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/5 ، ص: 75.

[39] - رسائل موحدية. مجموعة جديدة، تحقيق: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية - القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم: 2، الطبعة الأولى: 1995م، ج/1، ص: 26.

[40] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/5 ، ص: 75.

[41] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/1، ص: 169.

[42] - ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم الخزرجي)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص: 535. انظـر أيضا: - ابن الأبار (محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي)، تحفة القادم، علّق عليه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1986م، ص: 94.

الشرقية والغربية في كتابة الخط، وليس إلى صنفين مختلفين من ضمن الأصناف المعلومة للخط.

وقد ذكر ابن عبد الملك إحدى الطريقتين تصريحا لا تلميحا، ألا وهي الطريقة الشرقية، ويؤخذ ذلك من خلال تعريفه بـ: "أبي بكر محمد بن إبراهيم الرُّعَيْني" نزيل مراكش ودفينها سنة: 620هـ/1223م، والذي قال عنه أنه: **"درَّس بمَرّاكُش مُدّةً وقرأ عليه بعضُ أولاد المنصُور [الموحدي].. وكان نبيلَ الخَطّ في طريقةِ أهل شَرْق الأندَلُس"**[43].

ومن ضمن أهم التراجم التي أوردها ابن عبد الملك أيضا؛ ترجمة القاضي: "ابن المناصف محمد بن عيسى الأزدي القرطبي" (563 - 620هـ/1168 - 1223م)، الذي كان يكتب ثلاثة عشر نوعاً من الخط المغربي - الأندلسي، فضلا عن الخط المشرقي. يقول ابن عبد الملك عن هذا العلَم: **"وكان.. بارع الخط في كل طريقة. ذكر لي شيخنا أبو محمد ابن القطان أنه كان يكتب ثلاث عشرة طريقة هو فيها كلها مُجيد.. [و] قد رأيت منها أربع طرائق وهي كما وصف شيخنا أبو محمد"**[44]. وقد رقم هذا الخطاط المُجوّد نسخا نفيسة **"بخطّه المغربيّ.. وطرَّر حواشيَهما بخطه المشرِقيّ"**[45]. ويشير ابن عبد الملك المراكشي إلى أن ابن المناصف انتهى به المطاف بمدينة مراكش بعد قيام دولة الموحدين، حيث استقر بها إلى حين وفاته صحبة أخ له يدعى: "موسى بن عيسى بن المناصِف" (ت.627هـ/1230م)، عُرف عنه أيضا حذقه للخط المغربي بنص شهادة صاحب **"الذيل والتكملة"** الذي قال عنه: **"وكان [موسى بن عيسى بن المناصِف] من أبرع الناس خطًّا في الطريقة المغربيّة"**[46].

---

[43] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/4، ص: 105.
[44] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/5، ص: 246.
[45] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/5، ص: 247.
[46] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/5، ص: 292.

ويبقى محمد بن عبد الله بن محمد بن سهل الأنصاري، المعروف بـ: "ابن غطوس" (ت.610هـ/1213م) الذي عاصر الخليفتيْن الموحديّيْن؛ أبي يوسف يعقوب المنصور (580 - 594هـ/1184 - 1198م)، وابنه محمد الناصر (594 - 610هـ/1198 - 1213م)، من أشهر الخطاطين الذين انتشر خبرهم في الأندلس والمغرب خلال العصر الموحدي، حيث كان يكتب وفق طريقة أهل **"شرق الأندلس"**، وقد امتدت شهرته إلى المشرق، حتى استدل ابن سعيد المغربي (610 - 685هـ/1213 - 1286م) بجودة خطه ورونقه عند مقارنته بالخطوط المشرقية، حيث قال: **"أما أصول الخط المشرقي وما تجد له في القلب واللحظ من القبول فمسلّم له، لكن خط الأندلس الذي رأيته في مصاحف ابن غطوس الذي كان بشرق الأندلس وغيره من الخطوط المنسوبة عندهم له حسنٌ فائق، ورونق آخذ بالعقل، وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد"**[47]. ويؤكد الصفدي (696 - 764هـ/1296 - 1363م) أنه رأى **"بِخَطِّهِ مُصحفا أَوأكثر، وَهُوَ شَيْء غَرِيب من حسن الْوَضع ورعاية المرسوم"**[48].

وممن اشتهر بكتابة المصاحف في العصر الموحدي على طريقة ابن غطوس؛ محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي زاهر (ت.633هـ/1236م)، الذي كان من كبار قُرّاء الأندلس في قراءة نافع، حتى إن ابن الأبار يقول عنه أنه قد **"أخذ القراءات عن أبيه، وسمع من أبي العطاء بن نذير وأبي عبد الله بن نسع كثيرا ومن غيرهما، وأدّب بالقرآن، وهو كان معلمي [أي:**

---

[47] - نقلا عن: - المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى: 1997م، ج/3، ص: 151.

[48] - الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة: 2000م، ج/3، ص: 281.

كان معلم ابن الأبار]، وعنه أخذت قراءة نافع وبه انتفعت في صغري وسمعت منه وأجاز لي"[49]. ويضيف ابن الأبار أن هذا الخطاط كان **"يجمع إلى جودة الضبط، براعة الخط، ونحا في ما كتب من المصاحف منحى أبي عبد الله بن غطوس فأجاد"**[50].

إذن فكل هذه الإشارات التاريخية، تؤكد أن الاهتمام بجودة الخط خلال العصر الموحدي بلغ مبلغا لم يبلغه من ذي قبل، إلى درجة أصبح معها الخط (صنعة) جليلة ترتبط بتعليم أسراره في المدارس المخصصة لذلك، كما ترتبط باستخدامه في نسخ المصاحف، فضلا عن إعماله في تدوين الدواوين الموحدية، من طرف كُتاب هذه الدولة الذين كان معظمهم يجمع بين **"الخط"** و**"الإنشاء"**.

ومن الخطاطين الأندلسيين الذين تخرج بعضهم من مدرسة "أبي بكر بن خير الفاسي" بالأندلس، واستقطبهم (خلفاء) الموحدين لتعليم أبنائهم علم الخط وفنونه؛ نذكر منهم:
* عبد الولي بن محمد بن أحمد البلنسي المعروف بـ: "البتي" (توفي بعد: 570هـ/ 1175م)، **"كان من أهل المعرفة بالقراءات واللغات والآداب، وكتب بخطه علما كثيرا، وكان حسن الوراقة، وأدب أبناء السلطان"**[51].
*عبد الله سليمان بن داوود بن حوط الله الأنصاري الحارثي، الأندي من عمل بلنسية (ت.612هـ/1215م)، الذي قال عنه ابن الأبار (595 - 658هـ/1199 - 1260م) في: **"التكملة لكتاب الصلة"** انه كان **"حسن الخط"**. كما كان معروفا بـ: **"تحبير الرسائل.. استأدبه المنصور [الموحدي] لبنيه"**[52].

---

[49] - ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج/2، ص: 135.

[50] - ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج/2، ص: 135.

[51] - ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج/3، ص: 136.

[52] - ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج/2، ص: 288 - 289.

*محمد بن إبراهيم بن خيرة المواعيني الذي استكتبه الموحدون، فاستقر بمراكش وظل فيها إلى حين وفاته سنة: 564هـ/1169م، وكان - حسب ما أورده ابن عبد الملك المراكشي (634- 703هـ/1237 - 1303م)، في: "**الذيل والتكملة**" - "**حَسَنَ الخَطِّ رائقَه، سلَكَ به في ابتدائه مسلَكَ المُتقِن أبي بكر بن خير، ثم نَزَعَ عنها إلى آنقَ منها وأبرَعَ**"[53].

* عبد الله بن قاسم بن خلف اللخمي المعروف: بالحرار (أوالحريري).(591 - 646هـ/1195 - 1248م)، الذي اشتُهر بـ: "**براعة الخط.. [فـ] نحا فيه منحى أبي بكر بن خير**"[54].

أما أشهر الكُتّاب الذين كانوا يحررون مراسلات (الخلفاء) الموحدين، فنجد من ضمنهم: "**أبو جعفر بن عطية**"[55]، وأخوه: "**أبو عقيل**"[56]، و"**أبو الحكم بن المرخي**"[57]، و"**أبو القاسم القالمي**"[58]، وهم من كُتّاب عبد المومن بن علي الكومي. و كذا "**أبو الحسن عبد الملك بن عياش**"[59]، كاتب عبد المومن بن علي الكومي وابنه أبي يعقوب يوسف. و"**أبو الفضل بن محشرة**"[60]، كاتب أبي يعقوب يوسف وابنه أبي يوسف يعقوب المنصور. فضلا عن "**أبي عبد الله محمد بن عياش**"[61]، وهو أشهر كُتّاب أبي يوسف يعقوب المنصور، ومحمد الناصر، ويوسف المستنصر[62].

[53] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/4، ص: 99.

[54] - ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج/2، ص: 298.

[55] - مجموع رسائل موحدية من إنشاء كُتّاب الدولة المؤمنية، اعتنى بإصدارها: إفاريست ليفي بروفنصال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الجزء العاشر، الرباط، 1941م، صص: 1 - 71. وأيضا؛ صص: 95 - 99. وأيضا؛ صص: 126 - 138.

[56] - مجموع رسائل موحدية، صص: 71 - 93.

[57] - مجموع رسائل موحدية، صص: 99 - 113.

[58] - مجموع رسائل موحدية، صص: 113 - 126.

[59] - مجموع رسائل موحدية، ص: 93 - 94 - 95. وأيضا؛ صص: 138 - 149.

[60] - مجموع رسائل موحدية، صص: 149 - 228.

[61] - مجموع رسائل موحدية، صص: 228 - 259.

[62] - رسائل موحدية. مجموعة جديدة، تحقيق: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية - القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم: 2، الطبعة الأولى: 2001م، ج/2، ص: 226.

والجدير بالذكر أن خلفاء الموحدين اهتموا بتعليم الخط لأبنائهم حتى يكونوا قادرين على توقيع مكاتباتهم الرسمية بـ: **"العلامة الخطية"** التي اتخذها الموحدون توقيعا رسميا لهم، ولا أدل على ذلك؛ أبناء عبد المومن الثلاثة عشر الذين نبغوا كلهم في كتابة الخط الحسن، حتى أن الشاعر الأندلسي ابن مجبر مدح خط أحدهم؛ وهو: "الأمير عمر بن عبد المومن"؛ بقوله[63]:

تبث يمناه زهرا في الطروس ولا	**نكر على السحب أن ينبتن أزهارا**
خط هو السحر لكنا ننزهه	**ونجعل القلم النفاث سحارا**

وقد كانت رداءة الخط في هذا العصر عيبا يخجل منه صاحبه، ونستدل في ذلك بالشاعرة الأندلسية الشهيرة: حفصة ابنة الحاج الركوني (529 - 586هـ/1135 - 1191م) التي كتبت رقعة بخطها لأخت الوزير أبي بكر الهمذاني، فخاطبتها ببيتين يتضمنان ما يشبه الاعتذار عن رداءة خطها، حيث قالت[64]:

يا ربّة الحسن، بل يا ربّة الكرم	**غضّي جفونك عمّا خطّه قلمي**

---

[63] - المنوني (محمد)، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ، رقم: 6، الرباط، الطبعة الثانية: 1977م، ص: 271. وللمؤلف نفسه:
- حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1989م، ص: 180 - 181.
- تاريخ الوراقة المغربية، ص: 28.
أورد البلوي أيضا في: "تاج المفرق" هذين البيتين في سياق آخر يتعلق بمدحه لخط: "تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب بن هبة الله بن أحمد المقدسي الأنصاري". انظر:
- البلوي (خالد بن عيسى)، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د. ت، ج/2، ص: 56.

[64] - ابن الخطيب، الإحاطة، ج/1، ص: 277.

تصفّحيه بلحظ الودّ منعمة   لا تحفلي بقبيح الخطّ والكلم

ويذكر ابن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م) أن هذه الشاعرة - التي تم اختيارها لتكون مؤدبة لبنات البلاط الموحدي - أبدت إعجابها بـ: "**العلامة الموحدية**"، حيث قامت بمدحها بين يدي الخليفة الموحدي: عبد المؤمن بن علي الكومي (527 - 558هـ/ 1133 - 1163م)، بما نصه[65]:

يا سيد الناس يا من   يؤمل الناس رفده

امنن علي بصك   يكون للدهر عده

تخط يمناك فيه   "والحمد لله وحده"

ويفسر أحمد المقري (986 - 1041هـ/1578 - 1631م) هذا المقطع في: "**نفح الطيب**"، بقوله أن ابنة الحاج الركوني **"أشارت بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين، فإنها [أي: العلامة] كانت أن يكتب السلطان بخط غليظ في رأس المنشور: الحمد لله وحده"**[66].

ومن ضمن الشعراء الذين أبدوا إعجابهم بهذه العلامة أيضا، أبو عبد الله بن مرج الكحل الذي هنّأ محمد الناصر الموحدي (594 - 610هـ/1198 - 1213م) بعد قدومه من إفريقية (تونس) مظفرا سنة: 603هـ/1206م، حيث أنشد قائلا[67]:

ولما توالى الفتح من كل وجهة   ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده

---

[65] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 22.

[66] - المقري، نفح الطيب، ج/4، ص: 171.

[67] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 22 - 23.

تركنـــا أمـــير المـــؤمنين لشـــكره بمـــا أودع الســـر الإلهـــي عنـــده
فـــلا نعمـــة إلا تـــؤدي حقوقهـــا علامتـــه بـــ: "الحمـــد لله وحـــده"

وقد ذهب ابن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م) في كتابه: "**مستودع العلامة ومستبدع العلامة**" إلى أن "**العلامة.. هي شارة في الكتب [السلطانية] كالشهادة الشرعية في العقود**"[68]. وفي حديثه عن الموحدين؛ أكد ابن الأحمر أيضا أن هؤلاء "**كانوا يكتبون العلامة بأيديهم، ولم يكتبها لهم سواهم، وذلك من أولهم؛ أمير المومنين عبد المومن، إلى آخرهم؛ أبي دبوس**"[69]. أما ابن أبي زرع الفاسي (ت.741هـ/1340م)، فقد أشار قبله في: "**الأنيس المطرب بروض القرطاس**" إلى أن أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدي (580 - 595هـ/1184 - 1199م) "**هو أول من كتب الْعَلامَة بِيَدِهِ من الْمُوَحِّدين (الْحَمد لله وَحده)، فَجرى عَمَلهم على ذَلِك**"[70]. لكن الناصري اختلف معه في هذا الأمر، حيث رأى أن أول من كتب العلامة بيده من خلفاء الموحدين هو أبوه: "**أبو يعقوب يوسف**"[71]. وهذا الأمر تؤكده بعض الوثائق الموحدية التي يرجع تاريخها إلى سنة: 561هـ/1166م، والتي تثبت أن أبا يعقوب يوسف بن عبد المومن الموحدي (558 - 580هـ/1163 - 1184م)، كان يقوم بكتابة العلامة الموحدية (**والحمد لله وحده**) بيده على مراسلاته ومناشيره[72].

---

[68] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 20.

[69] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 21.

[70] - ابن أبي زرع (علي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص: 217.

[71] - الناصري، الاستقصا، ج/2، ص: 198.

[72] - رسائل موحدية. مجموعة جديدة، ج/1، ص: 94. وأيضا:
- رسائل موحدية. مجموعة جديدة، ج/2، ص: 16.

بل وتم العثور على وثائق موحدية ترجع إلى عهد أبيه عبد المومن بن علي الكومي (527 - 558هـ/1133 - 1163م)، ونخص بالذكر؛ رسالة مؤرخة في: 16 ربيع الأول 543هـ/4 غشت 1148م، أوردها ابن القطان (562 - 628هـ/1167م - 1231م) في كتابه: "**نظم الجمان**"، وهي رسالة موقعة بعلامة عبد المومن التي خطّها بيده كما يؤكد ذلك بنفسه من خلال نص الرسالة، حيث ورد فيها ما نصه: "**.. رأينا أن نجعل في كتابنا هذا علامة بخط يدنا، وها هي قد رفعت الإشكال رفعا بيِّناً..**"[73]، ورغم أن هذه الوثيقة لا تحدد لنا العبارة التي استعملها عبد المومن في علامته، إلا أننا استطعنا التعرف عليها من خلال وثيقة أخرى مؤرخة في سنة: 555هـ/1160م، والتي لا تعدو أن تكون سوى عبارة: "**والحمد لله وحده**"[74]. وهذا يؤكد دون أدنى شك أن استعمال هذه العلامة في المكاتبات الرسمية يرجع إلى عهد (الخليفة) الموحدي المذكور. بل وأكثر من ذلك كله؛ نفترض أن استعمال العلامة الموحدية يرتبط بعهد (مهدي الموحدين) محمد بن تومرت (ت.524هـ/1130م)، بدليل ما أورده ابن خلدون (732 - 808هـ/1332 - 1406م) في كتابه: "**العبر**"، من كون خلفاء الموحدين نظروا في "**وضع العلامة في المكتوبات بخط الخليفة، فاختاروا: (الحمد لله وحده) لما وقفوا عليها بخط الإمام المهدي [محمد بن تومرت] في بعض مخاطباته، فكانت علامتهم إلى آخر دولتهم**"[75].

---

[73] - ابن القطان (أبو محمد علي بن حسن الكتامي)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1990م، ص: 200.

[74] - رسائل موحدية. مجموعة جديدة، ج/1، ص: 79 - 80. وأيضا:

- رسائل موحدية. مجموعة جديدة، ج/2، ص: 14.

[75] - ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ ابن خلدون المسمى: "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: 1988م، ج/6، ص: 320.

وقد كانت العلامة الموحدية تكتسي حساسية كبيرة، لأن استعمالها ارتبط في المكاتبات الموحدية بترسيخ **"مفهوم السيادة"** خلال عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن (558 - 580هـ/1163 - 1184م) الذي خلف أباه، إلا أن (الخليفة) الجديد للموحدين لم يحصل الإجماع عليه، وخاصة من بعض إخوته، وعلى رأسهم؛ أخوه أبو حفص الذي كان يتقاسم معه السلطة في كل شاردة وواردة، مما يفسر اقتصار يوسف على لقب: **"الأمير"** إلى حدود سنة: 563هـ/1168م، حيث سيتمكن بعد هذا التاريخ من تقليص وتحجيم سلطة الولاة من إخوانه وأشياخ الموحدين، وبالتالي الانفراد بالسلطة والتلقب بلقب الخلافة: **(أمير المؤمنين)**[76]، وقد كانت كتابة العلامة الموحدية (والحمد لله وحده) بخطه على رسائله ومناشيره؛ أهم مؤشر يحيلنا على هذا التحول في هرم السلطة الموحدية[77].

وهو الأمر الذي أكده ابن صاحب الصلاة (ت.594هـ/1198م) في كتابه: **"المن بالإمامة"**، حيث أورد فصلا أشار من خلاله إلى أن أبا يعقوب يوسف قرر كتابة: **"العلامة المباركة، [و] هي: (والحمد لله وحده) بخط يده.. [لـ] تُنفذ الأوامر العلية ببركتها عن أمره وجده"**[78].

ويعتبر تقبيل العلامة الموحدية المرسومة على الرسائل الصادرة عن الديوان الموحدي، تعبيرا عن الطاعة والإذعان لولي الأمر، ويُستنتج ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - من

---

[76] - رسائل موحدية. مجموعة جديدة، ج/1، ص: 110.

[77] - رسائل موحدية. مجموعة جديدة، ج/1، ص: 94. وأيضا:

- رسائل موحدية. مجموعة جديدة، ج/2، ص: 16.

[78] - ابن صاحب الصلاة (عبد الملك)، المن بالإمامة. تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة: 1987م، ص: 225.

خلال رسالة بعثها قادة الجيش الموحدي إلى (الخليفة) محمد الناصر (594 - 610هـ/1198 - 1213م)، يخبرونه فيها بأنهم قد تمكنوا من تأديب وردع بعض قبائل العرب المستوطنين بالمغرب بسهول بلاد الهبط وتامسنا وتادلة بسبب القلاقل والفتن التي أحدثوها، كما يخبرونه أيضا بأن شيوخ تلك القبائل يرجون منه عدم حرمانهم من عطائه وإحسانه بجريرة من ظلم منهم. وللتعبير عن طاعتهم وإذعانهم للخليفة الموحدي؛ فإنهم قد قاموا بمجرد أن **"وصلهم الكتاب العزيز.. [من الناصر بـ]: لثم البسملة المباركة والعلامة المنصورة"**[79].

وقد كان الموحدون يبتدؤون علامتهم (الحمد لله وحده) بواو العطف التي تفيد وقوع الحمدلة بعد البسملة، فيُراد بالبسملة: **"الافتتاح"**، ويُراد بالحمدلة: **"العلامة"**، ويُستنبط هذا الأمر من شهادة ابن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م) الذي أشار إلى أن خلفاء هذه الدولة **"كانت علامتهم في أول صكوكهم بعد البسملة: والحمد لله وحده"**[80]. كما يُستنبط أيضا من بعض رسائلهم الرسمية التي وقفنا عليها، حيث وجدنا فيها الحمدلة قد كُتبت بعد البسملة في طرة الوثيقة بخط بارز غليظ، وذلك حتى يتم تمييزها عن البسملة وباقي نص الوثيقة الذي كان يكتب - عادة - بقلم دقيق. واستعمال الخط البارز الغليظ في رسم **"العلامة الموحدية"** يدل على أن العلامة - بشكل عام - كانت تُعدّ في ذلك العصر مجرد **"علامة خطية"** سلطانية بسيطة، ستعرف طريقها نحو التجديد والتجويد شيئا فشيئا، إلى أن صارت في مراحل لاحقة **"علامة طغرائية"** سلطانية معقدة[81]، كما سنلاحظه

---

[79] - رسائل موحدية. مجموعة جديدة، ج/1، ص: 234.

[80] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 22.

[81] - عن تسمية: **"العلامة الطغرائية"**؛ انظر مقالنا:

- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، "العَلاَمة الطغرائية بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية. دراسة تاريخية - فنية"، العدد: 35 (2015م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس، الرباط، صص: 179 - 212.

- على سبيل المثال لا الحصر - من خلال "الطغراء السلطانية" بتركيا العثمانية، و"الطغراء السلطانية" بالمغرب السعدي.

أما عن نوع المداد المستعمل في رسم العلامة، فقد أشار القللوسي (607 - 707هـ/1210 - 1307م) الذي عاش في ظل الدولة الموحدية، إلى أنها كانت تُرسم بمداد خاص يسمى: **"مداد العلامة. وهو: المِدَاد الذي يكتبُ به السلاطين العَلامة. لم يَستحسن ابن أبي الخصال الكَتْبَ بغَيره مِن الأمدَّة. وقال في وَصفِه: المُستحسن أن يكون أسوَدَ بَرَّاقا تعْلوه حُمْرةٌ، حَسنَ البَصيص، قَلِيلَ التَّعْقيدِ، فإنَّه يُنَشِّط للكَتْبِ، ويُعمل إرسال اليد، ويساعد عَلَى سرعة القَلم"**[82]. وبعد اطلاعنا على بعض المراسلات الموحدية، وجدنا العلامة السلطانية فيها تتألف من عبارة الحمدلة (والحمد للّه وحده)، التي رُسمت بخط ثلثي (مغربي) بارز، تعود جذوره إلى خط التوقيع المشرقي الذي استمد اسمه من طبيعة استعماله ووظيفته، وقد وضعها الموحدون في طرر وثائقهم ومراسلاتهم. (انظر شكل: 2 وشكل: 3).



تفصيل:

علامة الموحدين (الحمد لله وحده) مسبوقة بواو العطف التي تفيد وقوع الحمدلة بعد البسملة، فيُراد بالبسملة: "الافتتاح"، ويُراد بالحمدلة: "العلامة"

مقطع من النص التحريري للوثيقة

رسالة لأبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي مؤرخة في 1رمضان582هـ/15نونبر1186م
مصدر الرسالة: الأرشيف الرسمي، بيزا، إيطاليا

رسالة بعث بها المرتضى الموحدي للبابا إينوصانت الرابع سنة: 648هـ/1250م
مصدر الرسالة: خزانة الفاتيكان، إيطاليا

شكل: 2

82 - القللوسي، تحف الخواص في طرف الخواص، ص: 25.

العلامـــات المستخرجـة:



علامة موحدية مستخرجة من رسالة لأبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي. مؤرخة في: 1رمضان 582هـ/15 نونبر1186م.



علامة موحدية مستخرجة من رسالة بعث بها المرتضى الموحدي للبابا إينوصانت الرابع سنة: 648هـ/1250م.

شكل: 3

وهناك توقيعات موحدية أخرى من غير عبارة الحمدلة، ترجع إلى عهد محمد الناصر بن المنصور الموحدي (594 - 610هـ/1198- 1213م). كان يختم بها الناصر مراسلاته الرسمية، وهي توقيعات تتضمن تاريخ المراسلة، حيث تشير إليه تلميحا أو تصريحا، وغالبا ما كانت تُكتب بخط الثلث المغربي؛ الذي كان لا يزال في تلك الفترة متأثرا ببعض ملامح الخطوط المشرقية كخط التوقيع والخط المسلسل المتفرع

عنه، حيث قد تجد ملامحه في المغرب ترتبط بعدة خطوط مشرقية وليس بملامح الثلث المشرقي فحسب، كما نلاحظه من خلال الشكل: 4



توقيع استخرجناه من رسالة موحدية أرسلها محمد الناصر الموحدي إلى جمهورية: "بيزة"، بتاريخ: 26 رجب 598هـ/21 أبريل 1202م

شكل: 4

وارتباطا بهذا الشكل، نشير إلى أن التوقيعات التي خُتمت بها الرسائل الموحدية، هي بقلم التوقيع المشرقي، بدليل أن التصرفات الجمالية التي استُخدمت في كتابتها، هي تصرفات جمالية كانت سائدة في المشرق خلال المرحلة نفسها تقريبا، ونستدل في ذلك - على سبيل المثال - بإدغام حرف: **"في"** في كلمة: **"كتب"**، فضلا عن عقد الحروف بشكل ثعباني، وهو التصرف الذي كان سائدا في التوقيع المشرقي، كما يلاحظ ذلك من خلال كتاب: **"جامع محاسن كتابة الكتاب"**، الذي كتب خطوطه في القرن العاشر الهجري محمد بن حسن الطيبي (ت.908هـ/1503م) على طريقة الخطاط البغدادي الشهير ابن

البـواب (350 - 413هـ/961 - 1022م)، ولإبـراز هـذا التشـابه؛ نسوق أنموذجا مماثلا لهذه الكتابة من خط الطيبي، استخرجناه من كتابه[83]، والذي يؤكد نظرية تناسـل الخطـوط العربيـة فـيما بينها واشتقاق بعضها من بعض، حيـث لا يخفـى عـلى متـذوقي الجمال أن إيقاع هذا الخـط حـاضر - أيضـا - بشـكل كبـير في إيقاع الخط الديواني الجلي الحديث (انظر شكل: 5).



التوقيع - المسلسل، وهو من أقدم نماذج المسلسل بخط محمد بن حسن الطيبي على طريقة ابن البواب.
المصدر: استخرجناه من مخطوط جامع محاسن كتابة الكتاب/محفوظ بطوب كابي سراي - استانبول رقم: 882، ص: 29/ب
شكل: 5

وفي إطار تعليقنا على العلامات الموحدية؛ نشير إلى أن ابن عبد ربه الحفيد ذهب إلى أن الخط الذي رسمت به، كان يتصل بـ: "**القلم المسند**"، أما ابن الوكيل فقد رأى أنها رسمت بـ: "**خط الثلث**"[84]، حيث يذكر أن "**خط العلامة الموحدية (الحمد لله وحده).. كانوا يكتبونها [أي: الموحدون] بيدهم بخط الثلث في رأس المنشور**"[85]. وقد أكد هذا المعطى ابن عذاري المراكشي (ت.695هـ/1296م) في كتابه: "**البيان المغرب**"، حيث يذكر أن الموحدين كانوا يكتبون "**بخط مشرقي؛ العلامـة - في ظهـائر -**

---

[83] - الطيبي (محمد بن حسن)، جامع محاسن كتابة الكتاب ونزهة أولي البصائر والألباب، نشر و تقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962م، ص: 58.

[84] - ابن شريفة، نظرة حول الخط الأندلسي، ص: 82.

[85] - المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ص: 270. وللمؤلف نفسه: - حضارة الموحدين، ص: 180.

التي هي: **(الحمد لله وحده)"**[86]، وفي موضع آخر يذكر أنهم كانوا يكتبون **"التواقيع بالمداد الأحمر المعروف للخلفاء"**[87].

ولا شك أن هذا الأمر يدعونا إلى إعادة النظر في تسمية: **"الثلث المغربي"** الذي نعته سكيرج بـ: **"الخط المشرقي"**[88]. وسمّاه المنوني تارة بـ: **"الخط المشرقي"**، وتارة بـ: **"الخط المشرقي المتمغرب"**[89]. وسمّاه قبلهما الفريد بيل بنعوت أخرى[90]. ومن خلال مساهمتي المتواضعة في ترميم كتابات مدرسة العطارين بمدينة فاس سنة: 1428هـ/2007م[91]، لاحظت - على سبيل المثال - أن الحِرَفيّين المغاربة لا يزالون يسمونه إلى اليوم باللّسان الدارج: **"لْمَشْرقي"** (بتسكين الميم والشين). وقد عزا بعض الباحثين تسميتهم لهذا الخط بـ: **"الثلث المغربي"** لاعتبارين اثنين:

<u>أولهما:</u> إن لفظة: **"المشرقي"** توحي إلى أن هذا الخط هو الوحيد الذي وفد من المشرق، بينما أصل كل الخطوط العربية المغربية هو المشرق الإسلامي، ولهذا ليس هناك سببا لتخصيصه بهذا النعت دون غيره من الخطوط.

---

[86] - المراكشي (ابن عذاري)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1985م، ص: 329.

[87] - ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، ص: 329.

[88] - سكيرج (عبد الكريم)، الخط العربي المغربي، مجلة الثقافة المغربية، العدد الثاني، شتنبر 1941م، صص: 67 - 72، نقلا عن: - المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 322.

[89] - المنوني، الوراقة المغربية، ص: 14. وص: 47.

[90] - عوني (موسى الحاج)، فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، منشورات عكاظ 2010م، ص: 537.

[91] - أسسها أبو سعيد عثمان المريني (710 - 731هـ/1310 - 1331م)، سنة: 725هـ/1325م. عن هذه المدرسة؛ انظر:

- Bel, A. L'épigraphie dans la décoration des médersas mérinides de Fès, Actes du Congrès d'histoire de l'art, Paris, 1921, p. 294-309

- Peritié, A., Les médersas de Fès, in Archives Marocaines, 1918, p. 257-372

- Terrasse Charles. Médersas du Maroc .A. Morancé (Paris). 1928. p.p. 21 - 23. et p.p. 25 - 33.

ثانيهما: إن تسميته بالثلث المغربي يدل على أنه يتميز عن الثلث المشرقي[92].

والحقيقة التي لا مفر منها، هو أننا إذا قمنا بمقارنة نماذج تاريخية لهذا الخط في المغرب بنماذج أخرى مزامنة لها في المشرق، فسنكتشف - لا محالة - أنهما كما لو خرجا من مشكاة واحدة، وحسب تقديري الخاص، فإن ما يسمى الآن بخط الثلث المغربي كان يشابه خط الثلث المشرقي المزامن له آنئذ، لكن الفرق بينهما، هو أن خط الثلث المشرقي قد تطور إلى أن وصل إلى ما وصل إليه من الإجادة والتجويد خلال عصر الدولة العثمانية، بسبب طول أمد هذه الدولة وشساعة رقعتها الجغرافية التي أهّلتها للاستفادة من تجارب سائر الحضارات المنضوية تحت لوائها، أما خط الثلث في المغرب فلم يتطور بالوتيرة نفسها، وذلك بسبب قِصر أعمار الدول التي تعاقبت على حكم بلاد المغرب من جهة، وانغلاق المغرب على نفسه - إلى حد ما - بعد سقوط الأندلس، مقابل دخول سائر الأقطار الإسلامية تحت طاعة العثمانيين من جهة أخرى. إضافة إلى ذلك يعتبر الثلث المغربي؛ من الخطوط التي تأثرت بملامح كثير من الخطوط المشرقية، حيث يجمع بين سمات خط الثلث المشرقي وخط التوقيع والخط المسلسل المتفرع عنهما، وباقي الخطوط المشرقية التي اندمجت في

---

[92] - عوني، فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي، ص: 537. عن الثلث المغربي، انظر:
- أفا (عمر) والمغراوي (محمد)، الخط المغربي. تاريخ وواقع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م، ص: 58 - 59. انظر ذلك أيضا بتفصيل في أطروحتنا:
- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، المصاحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصرين المريني والسعدي. مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأقلامه، أطروحة لنيل الدكتوراه، سُجّلت سنة: 2002م، وقُدّمت للمناقشة في الموسم (2010 - 2011م) بكلية الآداب، سايس/جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ص: 812 - 813.

بعضها لتنسجم وتتلاءم مع المؤثرات الإقليمية المغربية، وبالتالي الانصهار في بوثقة واحدة وفق نمط جعل من خط الثلث يكتسي صبغة مغربية، دون الانفصال عن أصله الذي يمَتد ويُستمد من المشرق.

فلا شك أن استعمال خط الثلث في الدواوين السلطانية بمراكش خلال العصر الموحدي حسب إفادة ابن الوكيل، يدعونا للقول بأن الأندلسيين والمغاربة الذين دخلوا في خدمة الدولة الموحدية، قد تأثروا بالخطوط المشرقية، بدليل ما ترويه بعض المصادر التاريخية المغربية والأندلسية من كون الخطاطين بالأندلس كانوا معجبين بـ: **"الخط المنسوب"** الذي أبدعه ابن مقلة (272 - 328هـ/886 - 939م) في عصر الدولة العباسية، ويُنسب لأبي عبيد البكري تارة، ولأبي مروان بن سراج تارة أخرى هذا البيت المشهور[93]:

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته	**ودّت جوارحه لو أصبحت مقلا**
فالدرّ يصفر لاستحسانه حسدا	**والورد يحمرّ من إبداعه خجلا**

ويقول ابن قزمان صاحب الموشحات - وهو من عصر المرابطين[94]:

وعهدي بالشباب، وحسن قدي	**حكى ألف ابن مقلة في الكتاب**
فصرت اليوم منحنياً كأنيَ	**أفتّش في التراب على شبابي**

ومن فرْط إعجاب الأندلسيين والمغاربة بخط ابن مقلة، شاع

---

[93] - ابن خاقان (الفتح بن أحمد بن غرطوج)، قلائد العقيان، طبعة: مصر، 1866م، ص: 190.

[94] - المقري، نفح الطيب، ج/4، ص: 23 - 24

في العصر الموحدي تقليد ألف هـذا الخطـاط العبـاسي الشـهير من طرف بعض الخطاطين، وفي بعضهم يقول أحدهم[95]:

الفقيـــــه ابـــــن نصـــــير   خطـــــه خـــــط نبيـــــل

ألفـــــات كرمـــــاح   بينهـــــا المعنـــــى قتيـــــل

وقد كان خط ابن مقلة معروفا لدى الخطاطين في المغرب والأندلس، حيث لا تكاد تخطئه العين. وفي هذا الشأن، نستدل بشهادة لأحد أعلام العصر الموحدي، ألا وهو: "ابن خليل السكوني" الذي قال عن خط ابن مقلة في فهرسته: **"شاهدت بجامع العدبس بإشبيلية ربعة مصحف في أسفار ينحى به لنحو خطوط الكوفة، إلا أنه أحسن خطاً وأبينه وأبرعه وأتقنه، فقال لي الشيخ الأستاذ أبو الحسن ابن الطفيل بن عظيمة: هذا خط ابن مقلة.. ثم قسنا حروفه بالضابط، فوجدنا أنواعها تتماثل في القدر والوضع، فالألفات على قدر واحد، واللامات كذلك، والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة"**[96].

ومن خلال استقرائنا لهذا النص؛ يتضح للعيان أن المغاربة والأندلسيين كان لهم جهاز خاص لقياس الحروف يسمونه: **"الضابط"**، وهذا إن دل على شيء؛ فإنما يدل على أن ذلك يعد من القرائن الصحيحة والصريحة التي تؤكد أنهم كانوا يكتبون خطوطهم وفق مقاييس معلومة، وضعوا هندستها بشكل يتماهى ويتلاءم أو يختلف ويتعارض مع القياسات المشرقية التي تعتمد على عدد النقط التي يشغلها كل حرف صعودا ونزولا، إفرادا وتركيبا، لكننا لحد الآن لا نزال نجهل طبيعة أداة القياس التي

---

[95] - ابن شريفة، نظرة حول الخط الأندلسي، ص: 81.

[96] - نقلا عن: - المقري، نفح الطيب، ج/4، ص: 304.

وردت في النص المذكور، إلا أننا - في الوقت ذاته - نستطيع التعرف على بعض ملامح وصفات الحروف التي تم تحديدها من خلال الاستناد في قياسها على ذلك الجهاز أو ما يشبهه.

من خلال النصوص السابقة إذن؛ يمكن القول أنه لا يمكن الحديث عن خط أندلسي رائق خلال عصر أمويي الأندلس، بقدر ما يمكن الحديث - فقط - عن بداية استقلال ذلك الخط عن تبعيته للخطوط المشرقية من حيث السمات الفنية وبعض الخصائص الإملائية؛ التي ترتبط بقانوني الإعجام والإهمال على وجه التحديد، وعليه، فإن ما يُحسب للدولة الأموية في الأندلس؛ هو خلق تلك الخصوصية الفنية والإملائية للخط الأندلسي، الذي كان لا يزال آنئذ في شكله الجنيني، أما مسألة التجويد الفني - وهذا هو ما يميز الخط الأندلسي الذي نعرفه من خلال شواهده المادية المخطوطة - فالفضل فيه يرجع إلى المرحلة التي شهدت اندماج الأندلسيين بالمغاربة، وتحديدا مرحلة الدولتين: المرابطية (448 - 541هـ/1056 - 1146م)، والموحدية (514 - 668هـ/1121 - 1269م)، حيث أضحت الأندلس ولاية تابعة لهاتين الدولتين المتعاقبتين[97]، وقد غلب الخط الأندلسي في هذه المرحلة - من حيث استعماله - على سائر الخطوط، حيث انتشر في سائر بلدان الغرب الإسلامي، وذلك بحكم تعلق الأندلسيين بأذيال الدولة المغربية، وتشبثهم بالخدمة في دواوينها، بنص شهادة ابن خلدون (732 - 808هـ/1332 - 1406م) الذي أشار إلى استعمال هذا الخط خلال العصر المرابطي حيث يقول: **"وأمّا أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر، وتغلّبت عليهم أمم النّصرانيّة،**

[97] - محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط العربي في بلاد المغرب، ص: 84 - 85.

فانتشـروا في عدوة المغرب وإفريقية من لدن الدولة اللّمتونيـة [المرابطية] إلى هـذا العهـد [يقصـد: عصـــر الدولـة المرينيـة].. وتعلّقوا بأذيـال الدّولـة، فغلـب خطّهـم عـلى الخـطّ الإفريقـيّ [يقصد به الخط القيرواني] وعفى عليه، ونُسـي خطّ القيروان والمهديّة بنسيان عوائـدهما وصـنائعهما. وصـارت خطـوط أهـل إفريقية كلّها على الرّسم الأندلسيّ بتونس وما إليها"[98].

من هنا يمكن القـول - حسـب تقـديرنا الخـاص - أن التسـمية الصحيحة لهذا الخط - ابتداء من العصـر المرابطي ثم العصور التي تليـه - يجب أن تكون هي: "**الخط الأندلسـي - المغربي**"، وذلك بالنظر للـدور البارز الذي لعبته الدولتان المغربيتان المذكورتان في تطـوير هـذا الخـط، فهو خط أندلســـي المولـد والمنشـأ، مغـربي الحـذق والإجـادة، ولعـل هـذا الاتجاه سيتأكد بشكل كبير في العصر المريني والعصور التي تليه، خاصـة بعد سقوط الأنـدلس واسـتمرار المغاربـة في اسـتعمال الخـط الأندلســي وتجويده، حتى بعد ظهور الخـط المبسـوط بحلتـه الجديـدة، مـما يجعـل هذه الصفة: (الخط الأندلسي - المغربي)، هـي الصفة الأكثر تمييزا له[99].

1 - 3 - محطة فـاس/ الخط الفاسي وعلاقته بتأسيس جامع القرويين منذ عصـر الدولة الإدريسية إلى حدود عصـر الدولة المرينية:

ترتبط هذه المحطة التاريخية بتأسيس "**الدولة المغربية**" منـذ عهـد إدريس (الأول) بن عبد الله الحسـني (172 - 177هـ/788 - 793م) الـذي استطاع الإفلات من موقعـة فخّ التي حدثت قرب مكة سنة: 169هـ/785م[100]،

---

[98] - ابن خلدون، المقدمة، ص: 528 - 529.

[99] - محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط العربي في بلاد المغرب، ص: 86 - 87.

[100] - انظر خبر إفلات إدريس بن عبد الله الحسني من موقعة فخ (قرب مكة) سنة: 169هـ/785م، ودخوله إلى المغرب سنة: 172هـ/788م، عند:

- الرازي (أحمد بن سهل)، أخبار فخ وخبر يحيي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، دراسة وتحقيق: د. ماهر جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1995م، صص: 321 - 328.

حيث فرّ بجلده نحو المغرب الأقصى ليؤسس فيه أول دولة مستقلة عن العباسيين سنة: 172هـ/788م، ويغلب على الظن أن الخط المستعمل في هذه المرحلة كان مطبوعا بطابع مشرقي محض، لأنه تأثر بكتابة الفاتحين العرب[101]، والمحقق لدى بعض المؤرخين أن مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب: إدريس الأول وحاشيته المشرقية كانوا يستخدمون **"الخط المشرقي"** في مكاتباتهم، لكن بعد ذلك أخذ الخط يميل إلى الكوفي (القيرواني) و(النسخي) المستعملين - معا - في تلك الفترة بالقيروان[102]. خاصة بعد تأسيس مدينة فاس في سنة: 192هـ/808م، حيث ازدهرت هذه المدينة أيّما ازدهار بعد بناء مسجدين جامعين سنة: 245هـ/859م في عدوتيها اللتين يفصل بينهما وادي الجواهر (وادي فاس). وهذان الجامعان هما: **"جامع الأندلسيين"** بعدوة الأندلس (أوالأندلسيين)، و**"جامع القَرْوِيِّين"** بعدوة القَرْوِيِّين (أوالقيروانيين)[103]، وإذا كانت العادة قد جرت خلال مغرب العصر الوسيط ببناء المساجد الجامعة من قبل الأمراء و السلاطين، فإن هذين الجامعين قد بُنِيا من قبل امرأتين فاضلتين؛ هما: مريم الفهرية، وأختها فاطمة أم البنين، ابنتا محمد بن عبد الله الفهري القيرواني أحد الوافدين على

---

[101] - المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 17.

[102] - المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 17.

[103] - "جامع القَرْوِيِّين" بتسكين الراء وليس بفتحها، لأن في فتحها ما يفيد نسبة الجامع إلى ساكني القرى، أما تسكينها فتكون النسبة إلى القيروانيين، وهذا هو الأصح. لأن هؤلاء قدموا من مدينة القيروان التونسية إلى مدينة فاس خلال العصر الإدريسي، فاستقروا بها على غرار الأندلسيين، مما نجم عنه ظهور عدوتين بمدينة فاس - يفصل بينهما وادي فاس - هما: عدوة الأندلس نسبة للأندلسيين، وعدوة القَرْوِيِّين نسبة للقيروانيين، وقد استعملت كلمة: "القَرْوِيِّين" عوض كلمة: "القيروانيين" جوازا للتخفيف.

مدينة فاس من إفريقية (تونس) سنة: 210هـ/825م[104]، حيث أسست الأولى جامع الأندلسيين، وأسست الثانية جامع القرويين بعد أن رخّص لهما في ذلك الأمير يحيى الأول الإدريسي (234 - 250هـ/849 - 864م).

وقد كان التنافس بين عدوتي الأندلسيين والقرويين بمدينة فاس على أشده، وهو التنافس الذي وصل إلى حد الصراع - في عصر الإمارات المغربية - قبل قيام الدولة المرابطية، كما يشير إلى ذلك ابن أبي زرع الفاسي (ت.741هـ/1340م) في كتابه: **"الأنيس المطرب بروض القرطاس"**[105].

والظاهر - حسب تقديري الخاص - أن ذلك التنافس بين عدوتي مدينة فاس (أي: عدوة الأندلسيين التي استقر بها الأندلسيون، وعدوة القَرْوِيِّين التي استقر بها القيروانيون)، قد تأثر بالتنافس أو حتى بالصراع الذي كان بين عدوتي الأندلس والمغرب، والذي شمل كل مناحي الحياة[106]، بما في ذلك الخط

---

[104] - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 54 - 55.

- الجزنائي (علي)، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية: 1991م، ص: 45.

[105] - يقول ابن أبي زرع: **"ولم تزل الخطبة تقام في عدوتي مدينة فاس من حين بنيت حتى الآن [أي إلى غاية العصر المريني]؛ خطبة بعدوة الأندلس، وخطبة بعدوة القرويين، وقيسارية ودار سكة بكل عدوة منها، وكان بها أيام زناتة سلطانان أخوان شقيقان؛ ابنا الأمير دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية، وهما: الفتوح وعجيسة، فكان الفتوح بعدوة الأندلس، وعجيسة بالقرويين، وكل واحد منهما له جيش وحشم، وألقى الله تعالى بينهما العداوة والبغضاء، كل ذلك على طلب الرياسة، وتنافسا على الظهور في الدنيا، فلم تزل الحرب بين الفريقين على قديم الزمان، والقتال بينهما على ضفة الوادي الكبير بموضع يعرف بكهف الرماد بين المدينتين، وكان أهل عدوة الأندلس أهل نجدة وشدة، وأكثرهم ينتحل الحراثة والفلاحة، وأهل عدوة القرويين أهل رفاهية ونخوة في البناء واللباس والفراش والمطعم والمشرب، وأكثرهم صناع وتجار وسوقة، ورجال عدوة القرويين أجمل من رجال عدوة الأندلس، ونساء عدوة الأندلس أجمل من نساء عدوة القرويين".** - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 43.

[106] - عن الصراع بين العدوتين الشمالية والجنوبية؛ يرجى مراجعة بحثنا لنيل الإجازة في شعبة التاريخ، وهو تحت عنوان: - خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، العلاقة الجدلية بين المغرب وشبه الجزيرة الإيبيرية خلال العصر الوسيط، الإجازة في الآداب، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 2000م.

الذي شهد التعصب لصنف على حساب صنف آخر. وفي هذا الشأن؛ يروي ابن الأبار (595 - 658هـ/1199 - 1260م) في: "**تحفة القادم**" خلال العصر المرابطي - الذي شهد الاندماج بين الأندلسيين والمغاربة - أن أبا الفضل يوسف بن النحوي القلعي (ت.513هـ/1119م) نزيل مدينة فاس، قد ذمّ "**الخط الأندلسي**"، فردّ عليه في ذلك أبو العباس ابن البراء التجيبي - من أهل الجزيرة الخضراء - في قطعة ميمية من سبعة أبيات منها[107]:

رمى معشري بالذم منطق يوسف	**وحسن الثريا مفحم كل ذائم**
أبا الفضل لا ترتب بأنك من فمي	**سليم أفاع لست منها بسالم**
أراكَ سفاهاً عبتَ خطَّ مَعَاشرٍ	**بهم تسفر الأيام عن وجه باسم**
فإن يكن فضلا ما تشي يد كاتب	**فكل العلا فيما تشي يد راقم**

وقد لاحظ محمد المنوني أن مدينة فاس أصبحت منذ هذا العصر؛ مركزا للخطاطين[108]، خاصة بعدما انتقل إليها الكثير من الأندلسيين بسبب اضطراب أحوال الأندلس. وساق المنوني في ذلك دليلا استقاه من كتاب: "**جذوة الاقتباس**" لابن القاضي (960 - 1025هـ/1553 - 1616م)، ويتعلق الأمر بترجمة لأحد الخطاطين المعروفين في ذلك العصر، ألا وهو: "أبو زيد عبد الرحمن بن محمد" المعروف: "بابن الصقر الأنصاري

---

[107] - ابن الأبار، تحفة القادم، ص:15.

[108] - المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص:21.

البلنسي" ثم "المري" الأصل (ت.523هـ/1128م)، الذي ذكر عنه ابن القاضي أنه: **"سكن مدينة فاس ووعظ بها الناس، والتزم الوراقة في حانوت بغربي جامعها"**[109].

وفي عصر الدولة الموحدية، تطور الخط بمدينة فاس تطورا غير مسبوق، وممن اشتهر بجودة الخط من أهل هذه المدينة:
* قاضي الموحدين: أبو حفص بن عمر السلمي (530 - 603هـ/1135 - 1206م)، الذي أشار ابن الأبار إلى أنه كان معروفا بـ: **"جودة الخط وبراعة الأدوات"**[110]، وهو من مواليد مدينة أغمات، سكن بمدينة فاس، وتولى القضاء لثاني خلفاء الموحدين أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن (558 - 580هـ/1163 - 1184م). ثم تولاه لابنه من بعده أبي يوسف يعقوب المنصور (580 - 595هـ/1184 - 1198م)، وظل في منصبه إلى حين وفاته.
* أبو محمد عبد الله بن حريز المعروف بـ: "ابن تاخميست الفاسي" (ت.608هـ/1212م)، الذي كان لا يتقاضى أجرا على المصاحف التي ينسخها بيده. وقد قال عنه ابن الزيات التادلي (ت.617هـ/1220م) في: **"التشوف": "كان أبو محمد ابن تاخميست يدفع لأصحابه قراطيس فيها دراهم طرية طيبة، وكان ينسخ المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلا لها"**[111]. أما ابن أبي زرع الفاسي (ت.741هـ/1340م)، فقد قال عنه في: **"الأنيس المطرب بروض القرطاس": "كان له خط حسن، وكان ينسخ المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلا لها ابتغاء الثواب"**[112].

---

[109] - ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص: 409.

[110] - ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج/3، ص: 163.

[111] - ابن الزيات (يوسف بن يحيى التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم: 22، الطبعة الأولى: 1984م، ص: 390.

[112] - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 272.

ومهما يكن من أمر، فإن عدوة القرويين قد اشتهرت على حساب عدوة الأندلسيين بمدينة فاس، ولا شك أن ذلك يُعزى إلى جامع القرويين الذي لمع نجمه على حساب جامع الأندلسيين، حيث سيصبح أعظم مسجد جامع، ليس في مدينة فاس أو في المغرب وحده، بل وفي العالم كله، وذلك بالنظر إلى كونه يعد أقدم جامعة عالمية حسب منظمة اليونسكو، وكذا الموسوعات الدولية وخاصة موسوعة غينيس للأرقام القياسية[113]، وقد أضحى هذا الجامع - الجامعة منذ تأسيسه؛ مجمعا فقهيا انتظم في سلكه أهل الحل والعقد من العلماء والفقهاء، لتتجاوز اختصاصاته الأدوار الدينية المعلومة (الصلوات الراتبة، صلاة الجمعة)، إلى أدوار أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها، كالدور التعليمي التربوي، والدور السياسي الذي يتجلى في مراقبة الحكام وتقويمهم.

وفي هذا الشأن؛ يشير عبد الواحد المراكشي (581 - 647هـ/1185 - 1250م)، في كتابه: "**المعجب**" الذي

---

[113] - يعتبر جامع القرويين أقدم جامعة في العالم لا تزال بقيد الوجود إلى الآن دون انقطاع حسب منظمة اليونسكو، وكذا موسوعة غينيس للأرقام القياسية التي اعتبرته أقدم جامعة في العالم لا تزال تؤدي دورها الأكاديمي منذ تأسيسها، فضلا عن العديد من المؤرخين الذين أكّدوا هذا المعطى، فقد كتب ديلفان منذ ما يقرب قرنا من الزمان يقول: "**كانت مدينة فاس بحق دار العلم بالمغرب، وتعد جامعة القرويين فيها أول مدرسة في الدنيا**"، أما المستشرق الروسي جوزي فقد كتب منذ أرباع القرن يقول: "**إن أقدم كلية في العالم ليست في أوربا كما كان يظن، بل في إفريقيا في مدينة فاس عاصمة المغرب..**"، وقال روم لاندو: "**قد شُيد في فاس منذ أيامها الأولى، جامع القرويين الذي هو أهم جامعة وأقدمها، وفي القرويين هنا كان العلماء منذ حوالي 1000 سنة يعكفون على المباحث الدينية والمناظرات الفلسفية، التي قد تتجاوز دقتها إدراك فكرنا الغربي، وكان المثقفون يدرسون التاريخ والعلوم والطب والرياضيات، ويشرحون أرسطو وغيره من مفكري الإغريق**"، ومن جملة من تلقى العلم بهذه الكلية - يقول جوزي - "**... البابا سلفستر، وهو أول من أدخل إلى أوربا الأعداد العربية، وطريقة الأعداد المألوفة عندنا بعد أن أتقنها جيدا في الكلية المذكورة، كما يظهر ذلك من رسالته إلى الإمبراطور (أتون) Othon، مساعده، التي أتى فيها على ذكر الصفر العربي بقوله: إني أشبهك بالرقم الأخير من الأعداد البسيطة العشرة، الذي يزداد قيمة بوضع أعداد أخرى يساره**". ومعلوم أن سيلفستر الثاني (غربيرت دورياك)، قد شغل منصب البابوية من سنة: 999م إلى سنة: 1003م. نقلا عن:

- التازي (عبد الهادي)، جامع القرويين. المسجد والجامعة بمدينة فاس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى: 1972م، ص: 114 - 115 - 116.

ألفه خلال العصر الموحدي إلى أن الريادة في العلوم و الفنون والحضارة ومظاهرها انتقلت من القيروان وقرطبة إلى فاس باعتبارها مهد جامعة القرويين، حيث يقول: "**ومدينة فاس هذه، هي حاضرة المغرب في وقتنا هذا، وموضع العلم منه؛ اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة؛ إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس، كما كانت القيروان حاضرة المغرب. فلما اضطرب أمر القيروان - كما ذكرنا - بعَيْثِ العرب فيها، واضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت أبي عامر محمد بن أبي عامر وابنه، رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة؛ فرارًا من الفتنة؛ فنزل أكثرهم مدينة فاس؛ فهي اليوم على غاية الحضارة، وأهلها في غاية الكَيْس ونهاية الظَّرْف، ولغتهم أفصح اللغات في ذلك الإقليم. وما زلت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب، وبحق ما قالوا ذلك؛ فإنه ليس بالمغرب شيء من أنواع الظرف واللباقة في كل معنى إلا وهو منسوب إليها، وموجود فيها ومأخوذ منها؛ لا يدفع هذا القول أحد من أهل المغرب**"[114].

أما ابن أبي زرع الفاسي (ت.741هـ/1340م)، فقد أكّد في كتابه: "**الأنيس المطرب بروض القرطاس**" أن مدينة فاس خلال العصر المريني "**لم تزل.. من حين أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين، وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها.. ومدينة فاس لم تزل أمّ بلاد المغرب في القديم والجديد، وهي الآن [أي خلال العصر المريني] قاعدة ملوك بني مرين أطال الله أيامهم، وأعلى أمرهم، وخلد سلطانهم، فهي منهم في المحل الرفيع، و الشكل البديع**"[115].

---

[114] - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 256 - 257.

[115] - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 32 - 33.

وقد أصبحت مدينة فاس أكبر مدينة في الغرب الإسلامي يستوطنها الأجانب منذ تأسيسها إلى حدود سنة: 726هـ/1326م، وهي السنة التي تتزامن مع عهد أبي سعيد المريني (710 - 731هـ/1310 - 1331م)، كما تنص على ذلك شهادة صاحب "**الأنيس المطرب**" الذي يقول: "**ومدينة فاس لم تزل من يوم أسّست مأوى الغرباء، من دخلها استوطنها وصلح حاله بها، وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم، فهي في القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية، وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب، لم يزل ذلك على مر الزمان... فلم تزل منذ بُنيت إلى يومنا هذا؛ وهو عام ستة وعشرين وسبعمائة [726هـ/1326م] دار علم وفقه وسُنّة، والجماعة بها قائمة**"[116].

من هنا يمكن القول أن وجود جامعة القرويين بمدينة فاس، هو ما سمح دون أدنى شك "**للمدرسة الفاسية**" بلعب دور بارز في حفظ الخطوط الأندلسية الرائقة، لاسيما اللينة منها، ونحن إذ نتكلم عن مدرسة مغربية - فاسية، لا نقصد بالضرورة مصطلح: "مدرسة" من حيث الدلالة الأكاديمية التعليمية، ولكننا نقصد - بالأساس - تراكمات التجارب الفنية الإبداعية للخطاطين المغاربة في مختلف الفترات التاريخية، سواء كانت تلك التجارب فردية أو جماعية، فردية من حيث الأنماط الفنية (صور الحروف وأسرار تركيبها) التي أوجدها كل خطاط لنفسه على حدة، وجماعية من حيث القواسم الفنية المشتركة بين الخطاطين المغاربة، والتي أسهمت في إنتاج أصناف الخط المغربي المعروفة بأسمائها، والموسومة بصور حروفها الموحدة إفرادا وتركيبا؛ وذلك حسب صنف كل خط من الخطوط.

---

[116] - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 36 - 37.

وقد أشار ابن خلدون (732 - 808هـ/1332 - 1406م) في العصر المريني - من خلال حديثه عن الخط في بلاد المغرب - إلى دور مدينة فاس في تجويد الخطوط اللينة بشكل مبطن، ويؤخذ ذلك من قوله: **"وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لون من الخطّ الأندلسيّ لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم [أهل الأندلس] إلى فاس قريبا واستعمالهم إيّاهم سائر الدّولة"**[117].

ويبقى استعمال كلمة: **"لون"** من طرف ابن خلدون في تحديد ملامح الخط بالمغرب، إشارة صريحة إلى الإثراء الكبير الذي عرفته الخطوط عند المرينيين، وتحديدا في قاعدة ملكهم: فاس التي دخلها الأندلسيون واستوطنوا أطرافها، وهو اللون الذي اصطُلِح على تسميته بـ: **"الخط الأندلسي المتمغرب"**، لكونه صار متميزا عن الخط الأندلسي في أوضاع حروفه[118].

ولعل هذه الإشارة الصريحة؛ هي ما يحيلنا على ظهور أساليب جديدة في الخط بالمغرب - وتحديدا في مدينة فاس - بعد سقوط الأندلس، مما يفسر بشكل أو بآخر، ظهور مسمى: **"الخط الفاسي"** في تلك المرحلة؛ باعتباره الرافد الثاني للخط المبسوط بعد الخط الأندلسي، فضلا عن كونه الشكل الجنيني للمجوهر المليح الذي سينبثق منه.

من هنا يمكن القول أن الخط الفاسي قد أصبح منذ العصر المريني خطا رسميا في الدواوين السلطانية بالمغرب، حيث تم اعتماده في تحرير الرسائل السلطانية، فضلا عن اعتماده في نسخ المخطوطات العلمية، مما أسهم في تجويد صوره التي أصبحت مطبوعة بما سماه مفتي الديار التونسية؛

---

117 - ابن خلدون، المقدمة، ص: 529.

118 - المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 45 - 46.

محمد الفاضل بن عاشور (1327 - 1390هـ/1909 - 1970م) بـ: "الـذوق الفـاسي".
يقول ابن عاشور في ذلك: **"استتبعت العناية المرينية بتصحيح الكتب وضبطها عناية بتجويد الخط، وتجميل الطوالع، وإظهار التراجم والمقاطع، وإبداع التزويق والجدولة والتلوين والتذهيب؛ وذلك ما ورد في أخبار مصاحف السلطان أبي الحسن، وما وفّر لها من آيات الجلال والجمال. وبذلك كان للوراقة مكانها السامي من بين مظاهر الحياة الفاسية، وأعانت سعة الحضارة وضخامة الدولة من جهة، ورقة الذوق الفاسي من جهة أخرى، وتأثير الخطاطة والوراقة الأندلسيتين من جهة ثالثة، على أن أصبح الكتاب موضوع عمل فني رقيق، يبدو فيه الذوق السليم، والصناعة الرشيقة، والبذل الواسع. وقد اكتملت لمدينة فاس أسباب الإتقان الفني للكتاب من جميع هذه النواحي، حتى أصبحت تُقصد لطلب الكتب من حيث جمال المجلدات ونفاستها، كما تُقصد لطلب التأليف المهم والضبط الصحيح، حتى أصبحت الكتب المخطوطة بفاس على تفاوت مراتبها ذات كثرة غالبة على مخطوطات المكتبتين: الزيتونة والعبدلية [بتونس].."**[119].

وبالانطلاق من شهادة ابن عاشور، يتضح أن المدرسة الفاسية قد برزت في الخط بشكل كبير خلال عصر الدولة المرينية، لأن هذه الدولة اتخذت من مدينة فاس عاصمة سياسية لها، وهو ما زاد في تعزيز دورها دون أدنى شك، لاسيما وأن الديوان السلطاني المريني بالمدينة؛ كان يجمع في جنباته الكُتّاب والخطاطين والموقّعين الذين تخصصوا

---

[119] ـ نقلا عن:

- المنوني (محمد)، تقنيات إعداد المخطوط المغربي، أبحاث مختارة، مطبعة دار المناهل، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، فبراير: 2000م، ص: 228 ـ 229. وللمؤلف نفسه:

- قبس من عطاء المخطوط المغربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1999م، ص: 661.

في تحرير الرسائل السلطانية وتوقيعها بالخط الفاسي الذي تفرعت أساليبه واستقلت صوره. وفي هذا المعنى، يذكر ابن خلدون (732 - 808هـ/1332 - 1406م) الذي خدم في الديوان السلطاني المريني بمدينة فاس[120]، أن من ضمن وظائف ذلك الديوان، وظيفة حساسة خاصة بالتوقيعات والعلامات السلطانية، أطلق عليها: **"وظيفة العلاَمة والكتابة"**[121]، أما ابن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م) الذي خدم - هو الآخر - بالديوان نفسه، وألف كتابه: **"مستودع العلامة ومستبدع**

[120] - يقول ابن خلدون في ذلك عن نفسه: **".. كنت شابا لم يطرَ شاربي.. وعاد السلطان أبو عنان إلى فاس وجمع أهل العلم للتحليق بمجلسه، وجرى ذكري عنده وهو ينتقي طلبة العلم للمذاكرة في ذلك المجلس، فأخبره الذين لقيتهم بتونس عني ووصفوني له، فكتب إليّ الحاجب يستقدمني، فقدمت عليه سنة خمس وخمسين وسبعمائة [755هـ/1354م] ونظمني في أهل مجلسه العلمي، وألزمني شهود الصلوات معه، ثم استعملني في كتابته والتوقيع بين يديه على كُره مني، إذ كنت لم أعهد مثله لسلفي"**.

- ابن خلدون، كتاب العبر، ج/7، ص: 534. انظر أيضا:

- ابن خلدون (عبد الرحمن)، رحلة ابن خلدون، أو مايسمى بـ: **"التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا"**، عارضها بأصولها وعلق على حواشيها: محمد بن تاويت الطَّنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى: 2004م، ص: 67.

ويقول في موضع آخر: **"كان اتصالي بالسلطان أبي عنان، آخر سنة ست وخمسين [756هـ/1355م]، وقربني وأدناني، واستعملني في كتابته، واختصّني بمجلسه للمناظرة والتوقيع عنه، فكثر المنافسون، وارتفعت السعايات، حتى قويت عنده بعد أن كان لا يغير عن صفائه.. فقبض عليّ وامتحنني وحبسني [في 18صفر من سنة: 758هـ/10 فبراير1357م].. وما زلت أنا في اعتقاله إلى أن هلك"**.

- ابن خلدون، المقدمة، ص: 11- 12. - ابن خلدون، كتاب العبر، ج/7، ص: 539. انظر أيضا:

- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص: 72 - 73.

وفي عهد أبي سالم أطلق سراحه وأعيد إلى خِطته، بعد أن حُبس في عهد أبي عنان بسبب السعاية والوشاية، وقد قام السلطان المريني الجديد بـ: **"جعل العلامة لعلي بن محمد بن مسعود صاحب ديوان العساكر، والإنشاء والتوقيع والسرّ لمؤلف الكتاب عبد الرحمن ابن خلدون [يقصد كتابه العبر الذي أهداه لأبي فارس عبد العزيز بن أبي سالم المريني، وكان حينها ابن خلدون في القاهرة]"**.

- ابن خلدون، كتاب العبر، ج/7، ص: 525. انظر أيضا:

- ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص: 56.

[121] - ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص: 45.

العلامة" للمرينيين[122]، فقد نعتها بـ: **"خِطّة العلاَمة والرِّقاع"**[123]. وهي الوظيفة أو الخِطّة التي كان يُستعمل فيها الخط الفاسي بأقلامه الدقيقة والغليظة، حيث كان يُستخدم القلم الدقيق في تحرير النصوص، والقلم الغليظ في رسم العلامة.

ولا شك أن ذكر العلاَمة من طرف كل من ابن خلدون وابن الأحمر، يدلنا على استعمال التوقيعات في الدواوين المرينية، باعتبارها تقليدا سلطانيا يضفي طابع الرسمية على الوثائق السلطانية، أما ذكر الرقاع من طرف ابن الأحمر، فهو يحيلنا على "قلم" أو "خط الرقاع" الذي عادة ما كان يستعمله كُتّاب الإنشاء في تحرير الرسائل السلطانية منذ العصر العباسي، وذلك قبل أن يحل محله الخط الديواني في المشرق. وعليه، يمكن القول ان الخط الفاسي الذي كانت تحرر به الرسائل في المغرب، يقابله خط الرقاع الذي كانت تحرر به الرسائل في المشرق، وعندما حل الخط الديواني العثماني محل خط الرقاع في المشرق، تطور الخط الفاسي في الفترة نفسها تقريبا بالمغرب ليصير خطا مليحا اصطُلح على تسميته في مراحل متأخرة بالخط المجوهر. لذلك فإننا لا نجد أية غضاضة في اعتبار الخط الفاسي المجوهر خطا ديوانيا مغربيا من حيث وظيفته، تماما كما هو الشأن بالنسبة للخط الديواني العثماني الذي أخذ تسميته من وظيفته.

---

[122] - يُعدّ أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م) أشهر من ألّف كتابا في العلامات السلطانية - ليس في المغرب فحسب - بل في العالم الإسلامي برمته، حيث سمّى كتابه الذي خصصه لذلك: **"مستودع العلامة ومستبدع العلامة"**، وهو الكتاب الذي ألّفه للمرينيين، وتحديدا لـ: **"صاحب القلم الأعلى أبو زكرياء يحيى ابن الفقيه العالم الكاتب أبي علي الحسين بن أبي دلامة.. كاتب علامة السلطان أبي العباس أحمد [المستنصر المريني/ت.796هـ/1393م].."**، وفي موضع آخر يشير إلى اسم كتابه واسم ولي نعمته بقوله: **".. وسميته: (مستودع العلامة ومستبدع العلامة)، وطرزته باسم.. صاحب القلم الأعلى في الدولة المستنصرية [يقصد في عهد أبي العباس أحمد المستنصر المريني].. أبي زكرياء يحيى ابن الفقيه.. وكاتب الدولة العلوية [يقصد في عهد أبي الحسن علي المريني].. أبي علي الحسين ابن أبي دلامة.."**. - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 18 - 19. وأيضا: ص: 75.

[123] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 32.

وحتى نتعرف على بعض الخطاطين الذين التحقوا بالديوان المريني بمدينة فاس، لا بد من ربط ذلك بالأعمال الديوانية التي كان من مقتضاها؛ إجادة الخط الفاسي باعتباره خطا ديوانيا سلطانيا، اتخذه سلاطين بني مرين خطا رسميا لتحرير مراسلاتهم ومكاتباتهم السلطانية، وفي هذا الشأن؛ نذكر - على سبيل المثال لا الحصر - أحد أشهر الخطاطين الذين خدموا في الديوان السلطاني المريني وحرروا رسائل المرينيين بالخط الفاسي؛ ألا وهو: الخطاط "أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي" (676 - 749هـ/1277 - 1348م) الذي اتصل بالسلطان المريني أبي سعيد (710 - 731هـ/1310 - 1331م) منذ سنة: 712هـ/1312م، **"فقلده كتابته وعلامته"**[124]. ودام له ذلك طيلة عهد هذا السلطان وعهد ابنه أبي الحسن المريني (731 - 749هـ/1331 - 1348م) إلى أن توفي سنة: 749هـ/1348م في الطاعون الجارف الذي ألمّ بتونس، خلال أواخر عهد أبي الحسن[125].

وقد وصف ابن مرزوق (710 - 781هـ/1310 - 1379م) في كتابه: "**المسند الصحيح الحسن**" هذا الخطاط في عهد السلطانين المذكورين بـ: "**صاحب العلامة وإمام الكتبة**"[126]. بينما وصفه أحمد المقري (986 - 1041هـ/1578 - 1631م) في: "**نفح الطيب**"، بـ: "**صاحب القلم الأعلى**"[127].

وبالرغم من كثرة الأسماء التي تواردت وتواترت على هذا المنصب خلال العصر المريني، يبقى عبد المهيمن هو

---

[124] - ابن خلدون، كتاب العبر، ج/7، ص: 328. انظر أيضا:
- ابن الأحمر (أبو الوليد)، روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م، ص: 24. وللمؤلف نفسه: - مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 50.

[125] - ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص: 45.

[126] - ابن مرزوق (محمد)، المسند الصحيح الحسن، في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص: 264.

[127] - المقري، نفح الطيب، ج/5، ص: 465.

أهـم كـاتبي العلامـة المرينيـة، إلى جانـب ابـن رضـوان النجـاري (ت.783هـ/1381م)، الذي تولى منصب العلامة بمجرد وفـاة السلطان المريني أبي سالم (760 - 762هــ/1359 - 1361م)، ليحتكره إلى حـين وفاته، إلى درجة وصفه معها المقري (986 - 1041هــ/1578 - 1631م) في: "**نفـح الطيـب**" بـ: "**صـاحب العلامـة العليـة والقلـم الأعـلى بالمغرب**"[128]. وقد خدم ابن رضوان الدولة المرينية أكثر مـن 40 سـنة منذ اتصاله بالسلطان أبي الحسن المريني سنة: 741هـ/1340م[129].

وتشير المصادر إلى أن ابن رضوان هذا قد استعان بعدة خطاطين بـارعين في تحريـر الرسـائل السـلطانية، وعـلى رأسـهم الخطاط: "محمد بن محمـد بـن رشـيد"، الـذي كـان يجيـد كتابـة الخط الفاسي، حتى شُبّه خطه بخط ابن مقلـة مـن حيـث تجويـد الحروف وتناسقها وتناسبها. ويُستفاد هذا الأمر من خـلال إشـارة لابـن القـاضي (960 - 1025هـــ/1553 - 1616م)، في: "**جـذوة الاقتباس**"، أورد فيها ما يفيد أن هذا الخطاط "**كتب في حضـرة أبي عنان المريني، وكتب بعده لجملة من بني مرين.. وكان حسن الخط بارعه، ابن مقلة زمانه، إلا أنه لم يكن عنده عربية، فكان إذا أمر السلطان بكُتُب [أي: رسـائل] للملـوك. ينشـئها.. الكاتـب أبو القاسم عبد الله.. بن رضوان النجاري... ويعطى للكاتـب ابن رشيد فيكتب ذلك من خط ابن رضوان**"[130].

والجدير بالذكر أن العلامة المرينية التـي كانـت تكتـب بخـط الثلـث المغـربي (أو المشــرقي المتمغـرب)، قـد تـأثرت في رسومها بمظاهر الخط الفاسي الذي ينزع إلى طمس الحـروف وتعويرها فضلا عن إدغامها وتشابكها.

---

[128] - المقري، نفح الطيب، ج/6، ص: 107. انظـر أيضـا: - ابـن الأحمـر، روضـة النســرين في دولـة بنـي مرين، ص: 29. وللمؤلف نفسه: - مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 51.

[129] - انظر سيرته عند: - ابن خلدون، العبر، ج/7، ص: 525.

[130] - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج/1، ص: 231 - 232.

وفي حديثه عن العلامات المرينية، ذهب ابن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م) الذي استفاض في وَصْفِها وتَوْصِيفِها حتى حدود سنة: 800هـ/1398م[131]، إلى أنها كانت موحدة في أشكالها ورسومها، لكنه اعترف - مع ذلك - باختلافاتها الطفيفة في بعض الجزئيات المتعلقة بالمنطوق اللفظي. بدليل قوله: "**فإذا رأيت الصك المريني وعلامته: (وكتب في التاريخ المؤرخ به). فهي <u>بخط يد السلطان</u>، وإذا كانت: (وكتب في التاريخ)، فهي <u>بخط يد صاحب العلامة</u>**"[132].

ولتأكيد شهادة ابن الأحمر، نشير إلى أننا قد وقفنا على رسالة أرسلها السلطان أبو الحسن المريني (731 - 749هـ/1331 - 1348م) إلى بيدرو الرابع ملك أراغونة، في: 29 رجب 751هـ/1 أكتوبر 1350م، وهي رسالة أرسلها بعد تنازله - قسرا - عن الحكم لابنه أبي عنان (749 - 759هـ/1348 - 1358م) سنة: 749هـ/1348م، وذلك قبل وفاته سنة: 752هـ/1351م، حيث وضع عليها العلامة المرينية **(وكتب في التاريخ المؤرخ به)** بخط يده. (انظر شكل: 6).



علامة بخط السلطان المريني أبي الحسن علي (731 - 749هـ/1331 - 1348م)، استخرجناها من رسالة بعثها إلى بيدرو الرابع ملك أراغونة في 29 رجب 751هـ/1 أكتوبر 1350م، وهي رسالة أرسلها بعد تنازله عن الحكم لابنه أبي عنان سنة: 749هـ/1348م، وقبل وفاته سنة: 752هـ/1351م.

مصدر الرسالة: أرشيف التاج الأراغوني - برشلونة، رقم: 99/رسائل عربية

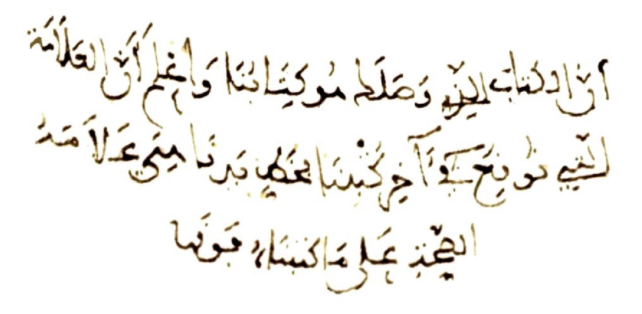
شكل: 6

---

[131] - المنوني (محمد)، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية: 1996م، ص: 84.

[132] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 21.

وباطلاعنا على مضمون الرسالة السابقة، نجد في آخرها ما يؤكد أن السلطان المريني أبا الحسن؛ قد كتب العلامة المرينية بخط يده كما صرح بذلك لبيدرو الرابع ملك أراغونة الذي بعث إليه بهذه الرسالة، حيث ورد فيها ما نصه بالخط الفاسي: "**إن الكتاب الذي وصلك هو كتابنا، واعلم أن العلاَمة التي نوقع في آخر كُتبنا بخط يدنـا، هي: علاَمة الصحة على ما كتبناه فوقها**". (انظر شكل: 7).



1 - إن الكتاب الذي وصلك هو كتابنا، واعلم أن العلاَمة

2 - التي نوقع في آخر كُتبنا بخط يدنـا، هي: علاَمـة

3 - الصحة على ما كتبناه فوقها.

خاتمة رسالة السلطان المريني أبي الحسن علي (731 - 749هـ/1331 - 1348م) إلى بيدرو الرابع ملك أراغونة في 29 رجب 751هـ/1 أكتوبر 1350م، يؤكد من خلالها أن العلامة السلطانية الواردة فيها بخط يده

مصدر الرسالة: أرشيف التاج الأراغوني - برشلونة، رقم: 99/رسائل عربية

شكل: 7

ومن خلال استقرائنا لبعض النصوص الواردة في بعض الرسائل المرينية، يتضح أن العلامة كانت تنوب عن الختم في المغرب الوسيطي، وقد وقفنا على التداخل بين هذين العنصرين الفنيين والسياديين خلال العصر المريني بشكل كبير، ونسجل ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - من خلال بعض الوثائق

المرينية التي كُتبت بخط فاسي مجوهر، ونذكر منها وثيقتين اثنتين؛ إحداهما لأبي الحسن المريني، والثانية لابنه أبي عنان. (انظر شكل: 8).

كتب مولانا السلطان أبو الحسن علامته المعلومة وأمر بطابعه المعروف

مقطع استخرجناه من رسالة من أبي الحسن المريني في: 5 شوال 739هـ/15أبريل1339م

ختمنا عليه بخاتمنا المعهود عنا، وكتبنا عليه علامتنا التي هي بخط يدنا

مقطع استخرجناه من اتفاقية بين أبي عنان فارس وجمهورية بيزة، بتاريخ: 28 ربيع الثاني 759هـ/9أبريل1358م.

شكل: 8

وانطلاقا من بعض الوثائق المرينية الأخرى أيضا، يتضح لنا بجلاء أن المرينيين قد كتبوا علامتهم في تراكيب بديعة متأثرة بأسلوب الخط الفاسي، وحتى نقف على مكامن ذلك الجمال، قمنا باستخراج بعض نماذجها الواردة في الوثائق المرينية المذكورة، والتي اجتهد في كتابتها السلاطين المرينيون، وخاصة؛ أبو عنان فارس (749 - 759هـ/1348- 1358م) الذي وصفه ابن القاضي بأنه كان: "**حسن التوقيع**"[133]، حيث أمعن في تجويد التوقيعات المرينية تجويدا فنيا كبيرا على مستوى التركيب والتأليف، كما يشهد على ذلك الأنموذجان التاليان، اللذان قمنا باستخراجهما من بعض رسائله المؤرخة في: 751هـ/1350م، و759هـ/1358م. (انظر شكل: 9).

---

[133] - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص: 508.



توقيع استخرجناه من رسالة لأبي عنان المريني (749 - 759هـ/1348 - 1358م)، إلى بيدرو الرابع ملك أراغونة. مؤرخة في: 751هـ/1350م
مصدر الرسالة: أرشيف التاج الأراغوني - برشلونة، رقم: 102 - 104/رسائل عربي
عبارة: "وكتب في التاريخ". مكتوبة بخط يد صاحب العلامة حسب ابن الأحمر[134].



توقيع استخرجناه من اتفاقية بين أبي عنان فارس وجمهورية بيزا بالنص العربي وترجمتها باللغة الإيطالية، مؤرخة في: 28 ربيع الثاني 759هـ/9 أبريل 1358م. يظهر عليها توقيعه بخط يده: "وكتب في التاريخ المؤرخ أعلاه"
مصدر الرسالة: أرشيف مدينة بيزا الإيطالية
عبارة: "وكتب في التاريخ المؤرخ أعلاه". مكتوبة بخط السلطان أبي عنان حسب ابن الأحمر[135].
شكل: 9

من خلال ما سبق، يمكن القول أن "محطة فاس" تُعد المحطة التاريخية التي تحيلنا على هيمنة مدينة فاس على عموم منطقة الغرب الإسلامي خلال عصر الدولة المرينية، وذلك لأنها كانت في تلك المرحلة عاصمة للمذهب المالكي وقاعدة ملك المرينيين، حيث بدأ الخط المغربي يأخذ شكله النهائي في هذا العصر، فبدا متميزا عن باقي الخطوط

[134] - ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص: 21.
[135] - ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص: 21.

المتداولة في الغرب الإسلامي، وبدأت تتضح أصنافه وأنواعه وأساليبه، وهي الأصناف التي ستتجاوز - إلى عهد قريب - البعد الإقليمي في تسمياتها التي كانت سائدة في الغرب الإسلامي اعتبارا من ذلك التاريخ، والاستعاضة عنها بتسميات فنية، فأصبح الخط يُنسب إلى سماته الفنية (خط مبسوط.. خط مجوهر.. خط زمامي..) عوض أن يُنسب إلى صقع أو قطر أوجهة أو مدينة (خط قيرواني.. خط أندلسي.. خط فاسي..)، وفي هذا المضمار يشير ابن سماك العاملي (توفي بعد: 812هـ/1409م) في كتابه: "**رونق التحبير**" إلى أنواع الخط المغربي خلال المرحلة المزامنة للعصر المريني، مما جعل من إشارته أقدم إشارة تحيلنا على أصناف الخط في المغرب، والتي حصرها في أربعة أصناف نقل مسمياتها عن ابن السيد الذي ميّز المبسوط من بينها، واعتبره الخط الليّن الذي حلّ في نسخ المصاحف محلّ الخط الكوفي القديم أو(خط الجزم)، بينما أصبح استعمال هذا الأخير منحصرا في بعض الكتابات المعمارية وبعض المصاحف التي تعود إلى ما قبل القرن الخامس الهجري. يقول ابن سماك: "**ولايُعرف اليوم في زماننا هذا [يقصد الفترة المزامنة لعصر المرينيين] من أصناف الخط غير أربعة أنواع؛ خط المغاربة، وهو: الخط الذي يُكْتب به الآن، ويستعمل من أقصى المغرب والأندلس إلى الإسكندرية، يُتداول الكتُبُ به أزيد من خمسمائة سنة. وخط المشارقة، وهو: الذي يُكْتب به في مصر والشام والحجاز والعراق وهو عندهم صغير الثلث**[136] **. وخط المصاحف، وهو: الخط المبسوط المتداول كتُبُه لهذا العهد. وخط الجزم، وهو:**

---

[136] - "**صغير الثلث**" هو ضرب من ضروب الخطوط التي كانت مستعملة في أعمال التدوين والنساخة بالمشرق، وهو أقرب ما يكون إلى خط النسخ الحالي عندما كان في شكله الجنيني، وقد أطلق عليه ابن النديم خلال القرن الخامس الهجري تسمية: "**قلم خفيف الثلث**". انظر: - ابن النديم، الفهرست، ص: 20.

الخط الكوفي، ولم يبق منه اليوم إلا رسم قليل في نقش الحيطان وفي بعض المصاحف القديمة"[137].

وكما هو ملاحظ من خلال هذا النص، فإن ابن سماك لم يورد تسمية الخط الفاسي أو(الخط المجوهر) الذي كان آنئذ لا يزال في طوره الجنيني، حيث كان حديث عهد باستخدامه في أعمال التحرير بعد انبثاقه من الخط المبسوط المصحفي في حدود القرن السادس الهجري، ليصبح في مراحل لاحقة صنفا قائما بذاته ضمن أصناف الخطوط المغربية، وقد خُصّص استعماله لتحرير المراسلات الشخصية، والإجازات العلمية، والمراسيم السلطانية، وكذا بعض الكتب المخطوطة، وهو خط تحريري، يشبه - من حيث وظيفته - **"الخط الوراقي"** (العربي) القديم[138]، الذي استعمله الورّاقون قديما في نسخ الكتب،

---

[137] - العاملي (ابن سماك)، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، تحقيق: سليمان القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م، ص: 48.

[138] - **"الخط الوراقي"**، هو نوع من الخطوط اللينة القديمة التي كانت تتميز بالاستدارة وطواعية بعض حروفها، وقد نشأ هذا الخط - في مراحله الجنينية الأولى - بالمدينة المنورة خلال العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة، ثم انتقل منها إلى البصرة والكوفة حيث أضحى يسمى بـ: **"خط التحرير"**، لأنه خُصّص للأعمال التحريرية كالمكاتبات والتدوين والتأليف، وأغلب الظن أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم؛ كانوا يستعملون "خط التحرير" في المدينة عند كتابتهم للقرآن من إملاء النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه أطوع لهم؛ وأسهل عليهم؛ وأكثر استجابة لحركة اليد الطبيعية في الكتابة. وقد سُمّي هذا الخط أيضا؛ بـ: **"الخط المحقق"** عند استعماله في كتابة المصاحف الرسمية، ولذلك عُرف في المصادر التاريخية بـ: **"خط المصاحف المحقق"**؛ نسبة إلى تحقيق حروفه وإرسالها وفتح عيونها دون طمس أو تعوير، وذلك لتفادي كل ما من شأنه أن يوقع القارئ في اللّبس أو الإلغاز. والجدير بالذكر أن هذه التسمية استمرت إلى حدود القرن 12 الهجري/18 الميلادي، بسبب ارتباط الخط المحقق - في صورته المجوّدة - بنسخ المصاحف في المشرق منذ القرن الرابع الهجري، وذلك بعد التخلي عن كوفي المصاحف الذي سيستمر حضوره في المصاحف المغربية إلى حدود القرن الخامس الهجري. وقد سُمي هذا الخط بـ: **"الوراقي"**، نسبة إلى **"الورّاقين"** الذين استعملوه في نسخ الكتب خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين. يقول ابن النديم: **"لم يزل الناس يكتبون على مثال الخط القديم [أي: كوفي المصاحف] الذي ذكرناه إلى أول الدولة العباسية، فحين ظهر الهاشميون اختصت المصاحف بهذه الخطوط، وحدث خط يسمى: (العراقي)، وهو: (المحقق) الذي يسمى: (وراقي)"**. ولاشك أن هذا النوع من الخط، هو الذي سينبثق عنه بالمشرق - فيما بعد - "خط النسخ" (أو البديع)؛ وهو أحد الخطوط المنسوبة؛ التي استخرجها الوزير العباسي ابن مقلة

كما يشبه أيضا "**الخط الديواني**" (العثماني) الذي استعمله العثمانيون في دواوينهم الهمايونية[139].

وقد نُعت "**الخط الفاسي**" منذ بداية الدولة العلوية إلى عصرنا الحالي بـ: "**الخط المجوهر**"، وذلك بالنظر إلى تطويره وتجويده حتى صار "**مليحا**"، إلى درجة اصطُلح معها على تسمية أحد أساليبه - حسب بعض الباحثين - بـ: "**الخط المجوهر المليح**"[140].

وسُمّي الخط الفاسي بالمجوهر؛ نسبة لعقد الجواهر نظرا لجماله وتناسب حروفه وتناسق سطوره حسب أحد الباحثين[141]، فضلا عن امتياز حروفه بالصغر والتقارب. لكن هل يبدو هذا التعليل منطقيا؟ وإن لم يكن ذلك كذلك، فما الذي يمكن قوله عن تسمية هذا الخط؟ وهل فعلا تسمية: "**الخط الفاسي**" أو"**الخط المجوهر**" هما تسميتان أصيلتان لهما ما يدعمهما، أم أن الأمر خلاف ذلك؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال تسليط الضوء على المراحل الجنينية لظهور هذا الخط المغربي الأصيل.

(272 - 328هـ/886 - 939م) من الخطوط الموزونة، وسُمّي بالنسخ نسبة إلى "النُّساخ"، الذين اقتصر دورهم على نسخ الكتب، بعدما كان الوراقون قبل ذلك يجمعون بين حرفتي: الوراقة والنساخة. وخط النسخ؛ هو الخط الذي سيطوره العثمانيون في مراحل لاحقة، ليصير خطا مصحفيا بامتياز في المشرق، وهذا بادٍ للعيان من خلال المصاحف المشرقية الحالية. للتوسع في ذلك؛ انظر: - ابن النديم، الفهرست، ص: 19. انظر أيضا: - محمد عبد العزيز مرزوق، المصحف الشريف. دراسة تاريخية فنية، ص: 95.
- ذنون (يوسف)، زينة المعنى (الكتابة، الخط، الزخرفة)، كتاب الدوحة 50، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، 2015م، ص: 28 - 29. وللمؤلف نفسه: - الكتابة وفن الخط العربي، ص: 233. وأيضا؛ ص: 285 - 286. - قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، ص: 16.
- حنش (إدهام محمد)، الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المناهج، عمان، الأردن، الطبعة الأولى: 1998م، ص: 68. وللمؤلف نفسه: - الخط العربي وحدود المصطلح الفني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. قطاع الشؤون الثقافية إدارة الثقافة الإسلامية، دولة الكويت، الطبعة الأولى: 2008م، ص: 110.

[139] - عن المقارنة بين الخط المجوهر المغربي والخط الديواني العثماني؛ انظر:
- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، الخط المجوهر والخط الديواني بين الاستدقاق والتجليل. دراسة تاريخية - فنية، العدد: 34 (2014م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس، الرباط، صص: 233 - 273.

[140] - عن تسمية: "**المجوهر المليح**"؛ انظر: - المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 303.

[141] - سكيرج، الخط العربي المغربي، نقلا عن المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 322.

2 ـ الخط الفاسي بين إشكالية التسمية ودلالة الاستعمال خلال العصرين المريني والسعدي. قراءة كرونولوجية من خلال السياقات التاريخية والمؤثرات الحضارية:

إن ظهور "**أصناف**" الخط المغربي و"**أساليبه**"[142]؛ خلال العصر المريني - حسب تقديري الخاص - مردّه إلى تفرد المغرب الأقصى بمهمة تطوير الخط المغربي عموما، وذلك بالنظر إلى الاستقرار السياسي الذي كان يعرفه. ذلك الإستقرار الذي كان متذبذبا في كل من المغربين: الأوسط والأدنى (الجزائر وتونس) بسبب القلاقل السياسية، التي طالت الأندلس أيضا بعد تفرق حكامها طرائق قددا، وتكالب العدو المسيحي عليهم تكالب الأكلة إلى قصعتها.

ومنه يمكن القول؛ ان عدم الاستقرار يعقبه ضمنيا عدم الإستمرار (السياسي والبشري والاقتصادي ثم الفني الذي هو زبدته وثمرته)، ولأن هذا الإستقرار كان حاصلا في المغرب على يد المرينيين، كان من البديهي أن يكون المغرب المدرسة التاريخية المحورية في تلك المرحلة، التي أخذت على عاتقها مسؤولية تطوير الخط المغربي وبلورته، من خلال اختزال التجارب الفنية الإقليمية السابقة لدول الغرب الإسلامي بما في ذلك الأندلس، وبالتالي الإعلان عن ولادة ما يسمى في وقتنا الحاضر بـ: "**الخط المغربي**" وأصنافه المعروفة، وحينما نستعمل تسمية: "الخط المغربي" فإننا نحددها بالمفهوم الإقليمي الضيق، الذي يحيلنا على المغرب الأقصى وليس

---

[142] - أصناف الخط، هي أنواعه المختلفة فيما بينها من حيث سماتها ومسمّياتها. أما أساليبه، فهي الطّرق المنوّعة لخطاطين مختلفين في كتابة صنف بعينه من الخطوط، حيث يُنسب كل أسلوب لصاحبه ولمن قلده من تلامذته، فيقال مثلا: خط كذا، بأسلوب فلان. وقد تفرعت الأساليب بشكل كبير عند العثمانيين، حتى ظهرت لها مدارس خاصة بها على المستوى التاريخي، مثل: خط النسخ بأسلوب محمد شوقي، وخط الثلث الجلي بأسلوب سامي أفندي (الذي كان يقال عنه: سامي لا يُسمى عليه في الثلث الجلي).. وهلم جرّا.

كما يحاول البعض تسميته في وقتنا الحاضر بـ: **"الخط المغاربي"**. ونحن إذ نردّ هذا الادعاء، نشير إلى أن الخط المغربي بدأ يعرف خصوصيته الإقليمية بشكل بارز منذ العصر السعدي، الذي سيشهد فيه طفرة نوعية على المستوى الفني، وخاصة في عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م) الذي أسس مدرسة لتكوين الخطاطين، وتدريس الخط على أصوله تحت إشراف الخطاط: **"عبد العزيز بن عبد الله السكتاني"** (ولد سنة: 956هـ/1549م)[143]، الذي قال عنه ابن القاضي (960 - 1025هـ/1553 - 1616م) في: **"درّة الحجال"**: **"وهو المقدم لتعليم الخط بجامع الشرفاء من مراكش المحروسة، كما هي العادة بالقاهرة وغيرها من بلاد المشرق"**. وقال عنه أيضا: **"..له خطوط متعددة، وله المشيخة على النساخين"**[144].

وبعبارة أخرى؛ فقد كان السكتاني هو: **"رئيس الكتاب"** الفعلي المسؤول عن تعليم درس الخط بجامع المواسين بمراكش، لاسيما وأنه كان من الخطاطين القلائل الذين كانوا يكتبون بخطوط متعددة، إلى درجة نصّبه معها الخطاطون على رأس المشيخة التي شكّلوها في علم الخط - على غرار باقي العلوم الشرعية - والتي كان مقرها بجامع قصر البديع بمراكش[145].

ومن ضمن كُتاب الإنشاء الذين استعملهم المنصور في ديوانه، وكانوا معروفين بجودة الخط؛ أفرادٌ من أسرة بيت الفشتالي، وعلى رأسهم: "أبو عبد الله محمد الفشتالي"

---

[143] - خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، الخط المغربي بين التجريد والتجسيد. دراسة تاريخية - فنية من خلال مخطوطات مرينية وسعدية، مطبوعات أمينة الأنصاري - فاس - الطبعة الأولى: 2013م، ص: 29.

[144] - ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي)، ذيل وفيات الأعيان، المسمى: **"درة الحجال في غرة أسماء الرجال"**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الأولى، 1970م، ج/3، ص: 131.

[145] - المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 75 - 76.

(946 - 1021هـ/1539 - 1612م)؛ **"وزير القلم الأعلى الكاتب الأديب.. [الذي كان]، حسن الخط، يكتب خطوطا على أنواع: كلّها على جميل الانطباع"**[146]. ووزير القلم الأعلى: "أبو فارس عبد العزيز الفشتالي" (956 - 1031هـ/1549 - 1621م)، وهو مؤلف كتاب: **"مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا"** الذي ألفه في مناقب مخدومه أحمد المنصور الذهبي[147]. والذي قال عنه أبو محمد بن أحمد المسفيوي المراكشي؛ وهو أحد مشاهير الكُتاب في ديوان أحمد المنصور الذهبي[148]:

فإذا أقل بنانه، أقلامه نفثت عقود السحر بين سطور
عبد العزيز أخ الجلالة كاتب سر الخليفة أحمد المنصور

والأكيد أن جهود أحمد المنصور الذهبي شجعت الخطاطين، وحفزتهم على تطوير مهاراتهم، حتى نبغ نتيجة ذلك خطاطون بارعون من بينهم السلطان أحمد المنصور نفسه[149]، الذي عُرف عنه حذق عدة أنواع من الخطوط، وتذكر المصادر أنه كان يستعمل الخطوط المشرقية بوجه خاص في مراسلة العلماء المشارقة. ودليلنا في ذلك شهادة صاحب **"نزهة الحادي"** التي أكد من خلالها أن المنصور: **"تعلم الخط المشرقي، فكان يُكاتب به علماء المشرق كتابة أحسن ما يوجد في خط المشارقة"**[150]، أما ابن القاضي (960 - 1025هـ/1553 - 1616م)، فقد وصفه بعبارة وجيزة نصها ما يلي: **"..معدود في العلماء بارع الخط"**[151].

---

[146] - ابن القاضي، درة الحجال، ج/2، ص: 190.

[147] - ابن القاضي، درة الحجال، ج/3، ص: 129 - 130.

[148] - المقري، نفح الطيب، ج/6، ص: 49.

[149] - أورد المنوني لائحة مطولة بأسماء الذين نبغوا في مجال الخط خلال تلك الفترة. انظر أسماءهم في كتابه: "تاريخ الوراقة المغربية"، ص: 76 - 77.

[150] - الإفراني، نزهة الحادي، ص: 198.

[151] ـ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص: 115.

ولتزكية الدليل السابق، نسوق دليلا آخر يؤكد اهتمام المنصور بالخطوط المشرقية والخطوط المغربية سواء بسواء، والدليل المذكور؛ استنبطناه من خلال شهادة لابن القاضي، يذكر فيها أن بعض طلبة مراكش حدّثه بها في يوم الأحد لأربع خلون من رجب سنة: 995هـ (10 يونيو 1587م). يقول ابن القاضي في كتابه: "المنتقى المقصور": "**ولقد عانى [المنصور الذهبي] أيده الله، حسن الخط وظفر به بأنواعه المشرقية والمغربية، فقد حكي أنه ذات يوم استدعى كاتبه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى [السوسي] بخط مشرقي كتابا، فبعث إليه صحبة هذين البيتين**[152]:

سقتني كأس السرور دهاقا	**خطوط أتتني في مهرق**
رأت كف أحمد في الغرب بحرا	**فجاءت إليه من المشرق**

ومن مظاهر اهتمام المنصور بالخطوط الرائقة، قيامه بإرسال البعثات إلى القاهرة والأستانة (استانبول حاليا)، بقصد شراء الكتب واستنساخها، فبذل فيها التعويضات السخية[153]، وفي رسالة من أحمد المنصور الذهبي إلى الحميدي قاضي مدينة فاس، تأكيد على ضرورة شراء الكتب العلمية واستنساخ ما لا يوجد منها في السوق مع مراعاة جمال الخط وروعته، ومن ضمن ما ورد في الرسالة قوله للحميدي: ".. هذا **وإنه ينتهي إليكم - إن شاء الله - على أيدي خدمتنا دفتر قيّدنا فيه بعض ما تذكرناه في الوقت من الكتب. فبحسب ولوعنا بهذا المقصد الكريم نعهد إليكم - لأجل ما نعلم من حرصكم على**

---

[152] - ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي)، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، مكتبة المعارف، الرباط، 1986م، ج/1، ص: 465.

[153] - رسائل سعدية، ص: 80 - 81.

تحصيل ما يرضينا - أن تصرفوا وجه اعتنائكم لجمعها لنا. فما تيسر ابتياعه عُجِّل على أيديكم تحصيله إن شاء الله، وما لم يتفق سوى استنساخه فتوكلوا فيه على الله مع التأنق في روائع الخطوط والعمل العجيب الذي ترون مناسبته لعلائنا.. فأنتم المشكورون في جمعه لجنابنا الحسني عملا على شديد حرصنا في انتقاء الكتب العلمية والاستكثار منها، ولسنا نعادل شيئا من الأعمال بالسعي في تحصيل غرضنا في الكتب العلمية.."[154].

ويذكر المحبي (1061 - 1111هـ/1651 - 1699م) أن أحد الخزائنيين، وهو محمد أمين الدفتري الإسلامبولي التركي، كان **"يجمع نفائس الكتب ويرسلها إلى مولاي المنصور[الذهبي]"**[155]. وكان المنصور - حسب المحبي - يُحَبِّس تلك الكتب المخطوطة على الخزانة الأحمدية (الإمامية) التي أسسها بجامع القرويين بمدينة فاس[156]. وللتعبير عن عظيم امتنانه، أرسل إليه المنصور رسالة في سنة: 999هـ/1591م، يشكره فيها على النفائس المخطوطة التي أرسلها إليه، وقد أورد المحبي تلك الرسالة كاملة في كتابه: **"خلاصة الأثر"**[157].

فلا ريب إذن أن ما قام به أحمد المنصور الذهبي، يبين الجهود التي بذلها السعديون في تعليم الخطوط بكافة أصنافها،

---

[154] - انظر فحوى الرسالة في: - رسائل سعدية، ص: 80 - 81.

[155] - المحبي (محمد)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبية، مصر، د.ت، ج/4، ص: 293.

[156] - المحبي، خلاصة الأثر، ج/4، ص: 291.

[157] - يقول المحبي: **"وكَاتَبَهُ ملك المغرب مولاي أحمد المنصور... [ومن ضمن ما خاطبه به في رسالته]: .. إنا كتبناه لكم من دارنا العلية بحضرتنا المراكشية حاطها الله.. [لنخبركم أن] التحف الأدبية التي انتقتها أيدي عنايتكم لخزانتنا العلمية قد وافت إلينا، فأَلْفَتْ من الهش لها والترحاب بها ما لا يقدر على تكييفه، ولا تمتد أيدي الاسترابة إلى تحويله وتحريفه... وحظكم لدينا ملاحظ بعين الإيثار، مرعي من علائنا بكل اعتبار، والله يتولى حراستكم بمنه ويمنه والسلام. وكتب في أواسط جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وتسعمائة [999هـ/1591م]، وهذا هو الجواب أدام الله تعالى جلال إقبال الدولة الإمامية الحسنية الشريفة.."**.

- المحبي، خلاصة الأثر، ج/4، ص: 290 - 291 - 292.

بما في ذلك الخطوط المشرقية، التي كان يراد من تعليمها وتعلمها التمييز بينها وبين الخطوط المغربية التي تم تجويد أصنافها - على غرار ما كان يفعله العثمانيون مع خطوطهم - وذلك للحفاظ على إقليميتها وتفرد صورها وسماتها التي تميزها عن غيرها من الخطوط، ولعلّهم فعلوا ذلك؛ من منطلق استقلالهم السياسي أولا، وثانيا من منطلق تكوينهم لدولة قوية لها خصوصياتها التاريخية وعوائدها الحضارية التي تميزت في كل المجالات[158].

وفي هذا المضمار؛ نشير إلى أن المغرب كان يتمتع - خلال هذه المرحلة - بسيادته السياسية الكاملة، وذلك راجع إلى قوة الدولة السعدية التي أضحت الدولة الوحيدة التي عجز العثمانيون عن إسقاطها، ولهذا فقد كان من البديهي أن يظل المغرب مستقلا عن العثمانيين في كافة الميادين الأخرى التي ترتبط بالجانب الفني، كما ترتبط بتدوين الدواوين وتحرير المراسلات السلطانية التي كانت تُمهر بعلامات السيادة ونفوذ الأوامر.

وللاستدلال على ما قلناه؛ نشير إلى أن تسمية: فاس أوفاسي - بالمنظورين التاريخي والجغرافي - كانت ترتبط منذ بداية العصر الحديث بالصراع العثماني - السعدي الذي أفضى إلى ظهور ما يمكن أن نسميه بـ: "**الخصوصية المغربية**" في كافة المجالات، مقابل عملية "**التتريك**" أو بالأحرى "**العثمنة**" التي خضعت لها سائر الولايات الشمال - إفريقية إلى حدود الجزائر. وحينما نتحدث عن هذا الصراع، فإننا نتحدث عنه بكل تمظهراته وتشكلاته، بما في ذلك الجانب الفني المرتبط بأنواع الخطوط المستعملة.

---

158 - محمد عبد الحفيظ خبطة، الخط المغربي بين التجريد والتجسيد، ص: 15.

وإذا كانت المصادر والمراجع العثمانية تطلق على المغرب تسمية: "**فاس**"، فإن كل شيء مغربي؛ هو من منظور العثمانيين: "**فاسي**" بما في ذلك الخطوط وأصنافها التي كانت سائدة في الغرب الإسلامي والأندلس، والتي ستتأكد نسبتها منذ مستهل العصر الحديث إلى المغرب الأقصى أو "**مملكة فاس**" كما كان يسميها الأتراك ولازالوا إلى اليوم. وذلك قياسا على كل ما يتصل بالتراث المغربي - الفاسي وتجلياته الحضارية؛ الذي يشمل كافة مناحي الحياة بما في ذلك اللباس المغربي الذي سيُصبح منذ عصر الدولة السعدية لباسا "**مخزنيا**" ذا خصوصية مغربية[159]، وفي هذا الشأن؛ نستدل - على سبيل المثال لا الحصر - بـ: القلنسوة الفاسية (الشاشية بلسان

---

[159] - يعتبر أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق (ت.559هـ/1164م)، أول من تحدث عن: "**نظام المخزن**" الذي تعود جذوره إلى عصر الدولة الموحدية، وقد تطور هذا النظام من خلال تعاقب الدول على حكم بلاد المغرب، حتى أصبح نظاما ذا "**خصوصية مغربية**" ارتبطت - فيما بعد - بالدول التي أتت بعد الموحدين؛ بدءا بالمرينيين، ومرورا بالوطاسيين، ثم انتهاء بكل من السعديين والعلويين الذين سعوا لترسيخ تقاليد "**النظام المخزني**" - بحمولته التاريخية والسياسية - في دواليب الدولة ومؤسساتها. ويمكن اعتبار السلطان السعدي: أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)، والسلطان العلوي: (المولى) إسماعيل (1082 - 1139هـ/1672 - 1727م)، من أهم السلاطين المغاربة الذين رسخوا - فيما بعد - تقاليد هذا النظام الذي سيصبح رمزا "**للخصوصية المغربية**". انظر:

- البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص: 38. وللمؤلف نفسه: - المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص: 57.

وعن أصول "**النظام المخزني**" في المغرب وتطوره خلال عصر الدولتين السعدية والعلوية؛ انظر:

- Harakat Brahim. Le makhzen sa'adien. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°15-16, 1973. Mélanges Le Tourneau. II. pp. 43-60

- Mohamed Kably, «À propos du Makhzen des origines: cheminement fondateur et contour

cérémonial», Maghreb Review, vol. 30, nº 1, 2005, pp. 2-23

- جادور (محمد)، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، سلسلة أبحاث، منشورات عكاظ، 2011م، صص: 49 - 71.

- ملين (محمد نبيل)، السلطان الشريف. الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، ترجمة: عبد الحق الزموري - عادل بن عبد الله، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، السويسي، الرباط، 2013م، صص: 190 - 193.

- العروي (عبد الله)، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية (1830 - 1912م)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، الطبعة الأولى: 2016م، صص: 108 - 121.

المغاربة)، وهي: الطربوش الأحمر ذو الذؤابة السوداء الذي يسمى (في اللغات الأوروبية بكلمات: FEZ أو FES أو FAS) نسبة إلى فاس، لأنه انطلق من هذه المدينة المغربية بعدما تبناه العثمانيون الذين سيطلقون عليه: **"الطربوش الفاسي"**، أو**"طربوش الفاس"**[160]، أو **"فسس"**، وهي التسمية التي وردت في معجم الدولة العثمانية الذي ذُكر فيه أن **"(فسس) بكسر الفاء الممالة [وهي] غطاء للرأس يُصنع في مدينة فاس من صوف أو لباد أحمر اللون.. وأصبح (فسس) الغطاء الرسمي للرأس عند العثمانيين بعد إلغاء فرقة الانكشارية. وكان ذلك بمقتضى قانون صدر عام: [1140هـ] 1728م. وفي عام: [1251هـ] 1835م أُقيمت في استانبول (فسس خانه).. [لكن ما لبث أن] ألغي لبسه رسميا عام: [1343هـ] 1925م"**[161]. أي: بعد سقوط الخلافة العثمانية.

ومن خلال قراءة سريعة لبعض المصادر والمراجع العثمانية؛ يتضح لنا - بما لا يدع مجالا للشك - أن العثمانيين كانوا يُطلقون على المغرب تسمية: دولة **"فاس"**[162] وليس تسمية: **"مراكش"** التي كانت تطلقها عليه بعض المصادر المغربية. وفي هذا الشأن؛ نستدل بإفادة للمؤرخ التركي "يلماز اوزتونا" الذي تحدث عن مدينة وجدة المغربية، وأشار إلى أنها: **"أكبر مدينة**

---

[160] - في مذكراته عن مدينة فاس، كتب الدبلوماسي الفرنسي لوي شينيي من سلا بتاريخ: 16 رمضان 1189هـ/10 نونبر 1775م صفحة هامة تصف العاصمة المغربية، وقد لفت النظر في هذه المذكرة إلى أن الفرنسيين عندما يطلقون على الطربوش تسمية: **"فاس" (FEZ)**، فإنهم يقلدون في ذلك الأتراك الذين كانوا يطلقونها على **"الشاشية"** المغربية التي دأبوا على استيرادها من مدينة فاس، وبالرغم من أن التونسيين حاولوا تقليد أهل فاس، إلا أنهم لم يصلوا إلى إتقانهم على نحو ما كان عليه الحال في مصانع فرنسا التي حاولت بدورها أن تنافس مدينة فاس. انظر: - التازي (عبد الهادي)، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطابع فضالة، المحمدية، (طبعات أجزاء الكتاب بين سنتي: 1986م - 1989م)، ج/3، ص: 163 - 164.

[161] - المصري (حسين مجيب)، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: 2004م، ص: 100 - 101.

[162] - الدولة العثمانية. تاريخ وحضارة، مجموعة من الأساتذة الجامعيين تحت إشراف: أكمل الدين إحسان أوغلي، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، منظمة المؤتمر الإسلامي. مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول (إرسيكا)، الطبعة الثانية: 2010م، ج/1، ص: 198.

في فاس [أي: في المغرب]"[163]. ويُعزى سبب إطلاق العثمانيين على المغرب تسمية: فاس؛ إلى كون هذه المدينة ظلت عالقة بأذهانهم بعدما دخلوها مرتين اثنتين دون أن يستطيعوا السيطرة على بلاد المغرب. كما يُعزى أيضا إلى كون مدينة فاس تعد رمزا حضاريا للدولة المغربية[164]، وذلك منذ تأسيسها سنة: 192هـ/808م من طرف الأدارسة (الحسنيين) المستقلين بالمغرب عن التبعية للخلافة المشرقية (العباسية)؛ حيث كان تأسيسها إعلانا عن تأسيس "**الدولة المغربية**" التي ستستمر طيلة 12 قرنا إلى يومنا هذا دون انقطاع.

ويمكن استنتاج رغبة العثمانيين الملحة لضم المغرب، من خلال مذكرات خير الدين بربروس (875 - 953هـ/1470 - 1546م) الذي فتح بلدان شمال إفريقيا عدا المغرب، حيث أملى مذكراته على رفيقه المرادي بأمر من السلطان سليمان القانوني (926 - 974هـ/1520 - 1566م)[165]، ومن خلال اطلاعنا على تلك المذكرات، نجده قد سمّى المغرب بـ: "**مملكة فاس**"[166]؛ وهي التسمية الغالبة. كما سمّاه في بعض الأحيان: "**مملكة المغرب**"[167]، وإضافة كلمة: "**مملكة**" من طرف بربروس تدل بشكل صريح على أن المغرب كان مستقلا عن العثمانيين، بل إن بربروس علّق على المغرب - في

---

[163] - اوزتونا (يلماز)، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988م، ج/1، ص: 249.

[164] - للتوسع في ذلك؛ يرجى مراجعة رسالتنا لنيل شهادة الماجستير في شعبة التاريخ، وهي تحت عنوان:
- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، مدينة فاس وعلاقتها بقيام وسقوط الدول المغربية خلال العصر الوسيط، دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الآداب، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 2002م.

[165] - مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة: د.محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى: 2010م، ص: 20.

[166] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 156.

[167] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 98.

تلك المرحلة - بقوله: **"ولم يكن في شمال إفريقيا دولة أخرى ذات أهمية غير مملكة المغرب، أما تونس وتلمسان اللتان كان يحكمهما الحفصيون وبنو عبد الوادي فلم يعد لهما أهمية على الإطلاق"**[168]، ولا شك أن هذه الشهادة شهادة قوية لا تقبل التأويل أوالتعليل، لأنها من مصدر عثماني مؤلفه أحد قادة الأسطول العثماني، الذي يرجع له الفضل صحبة أخيه عروج في ضم بلدان شمال إفريقيا - عدا المغرب - إلى الإمبراطورية العثمانية في عهدي: سليم الأول (918 - 926هـ/1512 - 1520م)، وابنه سليمان القانوني (926 - 974هـ/1520 - 1566م)، حيث يشهد باستقلال المغرب من منطلق واقعي رآه بأمّ عينه، وساهم فيه بنفسه، بل ويؤكد بربروس ذلك في الصفحة الموالية بقوله: **"فتحنا الجزائر وصارت لنا دولة أكبر من تونس"**[169]، ولم يورد ما يفيد أنه فتَح بلاد المغرب التي كان دائما يسميها: "مملكة فاس" أو"مملكة المغرب" أو"المغرب"، بل وذكر أن المغرب **"كان يحكمه سلطان [سعدي] ينتمي إلى أسرة ملكية عريقة"**[170]. وقد اتفق معه في هذا الشأن؛ الباحث التركي اوزتونا الذي وصف المغرب بـ: **"سلطنة فاس التي تعتبر من الدول الكبرى، والتي حكمت في البداية في الأندلس"**[171]، ولا شك أنه يشير بذلك إلى تاريخ المغرب المَجيد، حينما كانت الأندلس ولاية تابعة للمغرب خلال عصر الدولتين المتعاقبتين: المرابطية والموحدية، بل إن هذا الباحث ذهب إلى أبعد من ذلك حين وصف فاس بالإمبراطورية، إثر حديثه عن دول شمال إفريقيا، حيث يقول: **"كانت إمبراطورية فاس في هذه المنطقة دولة كبيرة، وكانت تشمل أقصى غرب المنطقة بين**

[168] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 98.

[169] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 99.

[170] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 98.

[171] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/1، ص: 193.

الأبيض والأطلسي.. [وهي]: بالعربية: المغرب الأقصى"[172]. وإثر حديثه عن معركة وادي المخازن الشهيرة (986هـ/1578م)، تحدث الباحث نفسه عن **"اتحاد إمبراطورية فاس مع الدولة العثمانية"**[173].

وقد عبّر بربروس من خلال مذكراته عن رغبته الأكيدة في ضم بلاد المغرب للسلطة العثمانية، رغم اعترافه بأن **"سلطان المغرب يعتبر أكبر ملوك العرب في إفريقيا.. [و] ما لم يتم إخضاعـ[ـه].. فإنه من المستحيل بسط سيطرة الأتراك على إفريقيا"**[174].

وهذا يستفاد منه، أن بربروس كان يمنّي النفس بالسيطرة على المغرب دون أن يبلغ ذلك المرام، بل إنه اعترف أن الجزائر - حتى وبعد دخوله إليها سنة: 922هـ/1516م، خلال عهد سليم الأول (918 - 926هـ/1512 - 1520م) ونجاحه في إخضاعها للعثمانيين - إلا أنها كانت لا تزال تضرب النقود باسم السعديين بمباركة الزيانيين من "بني عبد الوادي"[175]، وهو الشيء الذي أثار حفيظة القائد العثماني "بربروس" الذي استنكر ذلك على الجزائريين بقوله: **"..كيف تسنى لكم أن تتركوا خليفة المسلمين، وسلطان العالم [سليم الثاني]، وتقرؤون الخطبة وتضربون النقود باسم سلطان المغرب؟!"**[176].

---

[172] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/1، ص: 240.

[173] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/1، ص: 383.

[174] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 95.

[175] - منذ ظهور دولة بني عبد الوادي الزناتيين في المغرب الأوسط (الجزائر)، وهم في صراع عقيم مع أبناء عمومتهم المرينيين الذين ملكوا المغرب الأقصى، وبالنظر إلى تفوق بني مرين على بني عبد الواد من حيث القوة والعدد، اضطر هؤلاء إلى انتحال النسب النبوي في المرحلة الثانية لدولتهم، فصاروا يسمون بـ: "الزيانيين"، ووجدوا من بعض الفقهاء من يصنع لهم عمود نسب ويؤلف في بيان شرفهم كتابا، وأهمهم الفقيه المؤرخ "محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني" (ت.899هـ/1493م)، الذي ألف كتابا بعنوان: **"نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ومن ملك من سلفهم الأعيان فيما مضى من الأزمان"**. انظـر:
- التنسي (محمد بن عبد الله)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان. مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق: محمود أغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص: 109 - 110.
- ابن منصور (عبد الوهاب)، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م، ج/1، ص: 150.

[176] - مذكرات خير الدين بربروس، ص: 95.

وعند قيامنا بتتبع المسار الكرونولوجي لتاريخ الصراع بين السعديين والعثمانيين، وجدنا هؤلاء قد استطاعوا الدخول إلى مدينة فاس مرتين اثنتين:

* **دخـــولٌ أول**[177]**:** فـي عهـد سليمـــان القـــانـونـي (926 - 974هـ/1520 - 1566م)، وبالضبط في سنة: 961هـ/1554م.

* **ودخـــولٌ ثانٍ**[178]**:** فـي عهـد ابنـه سليـــم الثـــانـي (974 - 982هـ/1566 - 1574م)، وكان ذلك سنة: 984هـ/1576م[179].

ورغم أن العثمانيين استطاعوا الدخول إلى مدينة فاس في مرحلتين زمنيتين مختلفتين، في محاولة منهم لاستكمال سيادتهم على سائر أقطار شمال إفريقيا، إلا أن السعديين استطاعوا إفشال مخطط سلاطينهم الأوائل الذين كانوا يرومون بسط نفوذهم على بلاد المغرب، حيث حاولوا مرارا وتكرارا تحقيق ذلك المبتغى دون أن تُكلل محاولاتهم بالنجاح، لاسيما وأنهم قد اصطدموا بسلطان سعدي قوي هو: أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م) الذي سيعـرف الخط الفـاسي - المجوهـر في عهده طفرة نوعية على المستوى الفني، لتتـأكد نسبتـه – تبعـا لذلك – إلـى المغـرب الأقصى، خاصة بعـد

---

[177] - مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تحقيق: عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، الطبعة الأولى: 1994م، ص: 22 - 23.

[178] - عن تفاصيل هذا الدخول؛ انظــر: - دي صالدينا (أنطونيو)، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق: إبراهيم بوطالب، عثمان المنصوري، ولطفي بوشنتوف، إعداد النص الأصلي: أنطونيو دياش فارينا، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 2011م، ص: 30.

انظــر أيضا: - الدولة العثمانية. تاريخ وحضارة، ج/1، ص: 198.

[179] - للاطلاع على تفاصيل دخول العثمانيين إلى مدينة فاس. انظــر: - بنحادة (عبد الرحيم)، الدخول التركي إلى مدينة فاس بين الوثائق الإسبانية، والوثائق العثمانية، 1554 - 1576. قراءة في الاختلاف والتكامل. دراسة وردت في كتاب: العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، تنسيق: عبد الرحمن المودن - عبد الرحيم بنحادة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة الأمنية، الطبعة الأولى: 2005م، صص: 11 - 34.

سقوط الأندلس في يد الإسبان الذين أجهضوا ما تبقى من التجربة الأندلسية الفريدة في فن الخط، فحكموا بالدمار على آخر إمارة إسلامية ببلاد الأندلس ألا وهي: إمارة بني الأحمر اعتبارا من سنة: 898هـ/1492م. يُضاف إلى ذلك تبعية كل من المغربين الأوسط والأدنى منذ بداية العصر الحديث للإمبراطورية العثمانية، هذه الأخيرة التي فرضت على الولايات التابعة لها استعمال كل من خطي: **"الرقعة"** و**"الديواني"** في تدوين الدواوين، لأنهما خطان يرجع الفضل في اختراعهما إلى العثمانيين أنفسهم. فضلا عن ذلك شجعوا إستنساخ المخطوطات وتزيين العمائر بخطي: النسخ والثلث المشرقيين.

من هنا يمكن القول ان هذا الإجراء، ساهم بشكل صريح في تهميش الخط المغربي في الصقعين المذكورين. ففي تونس مثلا، تم التخلي عن الخط القيرواني كما يشير إلى ذلك هوداس بقوله: **"وإن ما كان من ثقل التأثير التركي الطويل المدى، قد أكسب شؤون تونس العاصمة دورا أكثر شرقية، وحلت الكتابة النسخية محل الخط القيرواني في قسم كبير من أشكاله"**[180].

أما في الجزائر - فيشير الباحث نفسه - إلى أن الخطوط المستعملة فيها كانت تتأرجح بين التأثير الفني للخط الفاسي والخط القيرواني تارة، وبين تأثير الخط الأندلسي تارة أخرى[181]، بل إن مدن الغرب الجزائري، وتحديدا مدينة وهران؛ كان أهلها يذهبون **"إلى فاس للدراسة، ويرجعون منها بنوع الكتابة المتخذ في جامعة هذه المدينة [أي جامعة القرويين]"**[182]. ونوع الخط الذي كان مستعملا في جامعة القرويين بمدينة فاس وعموم بلاد **"المغرب الأقصى.. [هو] الخط الفاسي.. [الذي]**

---

[180] - هوداس (أوكتاف)، محاولة في الخط المغربي، ترجمة: عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية، العدد: 3، 1966م، ص: 213.

[181] - هوداس، محاولة في الخط المغربي، ص: 213.

[182] - هوداس، محاولة في الخط المغربي، ص: 213.

فقدَ، فقط، قليلا من أشكاله المتحررة، وكسب أكثر بساطة لمّا اقتبس من الأندلسي رتابة تناسق الحروف"[183].

ولا شك أن هذه الإشارة التي أوردها هوداس في بحثه حول الخط المغربي، يُستفاد منها أن الخط الذي كان مستعملا في جامعة القرويين، كان يسمى بالخط الفاسي نسبة إلى مدينة فاس التي توجد بها الجامعة المذكورة، كما يستفاد منها أيضا أن نوع الخط المستعمل كان خطا علميا - تعليميا لارتباطه بمؤسسة تعليمية، تعتبرها الموسوعات الدولية أقدم جامعة في العالم كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وهو الخط الذي جرت العادة باستعماله في نسخ الكتب العلمية عند الطلبة المقيمين بالمغرب، والطلبة الآفاقيين الذين كان يشدون الرحال من كل حدب وصوب لطلب العلم بجامعة القرويين، مما سمح - دون أدنى شك - بانتشار هذا الخط في عموم بلدان الغرب الإسلامي، حتى صار خطا متميزا عن غيره بصور حروفه التي كان يغلب عليها التليين والاستدارة، بدليل ما ذهب إليه عبد الفتاح عبادة، وهو من أقدم الباحثين المشارقة الذين ألفوا في تاريخ الخطوط العربية، حيث أكد أن **"الخط الفاسي.. يمتاز صريحا عن غيره باستداراته"**[184]. والخط الفاسي هو ما يصطلح على تسميته حاليا بالخط المجوهر، وهو الخط الذي حُرّرت به معظم المراسلات السلطانية، ونسخت به جُلّ الكتب العلمية حتى صار خطا رسميا بالمغرب.

وتجدر الإشارة إلى أن الخط الفاسي أو (المجوهر) الذي تم تصديره من مدينة فاس إلى سائر أقطار الغرب الإسلامي،

---

[183] - هوداس، محاولة في الخط المغربي، ص: 214.

[184] - عبادة (عبد الفتاح)، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، المطبعة الهندية بمصر، 1915م، ص: 79.

سرعان ما سيتم تحجيم استعماله أو التخلي عنه في الأقطار المذكورة - عدا المغرب - بسبب سيطرة العثمانيين عليها، حيث لم يجد أهلها غضاضة في تبني الخطوط المشرقية واستعمالها في حياتهم اليومية، بدليل أن المخطوطات التي كتبت بخط مغربي، هي أقل بكثير في الجزائر اليوم كمّا وعددا، من تلك التي يتوفر عليها كل من المغرب وتونس، وكذلك الأندلس التي أُحرق معظم إرثها المخطوط، وما تبقى منه آل بعضه إلى خزانة الأسكوريال، والبعض الآخر إلى مختلف الخزائن المسيحية.

بناء على المعطيات السابقة، نستشف أن "**الخط الفاسي**" حسب تسميته التاريخية، أو"**المجوهر**" حسب تسميته الفنية، أو"**الوراقي**" حسب استعمالاته الوظيفية، أو "**الديواني**" حسب استعمالاته الإدارية، غالبا ما كان يُستخدم - دون غيره من الخطوط - في تدوين الكتب العلمية وتحرير الوثائق والمراسلات السلطانية، ولم يُستعمل الخط المبسوط أوخط الثلث المغربي إلا في كتابة بعض العناوين، والإستشهادات، والإشهادات، والملاحظ أن هذا النوع من الخط أضحى صنفا قائما بذاته ضمن مجموع الخطوط المغربية منذ أواخر العصر الموحدي، وذلك بعد انبثاقه مباشرة من الخط المبسوط، وقد كان هذا الخط أهم صنف يعبر عن المغرب؛ وتحديدا مدينة فاس مهد جامعة القرويين التي استُعمل فيها خطا دراسيا تعليميا، يستخدمه الطلبة في تقييداتهم ومدوناتهم العلميـة[185]، حتى إن عبد الكريم سكيـرج - الـذي

[185] - يذكر هوداس أن الخط الفاسي كان مستعملا على وجه التحديد في جامعة القرْويّين بمدينة فاس، لذلك فليس غريبا أن يأخذ تسمية المدينة التي نشأ فيها وتطور، وقد أدخل هذا الخط إلى الجزائر أهالي وهران ممن كانوا يدرسون بهذه الجامعة، فتأثرت الخطوط في الجزائر - تبعا لذلك - بالخط الفاسي بالقدر نفسه الذي تأثرت فيه بالخطين: القيرواني والأندلسي. انظـر:

- هوداس، محاولة في الخط المغربي، ص: 213.

نعته خلال العصر العلوي بـالمجوهر - يقول عنه: **"وهو ما تحرّر به الرسائل الخصوصية والعمومية، وتُكتب به الظهائر الملوكية، وهو أكثر خطوطنا استعمالا، وبه طبعت الكتب بالمطبعة المحمدية أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، وانتشرت وعمّ النفع بها"**[186].

ولعل استعماله في أعمال التدوين والتحرير والطباعة بالمغرب، هو ما جعل منه خطا إقليميا، نشأ وتطور بمدينة فاس، ثم انتشر - انطلاقا منها - ليُستعمل في كافة المدن الغربية، بخلاف المبسوط الذي استُعمل في نسخ المصاحف الشريفة ببلدان الغرب الإسلامي منذ انبثاقه من الخط الكوفي، مما أكسبه تلوينات إقليمية كثيرة، كالمبسوط الأندلسي، والمبسوط المغربي والمبسوط التونسي، وغيرها..

ومن خلال الاعتماد على بعض الشواهد المادية المتعلقة بالخط الفاسي، يتضح أن من أقدم وأوضح النماذج التي تؤرخ له؛ مخطوط: **"التصريف لمن عجز عن التأليف"** لأبي القاسم الزهراوي (انظر شكل: 10).

أما فيما يتعلق بالنماذج التي تُجسد تطور هـذا الخـط وارتقائه في مدارج التجويـد إلى أن اكتمـل جِرمـه، فقـد وقفنـا على كثير من النسخ المخطوطة بـالخط الفـاسي، وخاصـة بعـض النماذج المحفوظة بخزانة القـرويين، ونـذكر منهـا - علـى سـبيل المثال لا الحصر - مخطوط: **"المسـائل والأجوبـة"** للبطليـوسي، وهو مخطوط رائق نُسخ بخط فاسي مجوهر يرجع إلى العصـر السعدي. (انظر شكل: 11).

---

[186] ـ سكيرج، الخط العربي المغربي، نقلا عن المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص: 322.



مخطوط: "التصريف لمن عجز عن التأليف" لأبي القاسم خلف بن عياش الزهراوي، ترجع إلى العصر الموحدي (القرنين: السادس والسابع الهجريين)، وتعد هذه النسخة من أبرز النسخ التي بدأت تتحرر فيها صور الخط الفاسي المجوهر

المصدر: المكتبة الوطنية - الرباط ، رقم: ج 21.

شكل: 10



صفحتان من مخطوط كتاب المسائل والأجوبة للبطليوسي في اللغة. نسخة سعدية

كتبت سنة: 974هـ/1567م

المصدر خزانة القرويين ـ فاس، رقم: 1231

شكل: 11

والجدير بالذكر أن معظم تلك المخطوطات المرقومة بالخط الفاسي، يرجع الفضل فيها إلى السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م) الذي حبّسها على "**الخزانة الأحمدية الشريفة**"، وهي الخزانة التي أسسها سنة: 1010هـ/1601م بجامع القرويين بمدينة فاس[187]، وقد نعت المقري (986 - 1041هـ/1578 - 1631م) في: "**روضة الآس**" هذه الخزانة بـ: "**بالخزانة العليا**"[188]. ويشير عبد الهادي التازي إلى أن أحمد المنصور الذهبي كان "**مهتما بجعل تصحيحاته على الكتب الموقوفة**" بالخزانة المذكورة[189]. ومعلوم أن تصحيح الكتب الموقوفة، هي أن يُكتب عليها: "**صحيح ذلك**" بخط السلطان. ومن خلال الاطلاع على مجموعة من التصحيحات التي وضعها المنصور الذهبي بخط يده على المخطوطات التي حبّسها على خزانة القرويين، يتضح أنها قد كُتبت بالخط الفاسي الذي كان يجيده هذا السلطان السعدي، وفيما يلي؛ أنموذج من تلك التصحيحات، استخرجناه من مخطوط محفوظ بخزانة القرويين، كتب عليه المنصور بالخط الفاسي: "**السطر أسفله؛ صحيح ذلك. بخط يده عبد الله سبحانه أحمد المنصور بالله أمير المومنين ابن مولانا أمير المومنين بن مولانا أمير المومنين الحسني خار الله له ولطف به وبجميع المسلمين**". (انظر شكل: 12).

---

[187] - التازي، جامع القرويين، ص: 341.

[188] - يقول المقري: "**ومن آثاره - نصره الله - الخزانة العليا التي صنعت بإزاء المحراب عن يساره بجامع القرويين عمره الله بذكره، تركتهم مشتغلين بسقفها، وحبس عليها - نصره الله - من غرائب الكتب ما لم يسمع بمثله قط، وقد أشهد - نصره الله - بتحبيس الكتب، وحيزت كما يجب**".

- المقري (أحمد بن محمد)، روضة الآس العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية: 1983م، ص :22.

[189] - التازي، جامع القرويين، ص: 342.

1 - السطـر أسفله؛ صحيـح ذلك. بخط يده عبـد الله سبحانه أحمـد المنصـور بـالله أمير المومنيـن

2 - ابن مولانا أمير المومنين بن مولانا أميـر المومنين الحسني خار الله له ولطف بـه وبجميع المسلميـن

نص التصحيح بخط أحمد المنصور الذهبي كتبه بالخط الفاسي.
مستخرج من مخطوط الأمشى للحسن بن علي
مصدر المخطوط: خزانة القرويين - فاس، رقم: 633.
شكل: 12

عطفا على ما سبق؛ يمكن القـول أن تسـمية: **"الخـط الفاسي"** ظل استعمالها حاضرا في المغـرب حتـى بعـد سـقوط الدولة السعدية وارتقاء الدولـة العلويـة إلى سـدة الحكـم كـما يشير إلى ذلك أحد الباحثين[190]، وذلك في إطار حمل الخـاص على العامّ، وتعريف الكلّ بالجزء، لاسيما وأن استعمال **"الخـط الفاسي"** (أو الخط المجوهر)؛ سيرتبط في هذا العصـر - أكـثر من أي وقت مضـــى - بمُسـمّى: **"القلـم الفـاسي"** الـذي كـان يتميز بالتشفير والتّعمية والإِلغـاز، وهـو القلـم الـذي سيسـتمد كافة صوره ورموزه من صور الخط المجوهر دون غيره، وذلـك بـالنظر لكـون هـذا الخـط يتـيح مـن الصـور والتصـرفات الاعتيادية والاجتهادية ما لا يتيحه أي صنف آخر من الخطوط المغربية، فضلا عن تميز معظم صور حروفه - إن لم نقل كلهـا - بـالطّمس والتعـوير، لـذلك فـلا غـرْو أن يكـون ارتبـاطه بالقلـم الفـاسي ارتبـاط الدال بالمدلول عليـه، ولا غـرْو أيضـا

190 - بوعصب (امبارك)، المراسلات والوثائق السلطانية خلال العصر العلوي. مساهمة في دراسة الخط المجوهر وسماته الفنية، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى: 2014م، ص: 18.

أن يكون هذا الخط؛ هو الخط المفضل عند المغاربة، الذين استعملوه في تدوين كتبهم العلمية وتحرير عقودهم وإثبات شهاداتهم وغيرها.. علاوة على استعماله من قِبل سلاطينهم خطا رسميا لتحرير مراسلاتهم ومكاتباتهم السلطانية.

وقد استمر تجويد الخط الفاسي خلال عصر الدولة العلوية، حيث بلغ مبلغا لم يبلغه من ذي قبل، وفي شهادة لمفتي الديار التونسية؛ محمد الفاضل بن عاشور (1327 - 1390هـ/1909 - 1970م) ما يؤكد على الدور الكبير للمغرب في هذا الشأن، حيث يقول معترفا: "**إننا مدينون في هذا الميدان للمغرب بكل شيء، فنحن نقرأ القرآن بوقف الإمام الهبطي الفاسي، ونصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بتلاوة دلائل الخيرات للجزولي، ونفهم فضائل النبي صلى الله عليه وسلم، وما خصه به من مكارم الأخلاق بواسطة كتاب: الشفا للقاضي عياض، كما أن رواية علماء تونس في الحديث كلها تتصل في القديم والحديث بعلماء مغاربة من عهد دراس بن إسماعيل وأبي عمران الفاسيين**"[191].

ويضيف ابن عاشور على ما ذكره، إلى أن التونسيين كانوا منبهرين بالمخطوطات المغربية - وخاصة الفاسية منها - كما كانوا حريصين على اقتنائها، رغم حضور المخطوطات العثمانية المدونة بالخطوط المشرقية الرائقة في بلدهم. يقول ابن عاشور: "**.. وكان القصد إلى فاس في استجادة النسخ المفننة من الكتب المعتبرة قد نشط هذه الصناعة، وفتح لأربابها مناهج الإتقان، وشحذ أذهانهم لمزيد الإبداع، فانثالت على تونس في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**

[191] - الكتاني (محمد إبراهيم)، الكتاب المغربي وقيمته، مجلة الحكمة، عدد: 12، 1997م، ص: 397.

الكتب الفاسية المبدعة في التخطيط، المعجبة في التلوين والتزويق، الباهرة التذهيب، الرائقة التجليد، وبها ازدانت الخزائن التونسية في هذين القرنين، من المصاحف الشريفة، ونسخ البخاري وسائر الصحاح، وكتاب الشمائل، وكتاب الشفا، وكتاب دلائل الخيرات، وكتب اللغة، ودواوين الأدب..."[192].

ولا شك أن ذكر ابن عاشور للمخطوطات الفاسية يحيلنا - تصريحا لا تلميحا - على الخط الفاسي المجوهر، كما أن المبسوط ليس بغريب على التونسيين، الذي كانوا ينسخون به المصاحف القرآنية أيضا، لذلك فلم يكن غريبا عليهم - نوعا ما - سوى الخط المجوهر الذي نسبوه إلى فاس، انطلاقا من النسخ المخطوطة التي كانت تصلهم من المغرب اعتبارا من عصر الدولة المرينية، وهو الخط الذي سيستعملوه - على غرار المغاربة - بصفة محدودة في بعض وثائقهم المتعلقة بتحرير العقود وتصحيح الإشهادات وغيرها.. ولتأكيد شهادة ابن عاشور، نستدل بمخطوط لصحيح البخاري نُسخ بخط مجوهر مليح في سنة: 1209هـ/1794م، محفوظ بمكتبة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، وهو من ضمن المخطوطات الفاسية النفيسة التي أرسلت إلى تونس بعد تزايد الطلب عليها، والجدير بالذكر ان أوكتاف هوداس قد أورد هذا المخطوط في مقاله حول الخط المغربي، ليستدل به كشاهد مادي تاريخي على الخط الفاسي وملامحه الفنية التي أشار إلى أنها تتميز بنوع من الوفرة والأناقة والتناسق[193].

---

[192] ـ نقلا عن:

- المنوني، تقنيات إعداد المخطوط المغربي، ص: 228 ـ 229. وللمؤلف نفسه:

- قبس من عطاء المخطوط المغربي، ص: 661.

[193] - هوداس، محاولة في الخط المغربي، ص: 210 - 211.

3 - الخط الفاسي. رموزه وقيمه العددية، وعلاقته بالتّعمية والتشفير، والعلامات والتوقيعات والطغراوات، وتحرير نصوص المراسلات السلطانية (دراسة مقارنة):

3 - 1 - القلم الفاسي وانبثاقه من الخط الفاسي. دراسة تاريخية لرموزه وقيمه العددية، وعلاقته بالتّعمية والتشفير:

عُرفت "التّعمية" و "التشفير" بشكل بارز في الدواوين السلطانية بالمغرب منذ العصر الموحدي[194]، وللاستدلال على هذا الأمر؛ نستشهد بما رواه أبو بكر الصنهاجي المعروف بـالبيذق (ت.559هـ/1164م)، في كتابه: "**المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**"، حيث يذكر أن ملّول بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي، وهو كاتب (مهدي الموحدين) محمد بن تومرت (ت.524هـ/1130م)؛ كان قادرا على كتابة الرسائل بالخطّ المشفّر، حيث "**كان فصيحا بديها بالألسن، يكتب بالسريانية والرموزيات وغير ذلك**"[195].

وقد تعدّى استعمال التشفير الدواوينَ السلطانية ليُستخدم من طرف عموم الناس قبل سقوط الدولة الموحدية سنة: 668هـ/1269م. ومن أبرز الشخصيات التي استخدمته خلال أواخر العصر الموحدي؛ أبو محمد عبد الحق بن نصر الأندلسي (ت.669هـ/1270م)، الشهير: "**بابن سَبْعِين**" الذي درج على استعمال رموز هذا القلم عند كتابة اسمه، حيث ذكر المقري (986 - 1041هـ/1578 - 1631م) في ترجمته نقلا عن الشَّريف الغرناطي أنه: "**كان يكتب عن نفسه: (ابن ○) يعني الدارة التي هي كالصفر، وهي في بعض طرق المغاربة في**

---

[194] - التازي (عبد الهادي)، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1983م، ص: 33.

[195] - البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب، ص: 41.

حسابهم سبعون، وشُهر لذلك: بابن دارة"[196].

ورغم أن التشفير لم يكن حاضرا بشكل كبير خلال عصر الدولة المرينية التي حلّت محل الموحدين في بلاد المغرب، إلا أن استعماله سيتطور تدريجيا إلى أن بلغ ذروته خلال عصر الدولة السعدية، وتحديدا في عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)، حيث تمّ اختراع أشكال من الخطوط على عدد حروف المعجم سُمّيت بـ: **"الشيفرة"** أو **"الزّمام"**[197]، و**"خط الزمام"** ليس هو: **"الخط الزمامي"** أو **(الخط المسند)** الذي يُعدّ اليوم أحد أصناف الخط المغربي الخمسة[198].

---

[196] - المقري، نفح الطيب، ج/2، ص: 196. انظر أيضا:

- سكيرج (أحمد بن العياشي)، إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد: 53، الجزء الثاني، نونبر 2009م، ص: 44.

[197] - تحدث ابن القاضي عن خط الزمام (الشيفرة) إثر تعريفه بمخترعه في عهد أحمد المنصور الذهبي، وهو: الخطاط عبد الواحد بن مسعود بن محمد عنون الذي قال عنه: **"عبد الواحد بن مسعود بن محمد عنون الأصيلي؛ الكاتب الأرفع، الحسيب، الأصيل، الأوجه، المثيل، أمين بيت المال، من جملة كتبة المخدوم أبي العباس المنصور، ولد بعد: 990هـ [1582م]. له خط رائق ومعرفة بالزمام، وله حذق ونباهة، وبيتهم بيت كتابة بفاس المحروسة"**. - ابن القاضي، درة الحجال، ج/3، ص: 143.

و**"خط الزمام"** ليس هو: **"الخط الزمامي"** الذي يُعد اليوم أحد الأصناف الخمسة للخط المغربي، والذي يعرف أيضا بـ: **"الخط المسند"** الذي لا علاقة له بالخط المسند القديم، إذ ان تسميته بالمسند معزوّة إلى حروفه التي تستند إلى اليمين، حيث تبدو مائلة مستلقية، وعُرف أيضا، بـالزمامي، لأن استعماله ارتبط بالزمام، وهو نوع من الأوراق معتدلة الحجم، أخذت تسميتها - على غرار الرقاع في المشرق - من وظيفتها التي ارتبطت عند العُدول في المغرب بتقييد التركات، وتحرير العقود، مما جعل منه خطا خاصا بالوثائق العدلية، والمنكرات الشخصية، والتقييدات الذاتية، والعقود وغيرها.. حتى جرت العادة في اللسان الدارج بالمغرب استعمال عبارة: **"زمّم أيها الفقيه"**، أي: قيّد أو حرّر، ولذلك سمي هذا الخط أيضا بـ: **"خط العدول"**. وهو خط ينحدر من الخط الفاسي المجوهر، يخلو من المسحة الجمالية فيما يتعلق برسم صور الحروف وتركيبها، إذ يبدو كتلك الخطوط الاعتيادية التي يكتبها الخطاط وغير الخطاط، ويظهر من ملامحه أيضا طابع السرعة وعدم الاعتناء برسم الحروف، حيث لا يخضع لأية معايير رياضية أو بصرية، كما أنه غير منظم، يختلف من حيث صور حروفه من شخص لآخر، ولا يستعمل في الكتب العلمية إلا لماما، لأنه من أصعب الخطوط المغربية في القراءة.

[198] - حصر المنوني أصناف الخط المغربي في 5 أنواع هي: الكوفي، المبسوط، الثلث المغربي (وهو الخط المشرقي المتمغرب)، المجوهر (وهو الخط الفاسي)، الزمامي (وهو الخط المسند). انظـر:

- تاريخ الوراقة المغربية، ص: 13 - 14. أما سكيرج، فقد أسقط صنفا من هذه الأصناف الخمسة، ألا وهو: الخط الزمامي. انظر:

ـ سكيرج، الخط العربي المغربي، نقلا عن المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ملحق، ص: 322.

وكما يظهر من اسم **"خط الزمام"**؛ فإنه قد كان خطّا مشفّرا وملغوزا، خُصِّص لتحرير الوثائق والمراسلات السرّية للدولة، حذقه جماعة من الرجال المقربين لأحمد المنصور الذهبي كأبنائه ووُلاته وقادته، ويتحدث صاحب القلم الأعلى في الدولة السعدية؛ أبو فارس عبد العزيز الفشتالي (956 - 1031هـ/1549 - 1621م) في كتابه: **"مناهل الصفا"** عن هذا الابتكار قائلا: **"اخترع [المنصور الذهبي] لهذا العهد أشكالا من الخط على عدد حروف المعجم، يكتب بها فيما لا يريد الإطلاع عليه من أسراره، ومهمات أموره وأخباره، يمزج بها الخط المتعارف، فيصير بذلك الكتاب مبهما مستغلقا، فلا يجد المطّلع عليه بابا يدخل منه إلى فتح شيء من معاني الكتاب، ولا الوصول إلى فهم سر من أسراره، حتى لو تلف الكتاب أو سقط أو ضاع أو وقع في يد عدو لأمنت غوائل الإطلاع على أسراره، فكان في ذلك آية أعجز بها الورى. ثم نوّع - أيده الله - هذا الخط إلى أنواع: يخصّ ولي عهده منها بنوع يرجع إليه في فك مُعمّى كتبه، ثم إذا جهز أحدا بالعساكر أو بعثه في غرض رسالة أو قلده جانبا من أطراف ممالكه وثغوره، ناوله خطا من تلك الخطوط يفك به رسائل أمير المؤمنين، ويكتب به هو ومن عنده فيما يريد تعميته من الأخبار وخبايا الأسرار، فختم بذلك - أيده الله - على أسراره ختما لا يُفضّ بحدس، ولا يُدرك بمعنى ولا حس، ولا يُرسم حدّه بنوع ولا جنس"**[199].

ومعلوم أن **"تعمية الأخبار وخبايا الأسرار"** التي تحدث عنها الفشتالي، ترتبط بـمفهوم: **"التعميَّة وكشف المُعمَّى"**، وهي ما يُعرف حاليا بـ: **"التشفير"** أو**"الشيفرة"**.

ويشير عبد الهادي التازي إلى أن خطوط "الشيفرة" السعدية

---

[199] - الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز)، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبد الكريم كريم، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. ت، ص: 207 - 208.

لم تكن متأثرة باستعمال تركي أو غيره، بل كانت من ابتكار السعديين أنفسهم، وقد كانت أشكالا وضروبا، منها ما يختص بولي عهد المملكة، ومنها ما يختص بالقيادة العليا، ومنها ما يستعمل مع السلك الدبلوماسي، ومنها ما كان يستخدم مع العمال على الأقاليم[200].

والجدير بالذكر، أن علماء فاس وقضاتها وعدولها استعملوا - إلى عهد قريب - ظاهرة التشفير في كتابة الأعداد، وهي الظاهرة التي كانت ترتبط بمسمّى: **"القلم الفاسي"**، وسُمّي هذا القلم أيضا بمسميات أخرى من ضمنها تسمية: **"الزمام"**[201]. أو**"رَشْم الزِّمام"**[202]. وهو يختلف كليّا - وكما سبقت الإشارة إلى ذلك - عمّا نسميه اليوم بالخط "الزمامي" أو (المسند). تماما كالاختلاف الموجود بين الخطين المشرقيين: "الرقاع" و"الرقعة"[203].

وقد استُخدم القلم الفاسي لتقييد التركات والفرائض في تقسيم الإرث وفق طريقة مشفرة لا يعرفها أحد سواهم[204]، وأكد أحمد بن العياشي سكيرج (ت.1363هـ/1944م): **"ان وضع هذا القلم إنما قُصد به الاختصار في الوضع العددي، والتّعمية على العوامّ؛ خوف التبديل والتغيير"**[205]، ولفظة: **"القلم"** هنا - حسب محمد الفاسي - معناها صور الأرقام ونظامها في

[200] - التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، ص: 37.

[201] - ابن القاضي، درة الحجال، ج/3، ص: 143.

[202] - سكيرج، إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، ص: 43.

[203] - يشير ابن النديم إلى أن **"خط الرقاع مخرجه من خفيف الثلث الكبير [وقد كان أيضا] يكتب به التوقيعات وما أشبه ذلك"**. أما **"خط الرقعة"** المعروف في عصرنا الحالي، فهو خط تعود جذوره إلى سنة: 886هـ/1481م حسب ما توصل إليه البحّاثة العراقي ناجي زين الدين المصرف رحمه الله. انظر:

- ابن النديم، الفهرست، ص: 19.

- المصرف (ناجي زين الدين)، مصور الخط العربي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ببغداد، مطبعة الحكومة، بغداد، 1968م، ص: 383.

[204] - الفاسي (محمد)، حساب القلم الفاسي، مجلة مجمع اللغة العربية، عدد: 1988م، ج/62، ص: 254.

[205] - سكيرج، إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، ص: 44.

الحضارات المختلفة[206]، ويسمى القلم الفاسي أيضا: "**بالقلم الرومي**"[207]، أو "**القلم الروماني المتمغرب**"[208]، أما تسميته بـ: "**الخط الفاسي**"، فلأن استعماله كاد يكون مقتصرا على هذه المنطقة ومن اتصل بها في المغرب، وليس القصد أن أهل فاس هم الذين اخترعوه[209].

وقد نظم أبو السعود عبد القادر الفاسي (ت.1091هـ/1680م) أرجوزة في بيان أشكال "**القلم الفاسي**"[210]، ولشرحها؛ ألف أحمد بن العياشي سكيرج المتكرر الذكر، رسالة سماها: "**إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي**".

ومن ضمن المؤلفات المعروفة لحد الآن حول القلم الفاسي؛ نصوص عديدة تختلف بين النظم والنثر، معظمها لا يزال غير مطبوع، نذكر منها:

- "**الاقتضاب من العمل بالرُومي في الحساب**"، لابن البَنَّاء المراكشي (ت.721هـ/1320م). منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: ق.416، ضمن مجموع، من (ص: 425 - 432). وأخرى بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم: 478/2، ضمن مجموع.

- "**رَشْم الزِّمام**"، لعبد الرحمن بن محمد الفاسي الشهير بابن العربي. منها نسخة في خزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم: 478/2، ضمن مجموع.

- "**وجوه قريبة في الحساب والزِّمام**"، لمؤلف مجهول. منها نسخة في خزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم: 478/2، ضمن مجموع.

---

[206] - محمد الفاسي، حساب القلم الفاسي، ج/62، ص: 254.

[207] - التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، ص: 42.

[208] - المنوني، قبس من عطاء المخطوط المغربي، ص: 671.

[209] - التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، ص: 44. انظر أيضا:
- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المقدمة: 2، ص: 63.

[210] - محمد الفاسي، حساب القلم الفاسي، ج/62، ص: 254.

- **"كتاب فيه رَشْم الزِّمام وشرحه"**، لمؤلِّف مجهول. منها نسخة في خزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم: 478/2، ضمن مجموع.

- **"صور القلم الرُّومي وأعماله ومبدأ صورة آحاده"**، لمحمد بن أحمد بن محمد الصَّبّاغ (ت.1076هـ/1665م). منها نسخة في الخزانة الملكية بالمغرب تحت رقم: (12032/11)، ضمن مجموع[211].

وحتى نستوفي حديثنا عن القلم الفاسي أو قلم الزّمام، نشير إلى أن هذا القلم لم يرتبط بتقييد التركات أوتحرير الوثائق السرية للدولة فحسب، بل استخدمه العلماء والنُّسَّاخ أيضا في تأريخ بعض المخطوطات، كما يذكر ذلك محمد الفاسي الذي أكد أنه يمتلك في خزانته مجموعة من المخطوطات التي تم تأريخها بهذه الطريقة[212].

وفي كتابه: **"الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ"**، ساق لنا عبد الهادي التازي جدولا يمثل بعض صور القلم الفاسي في العصر العلوي، وقيمها العددية من الآحاد إلى مئات الألوف، دون أن ينسى الكسور وقيمها. (انظر شكل: 13)[213] :

---

[211] - سكيرج، إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، ص: 43.

[212] - محمد الفاسي، حساب القلم الفاسي، ج/62، ص: 256.

[213] - التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، ص: 43.

الآحاد	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	1	2	3	4	5	6	7	8 ..	9
العشرات	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	10	20	30	40	50	60	70	60	90
المآت	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	100	200	300	400	500	600	700	800	900
آحاد الألوف	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	1000	2...	3...	4...	5...	6...	7...	8...	9...
عشرات الألوف	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	10000	20...	30...	40...	50...	60...	70...	80...	90...
مآت الألوف	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	100...	200...	300...	400...	500...	600...	700...	800...	900...
الكسور	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	1	2	3	4	5	6	7	8	9

جدول يمثل القيم العددية للخط الفاسي

شكل: 13

وقد ذهب المنوني إلى أن "عبد الواحد بن مسعود بن محمد عنون الأصيلي ثم الفاسي" (ولد بعد: 960هـ/1553 أو990هـ/1582م)؛ هو من كان مسؤولا على شؤون الشيفرة خلال العصر السعدي، حيث جمع بين براعة الخط وأدب الكتابة، كما كان من المقربين من السلطان أحمد المنصور الذهبي وأكثر المخلصين له[214]، حتى ان ابن القاضي (960 - 1025هـ/1553 - 1616م) وصفه في: **"درة الحجال"** بقوله: **"..الكاتب الأرفع.. له خط رائق ومعرفة بالزمام"**[215]. ومن جهته، رأى عبد الله العروي أن كثرة الجواسيس، هي ما فرض على المنصور الذهبي اختراع خط الشيفرة المغلق، وذلك لتفادي نقل أسراره إلى الإسبان والأتراك العثمانيين وأرباب الزوايا[216].

---

214 - المنوني، الوراقة المغربية، ص:77.

215 - ابن القاضي، درة الحجال، ج/3، ص: 143.

216 - العروي (عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، 1999م، ج/3، ص: 60.

ويشير المنوني أيضا إلى أن خطاطا مغربيا - مجهول الإسم - عثر **"على رسالة مكتوبة بهذه الطريقة، بخط عبد الواحد عنون نفسه، ودرسها طويلا إلى أن توصل لفك رموزها، وطابق كل شكل من أشكالها على ما تُفسره الأبجدية المغربية، كما توصل إلى أنّ وضْع هذه الأشكال كان على ترتيب نفس الأبجدية، ثم دَوّن هذا كله على ورقة ذيّلها برسم جميع أشكال الخط المنصوري، مع تفسير كل شكل بما يقابله من الأبجدية المغربية"**[217].

وقد كشف عن هذه الورقة؛ المستشرق: جورج كولان، الذي أنجز حولها بحثا مستوفيا - باللغة الفرنسية - شرح فيه ماهية هذا الاكتشاف، وضمّنه ترجمة النص مع تعاليق إضافية[218]. وذلك بعدما أطلعه عليها السيد: "سيرديْرا" (CERDEIRA) حسب إفادة عبد الهادي التازي[219].

وبعد رجوعنا إلى مجلة هسبريس، وهي المجلة التي نشر فيها كولان مقاله[220]؛ وجدنا الورقة التي أشار إليها المنوني[221]؛ وهي بخط (المغربي المجهول) الذي ذكر فيها - عن نفسه - أنه أمضى قرابة 15 سنة لفك رموز هذا الخط، وحتى تعم الفائدة؛ قمنا بتفريغ الأحرف الواردة في الوثيقة المذكورة في ترسيمة أبجدية، عبّرنا من خلالها عن كل حرف مشفّر بالحرف الذي يناسبه بالخط الإداري[222]، حيث

---

217 - المنوني، الوراقة المغربية، ص:77. انظر أيضا:

- التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، ص: 38 - 39.

218 - المنوني، الوراقة المغربية، ص:77.

219 - التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، ص: 38.

220 - Georges Colin. Note sur le système cryptographique du Sultan Ahmad al- Mansûr, hesperis, Tome: VII. 1927 .2ème Semestre. pp. 221- 228.

221 - Georges Colin. Note sur le système cryptographique du Sultan Ahmad al-Mansûr, p. 224.

222 - محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط العربي في بلاد المغرب، ص: 174.

اعتمدنا في ذلك على الأبجدية المغربية[223]، التي أوردها صاحب الوثيقة، وهي أبجدية تختلف قليلا في ترتيبها عن ترتيب المشارقة. (انظر شكل: 14).

ز	و	هـ	د	ج	ب	أ
ن	م	ل	ك	ي	ط	ح
		حرف متآكل	حرف متآكل			
س	ر	ق	ض	ف	ع	ص
ش	غ	ظ	ذ	خ	ث	ت

ترسيمة أبجدية قمنا من خلالها بتفريغ الأحرف المشفّرة الواردة في وثيقة نادرة لخطاط مغربي مجهول يعرض في آخرها بعض رسوم خط الشيفرة التي استخرجها من وثيقة سعدية بخط ابن عنون يرجع تاريخها إلى سنة: 1009هـ/1601م، وذلك بعدما انكبّ على دراستها قرابة 15 سنة

شكل: 14

والظاهر أن عبد الواحد بن عنون ينتسب إلى أسرة أشتهرت بحذق الخط، كما اشتهرت أيضا بكتابة المصاحف الشريفة. ومن أبرز الخطاطين المصحفيين المنتسبين لهذه الأسرة أيضا، الخطاط البارع: "محمد بن محمد بن محمد بن عنون"، الذي نسخ بخطه ربعة قرآنية تتألف من 30 جزءا تم تحبيسها على خزانة القرويين في: صفر 949هـ/ماي 1542م. ويوجد في نص تحبيسها ما يفيد أن قيّم خزانة القرويين آنذاك قد

---

[223] - ترتيب الأبجدية عند المشارقة؛ كما يلي: "**أبجد**، **هوز**، **حطي**، **كلمن**، **سعفص**، **قرشت**، **ثخذ**، **ضظغ**"، أما ترتيبها عند المغاربة فهي كالتالي: "**أبجد**، **هوز**، **حطي**، **كلمن**، **صعفض**، **قرست**، **ثخذ**، **ظغش**"، وسبب هذا الاختلاف راجع بالأساس إلى أن المغاربة يروون ترتيب الأبجدية عن الأمم السابقة بخلاف ما يرويه المشارقة عنهم. انظر:

- عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، ص: 25.

تسلمها بالإشهاد. لكن هذه الربعة لم يتبقّ منها للأسف سوى 15 جزءا، وهي لاتزال محفوظة حاليا بخزانة القرويين بفاس، تحت رقم: 879. (انظر شكل: 15).





صفحتان من ربعة محمد بن محمد بن محمد بن عنون، إحداهما خاصة بنص التحبيس الذي يؤكد أن ناسخها قد حبّسها سنة: 949هـ/1542م. وهو مذيل بتوقيعه المشفّر على غرار الطغراء السعدية

المصدر: خزانة القرويين - فاس، رقم: 879

شكل: 15

وقد كان صاحب هذه الربعة[224]؛ على معرفة بفن التوقيعات، وهو ما نلاحظه من خلال توقيعه المُزمّم أو المشفّر الذي استخرجناه من وقفية ربعته المذكورة. (انظر شكل: 16).

---

[224] - إلى جانب المصاحف المجموعة في سفر واحد، توجد مصاحف تفرق على أجزاء يختلف عددها حسب الغاية المتوخاة من كتابتها، وقد جرى على هذا النوع من المصاحف؛ اسم: **"الربعة"**، الذي يطلق في الأصل على التابوت الذي توضع فيه. قال أبو حامد الفاسي: "**إن المراد بالربعة صندوق مربع الشكل من خشب، مغشى بالجلد، ذو صفائح وحلق، يقسم داخله بيوتا بعدد أجزاء المصحف، يجعل في كل بيت منه جزء من المصحف، وإطلاقها على المصحف مجاز**". انظـــر:

- المنوني (محمد)، مركز المصحف الشريف بالمغرب، مجلة دعوة الحق، الرباط ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد: 3، السنة الحادية عشرة، يناير، 1968م، ص: 74.

التوقيـــع المستخرج:



تشريحـــه ثم قراءتـــــه:



محمد بن محمد بن محمد بن عنون

هــــــاء ترمـز إلــى كلمــة: "انتهـــــى". أي: انتهـى معنـى الـنص.
وكان حرف الهاء يستعمل بهذا الشكل عند المغاربة للفصل بين الفقرات
حيث يقـوم مقـام النقطـة التـي نسـتعملها اليـوم ضـمن علامـات التـرقيم

توقيع محمد بن محمد بن محمد بن عنون. مستخرج
من نص تحبيس ربعته التي خطها بيمينه
شكل: 16

3 - 2 - الخط الفاسي وعلاقته بتشفير وتعمية العلامات والتوقيعات والطغراوات. دراسة معمّقة تستهدف المقارنة بين استعمال العلامة في المغرب السعدي، واستعمال الطغراء في تركيا العثمانية:

إن ظاهرة "**التعميَّة**" التي اشتهـر بها القلم الفاسي وغيره من الخطوط المشفّرة التي كانت مستعملة في المشرق، كانت ترتبط بمفهـوم "**التشفير**" الـذي أخـذه الغـرب عـن

العرب، بعدما حرّفوه من الكلمة العربية: **"صفر"** إلى كلمة: **"شيفر"** (chiffre) أو(Cipher)، وتُعرف في لغة العصر الحاضر باسم: (Cryptographie) أو(Cryptography)[225].

ويعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي (100 - 170هـ/718 - 786م) واضع علم العروض؛ هو أول من استخرج المُعمَّى - خلال أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي - حسب ما أورده ابن نباتة المصري (686 - 768هـ/1287 - 1366م) في كتابه: **"سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون"**[226]، وهذا يُفهم منه أن الخط المُشفّر، ارتبط في بداياته الجنينية عند العرب بعلم العروض. وهو المعطى الذي أكّده قبل ذلك؛ أبو الحسن أحمد بن محمد المشهور بالعروضي (ت.342هـ/953م)، الذي خصص في كتابه: **"الجامع في العروض والقوافي"**، مبحثين للتعمية؛

---

[225] - استعمل العرب مصطلح: **"التعمية"** كناية عن عملية تحويل نص واضح إلى نص غير مفهوم باستعمال طريقة محددة، يستطيع من يعرفها أن يعود ويفهم النص، ولقد درج في أيامنا هذه استعمال كلمة: **"التشفير"** بدلا عن كلمة التعمية، وهي وافدة من اللغات اللاتينية: (Cipher)، والتي جاءت من كلمة عربية؛ هي: **"الصفر"**، وهو ما أشارت إليه كثير من المراجع. ولقد أدخل العرب مفهوم الصفر في الحساب، وطوروا استعماله على نحو واسع، وهذا ما لم يعرفه الغرب في العصور الوسطى لاستعمالهم الأرقام اللاتينية: (I - II – III – VI...)، التي لا وجود للصفر في نظامها الرقمي، وحينما دخلت الأرقام العربية: (0 -1 - 2 - 3 - 4..) إلى العالم الغربي، كان مفهوم الصفر غاية في الإبهام والتعمية، ومن هنا جاءت فكرة كلمة: "صفر" **(Cipher)** في جميع اللغات الأوربية للدلالة على التّعمية التي طور العرب عملياتها، ودرسوا خصائصها حتى أعطوها طابع العلم. انظر

- التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، ص: 5. انظر أيضا:

- محمد مراياتي - يحيى مير علم- محمد حسان الطيان، علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ج/1، 1987م، ص: 28.

[226] - يقول ابن نباتة: **"عمي الأمر؛ إذا التبس، وعمَيت معنى البيت من الشعر، إذا أخفيته، ومنه المُعمَى اللّغز، والمراد هاهنا حروف يصطلح عليها الكاتب مع نفسه، و يُكاتب بها، ويُسمّى الآن [أي في القرن الثامن الهجري]:** المترجم، **ولها طرائق مذكورة تعين على استخراجها. وأول من وضعها الخليلُ [ابن أحمد الفراهيدي] واضع العروض... [ويضيف ابن نباتة في معرض حديثه عن الخليل]: ثم استخرج المُعمّى، وهو أيضًا أول من نظر فيه؛ وذلك أن بعض اليونان كتب بلغتهم كتابًا إلى الخليل، فخلا به شهرًا حتى فهمه، فقيل له في ذلك، فقال: علمت أنه لابدّ وأن يفتتح باسم الله تعالى، فبنيت على ذلك، وقست، وجعلته أصلاً ففتحته، ثم وضعت: (كتاب المُعمّى)".**

- ابن نباتة (جمال الدين المصري)، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1964م، ص: 267 268.

أولهما: **"باب استخراج المُعَمَّى"**[227]، والثاني: **"القول في معرفة التعمية"**[228]. أما "ابن وحشية النبطي" (الذي كان حيا سنة: 241هـ/856م في العراق)[229]، فقد أطْلعنا على جملة من الخطوط المشفّرة القديمة في كتابه الفريد: **"شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام"**. وهي الخطوط التي قام بفكّ رموزها المشفّرة بالحرف العربي[230]. وفكّ رموز الخطوط المُشفّرة، هو ما عبرّ عنه أبو الحسن بن طباطبا (ت.322هـ/934م) في رسالته؛ بـ: **"استخراج المُعمّى"**[231]، وهي العبارة نفسها التي استخدمها الكندي (ت.260هـ/873م) قبله في رسالته إلى الخليفة العباسي أحمد المستعين بالله (248 - 252هـ/862 - 866م)[232]. وقد عبرّ أبو بكر الصولي

---

227 - العروضي (أبو الحسن أحمد بن محمد)، الجامع في العروض والقوافي، تحقيق: زهير غازي زاهد - هلال ناجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: 1996م، ص: 294.

228 - العروضي، الجامع في العروض والقوافي، ص: 296.

229 - أبو بكر أحمد بن علي بن وحشية النبطي الكلداني (كان حيا سنة: 241هـ/856م)، وهو من أهل العراق الذين كانوا على معرفة بأسرار الخطوط القديمة. عن ترجمته؛ انظـر: - ابن النديم، الفهرست، ص: 439.

230 - حُقّق هذا الكتاب في طبعتين اثنتين، وُفّقنا في الاطلاع عليهما معا: * **الطبعة الأولى:** وهي طبعة قديمة نشرت في لندن سنة: 1806م، بتحقيق المستشرق النمساوي: جوزيف همر. * **والطبعة الثانية:** وهي طبعة حديثة نشرتها دار الفكر بدمشق، وهي بتحقيق الباحث السوري: إياد الطبّاع. انظــــر:

- Joseph Hammer. Ancient Alphabets and Hiroglyphic characters explained, in Arabic language by Abu Beker Bin Wahshih and in English, London 1806.

- الطباع (إياد خالد)، منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب: شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 2003م.

231 - ابن طباطبا (أبو الحسن محمد بن أحمد)، رسالة في استخراج المُعمّى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الهدلق، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، المجلد: 32، الجزء: 1، يناير - يونيو، 1988م، صص: 61 - 99.

يقول ابن طباطبا: **"سألتَ أعزك الله - أن أرسم لك رسما في استخراج المُعمَى، تزيد به فطنتك، وتنبه به همَتك، وتذكي به قريحتك، وتجعله آلة لفكرتك، تسهل بها عليك إثارة دفينة، واستنباط الغامض منه، والوقوف على مستوره، وأختصر لفهمك الطريق إلى استخراجه، وأسهل عليك ما وعر منه، لتسلكه وادعا من غير كدَ تناله، ولا سآمة تلحقه.. اعلم أن جميع ما يُترجَم ويُعمَى من الكلام المنثور أو المنظوم محصور في ثمانية وعشرين حرفا على صور مختلفة لا تخرج عنها، ولا يستغنى فيها عن تكريرها، وتتبين مقاطع كلماتها على ما تبينت في صورة الخط".**

- ابن طباطبا، رسالة في استخراج المُعمّى، المجلد: 32، الجزء: 1، صص: 79.

232 - يقول الكندي: **".. إن استخراج المُعمَى لمن أعظم المنافع، إذ كثير من ذوي الفلسفة السابقة والآراء الباقية استعملوا وضع الكتب برسوم مجهولة صفاتها، عزَ من قصَر عن استحقاق منافعها، ولم يرتق في غمار العلوم إلى مراتبها، وثقة بلطافة يحب مستحقها، وتوغلهم إلى كشف أستارها".**

- الكندي (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق)، استخراج المُعمّى، تحقيق: محمد مراياتي - يحيى مير علم- محمد حسان الطيان، نُشر في كتاب: علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ج/1، 1987م، ص: 214.

(ت.335هـ/946م) عن فكّ رموز الخطوط المُشفّرة في: "**أدب الكُتّاب**" بـ: "**الترجمة**"، حيث كان يعتبرها - خلال العصر العباسي - مفتاحا لما "**صُفِّر [أي: شُفِّر] من الكتُب**"[233]، مشيرا بذلك إلى: "**الكتابة بالإشارة**"، أو"**الكلام المُعمّى**"، وليس إلى نقل الكلام من لغة إلى أخرى[234].

وفي عصر الدولة الأيوبية، ألّف الوزير عبد الرحيم بن علي بن شيث (557 - 625هـ/1162 - 1228م) كتابا سمّاه: "**معالم الكتابة ومغانم الإصابة**"؛ تطرّق من خلاله إلى "**الترجمة**"، و"**العلامة السلطانية**"، وبيّن موقعهما وترتيبهما في الوثائق السلطانية[235]. بل وذهب إلى أن "**الترجمة**" التي عبرّ عنها الصولي بـ: "**الكلام المُعمّى**"[236]؛ هي: "**العلامة**" بالنسبة للسلطان، حيث يقول: "**وترجمة السلطان لهؤلاء كلهم: العلامة، فإنها أليق بالسلطان مع من يخدمه**"[237]. وهو أمر أكّده ابن فضل الله العمري (700 - 749هـ/1301 - 1349م) خلال عصر الدولة المملوكية التي خلفت الأيوبيين، حيث ذكر في كتابه:

---

[233] - يقول الصولي عن الترجمة: "**أصل هذه اللفظة فارسية، وكذلك الترجمان، وقد تكلمت بها العرب بعد ذلك وعربتها. وإنما ذكرتها هاهنا لأني أحب أن لا يُصفَر كتابي هذا من شيء يحتاجه الكاتب. فأنا الآن أعمل منها باباً أقربه جهدي على من يريد معرفته ليعلم كيف وجه الترجمة، فيعمل منها بعد هذا ما أراد. وهي شبيهة بالمُعَمَى**".

- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى)، أدب الكتاب، صححه وعلق على حواشيه: محمد بهجة الأثري، ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي، المطبعة السلفية، مصر - المكتبة العربية، بغداد: 1922م، ص: 186.

[234] - التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، ص: 6.

[235] - يقول ابن شيث: "**مكان الترجمة قبل البسملة اقتداء بقوله تعالى: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. وكانت التراجم في الكتب السلطانية على جانب العنوان الأيسر، واسم المكتوب إليه ونعوته إلى الجانب الأيمن، وعلامة السلطان في السطر الثالث من البسملة في فسحة عن السطور**".

- ابن شيث (عبد الرحيم بن علي القرشي)، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، علق على حواشيه: الخوري قسطنطين الباشا المخلصي، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913م، ص: 32.

[236] - الصولي، أدب الكتاب، ص: 186.

[237] - ابن شيث، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، ص: 35.

"**التعريف بالمصطلح الشريف**"، أن "**الترجمة على التواقيع الشريفة مطلقا: (الإسم الشريف)، وعلى المناشير مطلقا: (العلامة الشريفة)**"[238]، "**وتسمى الطغرا أيضا**"[239].

ومعلوم أن مثل هذه التواقيع المشفرة التي تحدث عنها ابن فضل الله العمري، والتي كانت ترتبط بالعلامات السلطانية والتوقيعات الطغرائية حسب رأيه؛ هي نفسها التي كان يستعملها المغاربة في العقود الشرعية والإشهادات وما شابهها، كما أن حجمها كان صغيرا يقارب حجم الكتابة التي كانت تُستعمل في تحرير نصوص الوثائق العدلية، وكانوا يطلقون عليها تسمية: "**الخنفساء**"، كناية على شدة تسويدها، حيث كان الموقِّع يعمد إلى هذا "التسويد" عن طريق تشبيك الخط بشكل متناهي ومتاهي، بل ويتفنن في ذلك حتى لا يتم تقليد توقيعه الذي قد يُستغل في تزوير وثيقة ما. وسُمّي هذا النوع من التواقيع أيضا عند القضاة الشرعيين والعدول بـ: "**البخّوشة**"، والبخّوشة - حسب تعبير المغاربة الدارج - هي حشرات الأرض كالخنافس والصراصير وما شابهها[240]، وقد كانت "**الخنفساء**" أو"**البخّوشة**" توضع منذ العصر السعدي بالخط الفاسي أسفل الوثائق.

بالإضافة إلى الخنافس، استخدم المغاربة أيضا توقيعات مشفرة بخط جليل (أو غليظ) في طرر وثائقهم السلطانية، أطلقوا عليها تسمية: "**العلامة**"، وهي: "**الطغراء**" حسب ما ذهب إليه ابن خلدون (732 - 808هـ/1332 - 1406م) في كتابه: "**العبر**"، ويؤخذ ذلك من قوله: "**..الطغري.. هي: العلامة..**"[241].

---

[238] - العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1988م، ص: 117.

[239] - العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص: 118.

[240] - محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط العربي في بلاد المغرب، ص: 462.

[241] - أكد ابن خلدون أن الطغراء هي: العلامة، ويُستنبط ذلك من خلال تعريفه بالشاعر والوزير السلجوقي الشهير؛ "مؤيد الدين الحسين بن علي الطغرائي" (455 - 513هـ/1063 - 1120م)، وهو صاحب "**لامية العجم**"، الذي عارض بقصيدته؛ قصيدة "**لامية العرب**"، للشاعر "الشَّنْفَرى" (ت.70 ق. هـ/525م) أحد أبرز شعراء الصعلكة في العصر الجاهلي. يقول ابن خلدون: "**وكان أبو المؤيد محمد بن أبي إسماعيل الحسين بن علي الأصبهاني يكتب للملك محمود، ويرسم الطغري - وهي العلامة - على مراسيمه**". انظر: - ابن خلدون، كتاب العبر، ج/3، ص: 616.

بل والأكثر من ذلك كله؛ هو أن تسمية: "**طغراء**" نفسها ظلت تُعرف حتى عهود متأخرة عند غير الأتراك في المشرق بالإسم نفسه الذي عُرفت به في المغرب، ويُستنبط ذلك من خلال بعض المعاجم اللغوية وعلى رأسها: "**تاج العروس**" للزّبيدي (1145 - 1205هـ/1732 - 1790م) الذي ورد فيه أن: "**طُغْرَى.. كلمة أعجمية استعملتها العرب، ويعنون بها: العلامة التي تكتب بالقلم الغليظ في طرّة الأوامر السلطانية، تقوم مقام السلطان..**"[242].

وما يسترعي الانتباه، هو أن مصطلح: "**علامة**" العربي، ظل حاضرا عند العثمانيين - الأتراك للتعبير عن "**الطغراء**" التي استُخدمت عندهم بشكل صريح وواضح مكتمل الهيئة، لا يقبل التأويل ولا يحتاج إلى التعليل، وقد أكد هذا الأمر؛ السفير المغربي علي بن محمد التمكروتي (941 - 1003هـ/1534 - 1594م)، من خلال سفارته، التي بعثه على رأسها السلطان السعدي: أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)، إلى السلطان العثماني: مراد الثالث (982 - 1003هـ/1574 - 1595م)، حيث لم يورد في كتابه: "**النفحة المسكية في السفارة التركية**" ما يدل على أن "**الطغراء**" كانت تُعرف - عند العثمانيين - بهذا الإسم لذلك العهد، بل أشار إلى أنها كانت تُعرف عندهم تارة باسم:

---

[242] - مرتضى الزّبيدي (أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت، ج/12، ص: 430.

"**علامة السلطان**"[243]. وتارة أخرى تُعرف باسم: "**النِّشان**"[244]. وتشير بعض المصادر العثمانية إلى أن مصطلح: "**النشان**"؛ هو مصطلح فارسي انتقل إلى القاموس التركي المتعلق بالتنظيمات الإدارية للإمبراطورية العثمانية[245]، ولعل هذا الرأي، هو ما دفع بعض الباحثين للتأكيد على أن لفظ: "**طغراء**" التركي مرادف - من الناحية اللغوية - للفظ: "**نِشان أو نِيشان أو نِشانة**" الفارسي، ومعناه: "**علامة**"، وهو مرادف - أيضا - للفظ: "**توقيع" العربي**[246].

ومن خلال اطلاعنا على بعض الفرمانات العثمانية، تأكد لدينا أن "**الطغراء**" كان يُشار لها باسم: "**علامت شريف**" بالتاء المبسوطة، أي: "**علامة شريفة**" وهي التسمية التي أوردها القلقشندي (756 - 821هـ/1355 - 1418م) في كتابه: "**صبح الأعشى**"[247]، وبسط التاء في تسمية الأعلام و نعوت الصفات، كان معروفا لدى الأتراك الذين لا يقفون على التاء المربوطة بالهاء بسبب عجمتهم، بل يحققونها كما في الكلمات التالية: ("حكمة = حكمت". "عبرة = عبرت". "جودة = جودت". "رأفة = رأفت"...)، وقس على هذا[248].

بالإضافة إلى اسم: "**علامت شريف**" الذي استشهدنا به

---

[243] - التمكروتي (علي بن محمد)، النفحة المسكية في السفارة التركية، تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م، ص: 100.

[244] - التمكروتي، النفحة المسكية، ص: 100.

[245]- الدولة العثمانية. تاريخ وحضارة، ج/1، ص: 550.

[246] - دائرة المعارف الإسلامية، انتشارات جهان ، تهران، الطبعة الأولى: 1933م، ج/15، ص: 203. نقلا عن:
- صديق (محمد يوسف)، الطغرا واستخدامها في الكتابات العربية في البنغال، مجلة صوت الأمة، مجلد:1، عدد: 3، 1988م، ص: 52. انظر أيضا:
- حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص: 85.
- إدهام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، ص: 201 - 202.

[247] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج/1، ص: 132. انظـــر أيضا: ج/4، ص: 18.

[248] - أخذت عنهم هذا بعض الدول العربية التي كانت تحت سيادتهم، كمصر وبلاد الشام وغيرها، وهم لا يزالون يستعملون ذلك إلى اليوم، حيث يستبدلون التاء المربوطة في أسماء الأعلام بالتاء المبسوطة، وعوض أن يقفوا عليها في نطقهم بالهاء، يقفون عليها بالتحقيق، أي: تحقيق التاء.

في هذا البناء التحليلي - التعليلي، وردت تسمية الطغراء أيضا في الفرمانات العثمانية بنعوت مختلفة مثل: **"طغرائي صميم مكان خاقاني"، "توقيع رفيع همايوني" أو "توقيع همايون"**[249]، **"نِشان شريف عالي الشان.. سلطاني.." أو "نِشان همايون"**[250].

ومن باب المقارنة بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية؛ يمكن اعتبار علامة الدولة السعدية أبرز صورة للطغراء المغربية التي استُخدم الخط الفاسي في كتابتها[251]، حيث كان يرسمها السلاطين السعديون في طرر وثائقهم بقلم غليظ أو جليل[252]، وذلك لتمييزها عن النص الذي كان يكتب

---

[249] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/2، ص: 341.

[250] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/2، ص: 343.

[251] - إن دراسة الطغراء أوالعلامة السعدية ومقارنتها بالطغراء العثمانية، هي في الأصل فصل من فصول أطروحتي لنيل الدكتوراه، تحت عنوان: **"الطغراء. جذورها التاريخية وتطورها خلال العصر السعدي"**. كما أنها بحث مفصل أمعنت في تنقيحه وتحقيقه لسنوات عديدة، فنشرت نتائجه التي توصلت إليها من خلال عدة كتُب ومقالات هي كالتالي:

- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني):

- المصاحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصرين المريني والسعدي. مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأقلامه، أطروحة لنيل الدكتوراه، سُجّلت سنة: 2002م، وقُدّمت للمناقشة في الموسم (2010 - 2011م) بكلية الآداب، سايس/جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ج/2، صص: 492 - 567.

- "الطغراء والأختام السلطانية وعلاقتها بإشكالية السيادة بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية"، مطبوعات أمينة الأنصاري، فاس، الطبعة الأولى: 2013م.

- "العَلاَمة الطغرائية بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية. دراسة تاريخية - فنية"، العدد: 35 (2015م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس، الرباط، صص: 179 - 212.

- "الطغراء المغربية. العلامة السعدية أنموذجا - مدخل لدراسة تاريخ العلاقات المغربية العثمانية وخصوصية التراث المغربي"، مطبوعات أمينة الأنصاري، فاس، الطبعة الأولى: 2014م.

- "العلامات السلطانية بين المشرق والمغرب من خلال كتاب مستودع العلامة لابن الأحمر - تأصيل تاريخي للعلاقات الدبلوماسية بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية"، منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية، فاس، الطبعة الأولى: 2018م.

- "العلامة المغربية والطغراء المشرقية من خلال الوثائق السلطانية"، منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية، فاس، الطبعة الأولى: 2018م.

- "الخط العربي في بلاد المغرب. شهادات مصدرية وشواهد مادية"، إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة: 2021م، صص: 357 - 523.

[252] - عن **"التغليظ"** أو **"التجليل"** في الخطوط المغربية والمشرقية؛ انظـر:

- محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط المجوهر والخط الديواني بين الاستدقاق والتجليل، صص: 233 - 273.

- عادة - بقلم دقيق، بالخط الفاسي، حسب ما أورده عبد الهادي التازي في كتابه: "**التاريخ الدبلوماسي للمغرب**"، حيث يذكر - على سبيل المثال - أن السلطان عبد الله الغالب السعدي (964 - 982هـ/1557 - 1574م)، أرسل رسالة مكتوبة بـ: "**القلم الفاسي**" إلى ملكة بريطانيا إليزابيث ابنة هنري الثامن، وختمها بعبارة: "**وهذا ما وجب به الكتْب إليكم، وكُتب في أوائل جمادى الأولى (بالقلم الفاسي) عام: (977هـ/أواخر أكتوبر 1569م)**"[253].

وقد اشتهر استعمال العلامة أو الطغراء السعدية بشكل كبير في الوثائق خلال عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م) للتدليل على سيادته، حيث كان لها من الضخامة ما يجعلها تشغل الامتداد العرضي للوثيقة من اليمين إلى اليسار، وهي تختلف عن الطغراء العثمانية من حيث الشكل رغم أن وظيفتهما واحدة، وفيما يلي؛ شكلٌ يمثل طغراء هذا السلطان السعدي ومقارنتها بطغراء السلطان العثماني مراد الثالث (982 - 1003هـ/1574 - 1595م).(انظر الأشكال: 17 - 18 - 19).

ومن باب المقارنة أيضا بين كل من العلامة والبخوشة السعديتين؛ اللتين كُتبت أولاهما بقلم فاسي غليظ، والثانية بقلم فاسي دقيق؛ لم نجد بدّا من إعادة تفكيك توقيع أو(بخوشة) ابن عنون التي استخرجناها سابقا من ربعته المصحفية (راجع شكل: 16)، وذلك لمقارنتها بعلامة أحمد المنصور الذهبي التي قمنا هي الأخرى بتفكيكها، ليكتمل وجه المقارنة بينهما. (انظر شكل: 20).

---

[253] - التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج/8، ص: 189 - 190.

أما من باب المقارنة العامة بين التوقيعات المستعملة في المغرب السعدي، والتوقيعات المستعملة في تركيا العثمانية، فيمكن القول أن "**البخَوشة**" السعدية، كانت تقابلها "**البنجة**" العثمانية[254]، و"**العلامة السعدية**"، كانت تقابلها "**الطغراء العثمانية**"، وذلك فيما يتعلق بالاستعمال الوظيفي ودلالة ذلك الاستعمال بينهما، وفيما يلي؛ نقترح شكلا توضيحيا عمدنا فيه إلى المقارنة بين طغراء السلطان العثماني: مراد الثالث (982 - 1003هـ/1574 - 1595م)، وعلامة السلطان السعدي: أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)، فضلا عن المقارنة بين "بنجة" منسوبة لعلي باشا، و هي مؤرخة في سنة: 1060هـ/1650م، في عهد السلطان العثماني محمد الرابع (1058 - 1099هـ/1648 - 1687م)، و"بخّوشة" منسوبة للقاضي أحمد الشداد؛ مستخرجة من وثيقة حبسية لمخطوط الشفا للقاضي عياض، وهي مؤرخة في عهد الوليد بن زيدان السعدي (1040 - 1046هـ/1631 - 1636م).(انظر شكل: 21).

---

[254] - كانت للعلامة أو الطغراء حساسية كبيرة، وبعد رمزي عميق يرتبط بسيادة السلطان ونفوذ أوامره، فجلال قدرها من جلاله، وانحطاطها من انحطاطه، لذلك كان شكلها وموقعها في الوثيقة، يكتسي دلالة قوية تُعبر عن موقع السلطان في الميزان الدولي للقوى، وفي هذا المعنى نشير - من باب المقارنة - إلى أن الوثائق العثمانية التي كانت لا ترتبط بالسلطان، وترتبط بمن هم أقل منه قيمة في هرم السلطة كأصحاب المقامات العالية مثل: الصدر الأعظم والوزراء وشيوخ الإسلام وغيرهم.. كان لا يُسمح لهم باستعمال الطغراء السلطانية في مكاتباتهم حتى لا تتداخل أوامرهم مع أوامر السلطان، ولتجاوز هذا الأمر، سُمح لهم بتقليد شكل الطغراء في توقيعاتهم الشخصية؛ شريطة تعديل ملامحها، وتغيير اسمها، فضلا عن عدم وضعها في طرة الوثيقة. ومن ثم ظهرت أشكال جديدة من التوقيعات العثمانية؛ أُطلق عليها إسم الـ: "**بنجه**" (Pençe)، وهي طغراء صغرى؛ كانت تسمى أحيانا: "**طغرة**"، كما كانت تسمى في غالب الأحيان بـ: "**الإمضا**".

والبنجة تختلف عن طغراء السلطان بكونها تفتقر إلى الأشكال البيضوية، أو تقتصر على بيضة واحدة معقوفة إلى اليمين، كما أن عدد "الأطواغ" فيها (وهي الألفات أو اللامات) تشير إلى رتبة "صاحب المقام العالي". فضلا عن ذلك؛ كان لا يجوز وضعها في أعلى الخطاب أو الوثيقة، لأن ذلك المكان اختصت به الطغراء السلطانية دون غيرها، بخلاف البنجة التي انحصر استعمالها في الأسفل أو على الهوامش الجانبية. انظـر:

- القطوري (أحمد الصفصافي)، الوثائق العثمانية (الدبلوماتيك). دراسة حول الشكل والمضمون، القاهرة، الطبعة الثانية: 2011م، صص: 170 - 177.

- محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط العربي في بلاد المغرب، ص: 461.



رسالة مؤرخة في : 19 شعبان من سنة: 998هـ/23 يونيو1590م، بعثها السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م) إلى ملكة بريطانيا إليزابيث

مصدر الوثيقة: أرشيف التاج البريطاني ـ مجموعة هوبكنز، رقم: 5. ص: 4.

فرمان مؤرخ في أواخر رجب 983هـ/نونبر 1575م للسلطان العثماني مراد الثالث (982 - 1003هـ/1574 - 1595م)

مصدر الوثيقة: متحف شكيب صبانجي ـ استانبول، رقم: SMU - 0029 - 160

تشـــــريح ومقـــــارنة:

طغراء مراد الثالث (982 - 1003هـ/1574 - 1595م)

مراد شاه بن سليم شاه خان. مظفر دائما

علامة أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)

هــاء الانتهاء

الحمــد للــه وحــده - الحسني

مفتـــــــاح

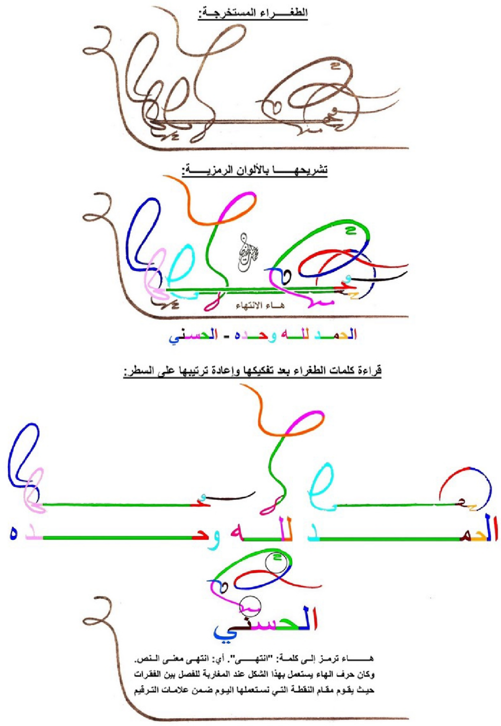
1=1سرأة أوسُرّة (متن)
2=2بيضتا الطغراء
3=3طوغ (ألف أو لام)
4=4زلفةتزيينية
5=5قول
6=6راء المظفر-ياء الحسني
7=7دائما- حاء الحسني
8=8حشوات زخرفية نباتية

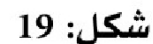
تشريح ومقارنة بين العلامة السعدية التي كتبت بالخط الفاسي المشفّر والطغراء العثمانية التي كُتبت بخط الثلث المشفّر من خلال أنموذجين متزامنين:

طغراء السلطان العثماني: مراد الثالث (982 - 1003هـ/1574 - 1595م)،

وعلامة السلطان السعدي: أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م)

شكل: 18





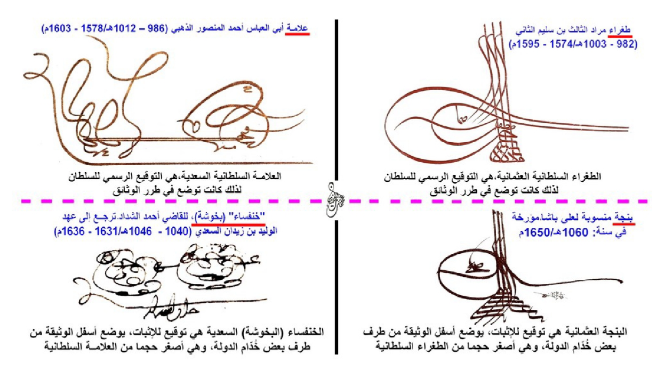
تفكيك عناصر علامة السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي المكتوبة بالخط الفاسي، ثم إعـادة ترتيب كلماتها على السطـر من اليمين إلى اليسار، وذلك لمعرفة أسرار الطريقة التي كان يعتمدها الخطاط لتشفير الخط الفاسي

شكل: 19



مقارنة بين علامة أحمد المنصور الذهبي، وتوقيع الخطاط البارع: محمد بن عنون، وهما التوقيعان اللذان كُتبا بالخط الفاسي المشفّر

شكل: 20



التوقيع الخنفسي (البخوشة)، ومقارنته بالعلامة السعدية من جهة،
وبالطغراء و(البنجة) العثمانيتين من جهة أخرى
شكل: 21

وبعد ارتقاء السلطان أبي المعالي زيدان الناصر السعدي (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م) لسدة الحكم خلفا لوالده أحمد المنصور الذهبي، تم تجويد الطغراء السعدية بشكل غير مسبوق، حيث استعملها السلطان السعدي الجديد على مختلف الحوامل كالمدافع والنقود، فضلا عن الوثائق[255]، مما سمح بتعميم استعمال الخط الفاسي خلال عهده في مختلف الأغراض وعلى مختلف الحوامل (Supports)، ولعل هذا التعميم؛ هو ما يدفعنا للقول بأن هذا السلطان السعدي، يمكن اعتباره سفيرا للخط الفاسي الذي تم تجويده في عهده، كما يمكن اعتباره أيضا أبا الطغراء السعدية التي تم تجويدها هي الأخرى في عهده، حيث رُسمت بالخط الفاسي المزخرف، وهي المرة الأولى التي سيظهر فيها الخط الفاسي في أبهى صوره، وفي هذا الشأن؛ نشير إلى أننا قد عثرنا على رسالة بعثها هذا

---

[255] - راجع نماذج الطغراوات السعدية التي استعملها السلطان زيدان السعدي (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م) على النقود والمدافع والوثائق في كتابنا:

- محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط العربي في بلاد المغرب، صص: 394 - 414. وأيضا؛ صص: 465 - 498.

السلطان إلى فليب الثالث بتاريخ: 1ربيع الثاني1017هـ/15يوليوز 1608م (انظر شكل: 22)، وكما يظهر من خلال هذه الرسالة فإنها موشّحة بعلامة مزخرفة بديعة، يمكن اعتبارها من أهم العلامات السعدية التي بلغت أوج التجويد الفني خطا وتركيبا وتذهيبا وزخرفة. ونظرا لقيمتها التاريخية والفنية؛ فإننا ارتأينا دراستها دراسة تشريحية لرصد عناصرها الفنية البديعة، التي جعلت منها أجمل شكل طغرائي كُتب بالخط الفاسي خلال العصر السعدي، كما جعلت منها الصورة المعيارية للطغراء السعدية التي سنقارنها بطغراء عثمانية مزامنة لها، وحتى نتمكن من معرفة العناصر النصية والفنية لهذه العلامة الفريدة؛ أبينا إلا أن نقوم بتفكيك رموزها تفكيكا وافيا[256]، وإعادة ترتيب كلماتها في لوحة واحدة، ثم تفريغها بالخط الإداري والتعليق عليها (راجع شكل: 19). ولا يمكننا أن نطّلع على أوجه الائتلاف

---

[256] - للأمانة؛ نشير إلى أن المستشرق الفرنسي- "الكونت" هنري دو كاستر، قام بنشر مقال نادر حول **"التوقيعات السعدية"** في العدد الأول من مجلة هسبريس المغربية الصادر سنة: 1921م، حيث اهتم من خلاله بتفكيك بعض مكونات هذه العناصر تفكيكا نصّيا دون أن يدرسها دراسة فنية تشريحية، ورغم جهده المشكور، إلا أنه لم يقدم لنا توضيحات حول نوع الخط الذي كُتبت به، أو كيفية الكتابة ومسار القلم، بَلْه أن يقدم لنا بعض التفسيرات الفنية التي من شأنها أن تُيسّر عملية استغوارها وسبر أسرارها. انظر:

- Henry de Castries, “Les signes de validation des chérifs saadiens”, Hespéris, Rabat, 1921,TOM. I, fasc. 3. p.p. 242 - 243 - 244.

إضافة إلى ذلك؛ اصطدم دو كاستر ببعض المقاطع المشفّرة في العلامة أو الطغراء السعدية، حيث عجز عن فك رموزها، وخاصة البيضة الصغرى التي احتار في أمرها، قبل أن يخلص إلى القول بأنها: **"تبقى علامة أخيرة لم يتم التعرف على فحواها"**. انظر:

- Henry de Castries, “Les signes de validation des chérifs saadiens”, p. 244.

ومن خلال دراستنا للطغراء السعدية دراسة معمّقة، وُفّقنا - بفضل الله تعالى - إلى فك رموزها، بل والتوصل إلى فك رمز البيضة الصغرى التي عجز دوكاستر عن فكّها، فوجدناها ترتبط بكلمة: **"الحسني"** التي تُحيلنا على نسب السعديين. وبعد تشريح الطغراء السعدية تشريحا وافيا، نشرنا ذلك في عدة كُتب من تأليفنا المتواضع، آخرها؛ كتاب: **"الخط العربي في بلاد المغرب. شهادات مصدرية وشواهد مادية"**، الذي نشرته - مشكورة - دائرة الثقافة بحكومة الشارقة سنة: 2021م. انظر:

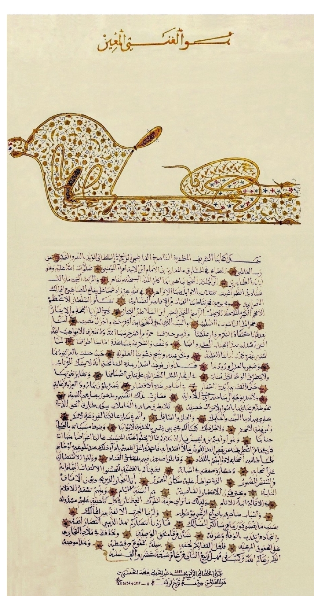
- محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط العربي في بلاد المغرب، ص: 454.

والاختلاف بين العلامة السعدية والطغراء العثمانية إلا إذا قمنا بجمعهما في لوحة تفصيلية معبرة، ولتحقيق ذلك؛ أمعنّا في اختيار طغراءٍ مذهبة للسلطان العثماني أحمد الأول بختي (1012 - 1026هـ/1603 - 1617م)، قصد مقارنتها بالعلامة الزيدانية الناصرية، على اعتبار أن مرحلة حكم هذا السلطان العثماني تتزامن مع مرحلة حكم السلطان السعدي زيدان الناصر (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م).

وقد عمدنا إلى فعل ذلك؛ لتجسيد المقارنة بين "طغراء" السلطان العثماني و"علامة" السلطان السعدي، بناء على مبدإ التزامن التاريخي، لمعرفة مستوى التطور الفني لهذا الرسم السلطاني في كل من المغرب السعدي وتركيا العثمانية. (انظر شكل: 23، وشكل: 24).



رسالة من أبي المعالي زيدان الناصر السعدي (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م)
إلى فيليب الثالث بتاريخ: 1ربيع الثاني1017هـ/15 يوليوز1608م
المصدر: الوثيقة محفوظة في الأرشيف العام. سانت مانكش (سيمنكاس) - بلد الوليد، رقم: E210



نسخة من رسالة لأبي المعالي زيدان السعدي (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م)
إلى فيليب الثالث بتاريخ: 1 ربيع الثاني1017هـ/15 يوليوز1608م
مصدر الوثيقة: من إنجاز المؤلف نقلا عن الوثيقة الأصلية

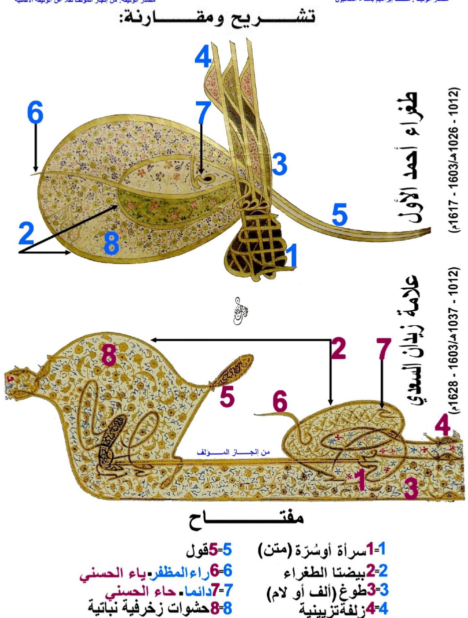


نسخة من رسالة لأبي المعالي زيدان السعدي (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م)
إلى فيليب الثالث بتاريخ: 1 ربيع الثاني1017هـ/15 يوليوز1608م
مصدر الوثيقة: من إنجاز المؤلف نقلا عن الوثيقة الأصلية



فرمان للسلطان العثماني أحمد الأول بختي (1012 - 1026هـ/1603 - 1617م)
مؤرخ في سنة: 1013هـ/1604م
مصدر الوثيقة: متحف إبراهيم باشا - استانبول

تشـــــريح ومقـــــارنة:



مفتـــــــــاح

1=1سرأة أوسُرّة (متن)
2=2بيضتا الطغراء
3=3طوغ (ألف أو لام)
4=4زلفةتزيينية
5=5قول
6=6راء المظفر-ياء الحسني
7=7دائما- حاء الحسني
8=8حشوات زخرفية نباتية

تشريح ومقارنة بين العلامة السعدية التي كتبت بالخط الفاسي المشفّر والمزخرف و الطغراء العثمانية التي كُتبت بخط الثلث المشفّر والمزخرف من خلال أنموذجين متزامنين: طغراء السلطان العثماني أحمد الأول بختي (1012 - 1026هـ/1603 - 1617م)، وعلامة السلطان السعدي أبي المعالي زيدان الناصر (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م)

شكل: 24

3 - 3 - الخط الفاسي وعلاقته بتحرير نصوص المراسلات السلطانية. دراسة معمّقة تستهدف المقارنة بين استعمال الخط الفاسي في المغرب السعدي واستعمال الخط الديواني في تركيا العثمانية:

انطلاقا من دراستنا للعلامة السعدية، لاحظنا أن خطاطي الديوان السعدي، كانوا يقومون بتحوير الخط الفاسي الذي اشتهرت أقلامه بالتعمية والتشفير، وذلك لملاءمته وتكييفه مع المسارات المتاهية والمتناهية للعلامة المذكورة التي كان يُراد تشفيرها وتعميتها تبعا للقلم الذي كُتبت به، للحيلولة دون تزييفها أو تزويرها، ومردّ ذلك راجع إلى خطورة هذه العلامة السلطانية ودلالتها المتعلقة بسيادة الدولة، وفي هذا الشأن، نستدل بإشارة لابن القاضي (960 - 1025هـ/1553 - 1616م) أوردها في كتابه: "**المنتقى المقصور**"، مفادها أن أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م) عيّن في ديوانه موظفا اسمه: "عبد الرحمن العنّابي"، للتوقيع على رسائله وأوامره ومكاتباته "**التي تروح وتخرج إلى الأقطار البعيدة خوفا من التزوير، ومحافظة على العلامة السلطانية**"[257].

ويُلاحظ من خلال رسالة لابنه أبي المعالي زيدان (1012 - 1037هـ/1603 - 1628م)، مؤرخة في: 24 شوال 1025هـ/4 نونبر 1616م[258]، وجود إشارة يحذر فيها الولايات العامة (هولندا) من أحد سفرائه؛ ألا وهو اليهودي المغربي: "صامويل بلاش"، المنحدر من "آل بلاش"، وهي أسرة معروفة بالمغرب[259]. حيث

---

[257] - ابن القاضي، المنتقى المقصور، ج/2، ص:604.

[258] - Henry de Castries, Les sources inédites de l'histoire du Maroc. Dynastie Saadienne (1530 - 1660). Archives et bibliothèques des Pays-Bas, E. Leroux (Paris), Paul Geuthner, 1923, Tomme 2, P.P. 716 - 717.

[259] - Henry de Castries, Les sources inédites de l'histoire du Maroc. Archives et bibliothèques des Pays-Bas, Tomme 2, P.P. 54 - 57.

كان هذا السفير المغربي يزوِّر علامة السلطان السعدي بالنظر إلى حذقه للخط الفاسي، ويستعملها في مكاتباته لأغراضه الشخصية، وقد ورد في خاتمة الرسالة المذكورة ما نصه: "**وما نعرفكم به، أن الذِّمّي بلياش استعمل علامتنا في براءتين وُقِّعا بأيدينا هنا، ولما اتصلنا بالبراءتين وعلمنا خيانته، خشينا أن يكون استعمل أيضا علامتنا في كتب هنالك ببلادكم، ولأجل ذلك، عرّفناكم لتُمعنوا النظر فيما عسى أن يستظهر هنالك من علامتنا، وتمُيزوا بين علامتنا التي من عملنا وما هو مستعمل عليها. صحيح ذلك**". (انظر شكل: 25)

1 - وما نعرفكم به، أن الذِّمّي بلياش استعمل علامتنا في براءتين وُقِّعا بأيدينا هنا، ولما اتصلنا بالبراءتين وعلمنا خيانته، خشينا أن يكون استعمل أيضا

2 - علامتنا في كتب هنالك ببلادكم، ولأجل ذلك، عرّفناكم لتُمعنوا النظر فيما عسى أن يستظهر هنالك من علامتنا، وتمُيزوا بين علامتنا التي من عملنا وما هو مستعمل عليها.

3 - صحيـــــــح ذلـــــــــــك.

شكل: 25

ومن خلال إطلالة سريعة على مختلف الوثائق السعدية؛ يتضح لنا بجلاء أن العلامة السلطانية كانت ترسم - حسب الترتيب المعتمد في الوثائق المغربية - بعد البسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقبل النصوص التحريرية للمناشير والمراسلات، ولعل هذا الاستعمال له ما يدعمه من خلال بعض الإفادات المصدرية. فقد أشار ابن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م) في: "**مستودع العلامة**" إلى أن هذا الترتيب عُرف في المغرب منذ ما قبل العصر المريني، حيث ذكر أن "العلامة"، عادة ما كان السلاطين المغاربة

يضعونها "**في أول المُهْرَقِ بعد البسملة**"[260]. وأشار القلقشندي (756 - 821هـ/1355 - 1418م) في: "**صبح الأعشى**" خلال الفترة نفسها تقريبا إلى أن البسملة كان يتم "**تقديمها في أول الكلام المقصود من مكاتبة أو ولاية أو منشور إقطاع أو غير ذلك تبركا بالابتداء بها وتيمنا بذكرها**"[261].

ويلاحظ من خلال الوثائق السعدية أيضا؛ التلازم بين "**الطُّغراء**" أو "**العلامة**" التي تُرسم بالخط الفاسي المشفّر، و"**الطُّرة**" التي تعني رأس الوثيقة وطرفها العُلوي، وقد جاء في بعض الوثائق السعدية: "**وعلامة اليد [يقصد: الطغراء السلطانية] منقوشة في وسط [أي: وسط الخاتم الطغرائي الذي كان يوضع في طرة الوثيقة]**"[262].

ومما يدل على وجوب وضع العلامة السلطانية بالخط الفاسي المشفّر في طرة الوثيقة؛ وجود إشارة في إحدى الوثائق السعدية نصُّها: "**وفيه إلحاق على <u>علامة</u> في <u>الطرة</u> من هذا الوجه صح به. وبه كمل**"[263]. إضافة إلى ذلك، وجدنا إشارة أخرى وردت في وثيقة من الوثائق الوقفية للدولة نفسها. نصُّها: "**وفيه إلحاق.. في <u>الطرة</u> صح به وكمل <u>الرسم</u>**"[264].

وبسبب استعمال العلامة السلطانية وجوبا في طرة الوثائق الرسمية، أصبح الارتباط بينهما ارتباط الدال بالمدلول عليه، إلى درجة أُطلقت معها تسمية الطرة على العلامة بالنظر

---

[260] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 21.

[261] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج/6، ص:213 - 214.

[262] - راجع وثيقة وقفية مؤرخة في سنة: 983هـ/1575م. انظر:

- بنعلة (مصطفى)، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، من خلال حوالات تارودانت وفاس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى: 2007م، ج/1، ص: 316.

[263] - وردت هذه الإشارة في وثيقة وقفية سعدية. انظر: - بنعلة، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، ج/1، ص: 317.

[264] - بنعلة، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، ج/1، ص: 317.

إلى تلازمهما، فأضحت الطرة (الطغراء) تُطلق على العلامة السلطانية، والعلامة السلطانية تُنعت بالطرة (الطغراء)، ولأن الشيء لا يعرف إلا من خلال نقيضه، نشير إلى أن:

* **التوقيعات غير السلطانية في المغرب (الخنافس)**، عادة ما تكون موقعة بالخط الفاسي المجوهر بقلم دقيق في أسفل الوثيقة، وهو ما لاحظناه من خلال مجموعة من العقود العدلية والوقفيات والإشهادات التي كانت متداولة في المحاكم الشرعية.
بخلاف:

* **العلامة السلطانية السعدية (الطغراء المغربية)** التي كانت تُرسم بيد السلطان أو من ينوب عنه بالخط الفاسي المجوهر بقلم غليظ في طرة الوثيقة، وذلك حتى يتم تمييزها عن (الخنافس) من جهة، وعن النصوص التحريرية للوثائق من جهة أخرى.

والجدير بالذكر أن استعمال "**التغليظ**" في الخط الفاسي المجوهر بالمغرب، كان يقابله استعمال "**التجليل**" في الخطوط الموزونة والمنسوبة بالمشرق[265]، وفي هذا الشأن يشير ابن الأحمر (725 - 807هـ/1325 - 1405م) في: "**مستودع العلامة**" إلى أن: "**العلامة [في المغرب كانت] تكتب بقلم غليظ القطة**"[266]. وهذا يستنبط منه أن الخط المغربي عموما والخط الفاسي خصوصا، لم يكن يكتب بالقلم المدبّب وحده[267]، كما يعتقده بعض الخطاطين المعاصرين، بل كان يكتب أيضا - وتحديدا الجليل منه - بالقلم المقطوط "**غليظ القطة**" كما

---

[265] - عن التجليل في الخطوط المغربية والمشرقية؛ انظر:
- محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط المجوهر والخط الديواني بين الاستدقاق والتجليل، صص: 233 - 273.
[266] - ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، ص: 20.
[267] - عن القلم المدبب؛ انظر: - محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، الخط العربي في بلاد المغرب، ص: 258.

سماه ابن الأحمر. والذي يحيلنا مباشرة على ظاهرة التجليل في الخطوط المغربية[268].

وفي حديثه عن التجليل، استعمل المقري (986 - 1041هـ/1578 - 1631م) في: "**نفح الطيب**"، عبارتين اثنتين لهما المعنى المفاهيمي والمؤدى الجمالي نفسه: "**خط غليظ**"، و"**قلم غليظ**"، فعندما وصف العلامة الموحدية، قال عنها: "..**العلامة السلطانية عند الموحدين.. كانت أن يكتب السلطان بخط غليظ في رأس المنشور الحمد لله وحده**"[269]. وحينما وصف العلامة المرينية، قال عنها: "**وكتب في التاريخ؛ هو العلامة السلطانية في.. [العصر المريني]، يكتب بقلم غليظ**"[270]. ولا شك أنه كان يروم من وراء استعماله لكلمتي: "**خط**" و"**قلم**" التعبير عن معنى واحد، هو: "**التجليل والتغليظ**".

والجدير بالذكر أن القلم الجليل (أو الغليظ)، كان يستعمل في مجموع دول الغرب الإسلامي منذ العصر الوسيط، بصرف النظر عن نوع الخطوط التي كان يتم تجليلها وتغليظها، والتي كانت تختلف حتما من قطر إلى قطر، ومن صقع إلى صقع، فهذا ابن خلدون (732 - 808هـ/1332 - 1406م) يتحدث لنا عن استعمال "**القلم الغليظ**" في تونس الحفصية، التي كان أحد كُتّاب العلامة فيها، حيث يقول عن نفسه: "**فكتبت العلامة عن السلطان، وهي: (الحمد للّه والشكر للّه) بالقلم الغليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم**"[271].

---

[268] - قام الخطاط المغربي حميد الخربوشي باستخراج قلم جديد سماه: "**المجوهر الجليل**"، ونظرا لقيمة هذه التجربة في تقعيد الخطوط المغربية؛ سارع مركز الكويت للفنون الإسلامية بطباعة أول كراسة تعليمية في هذا النوع من الخطوط التراثية. انظـر:

- الخربوشي (حميد)، التجليل في الخط المغربي. المجوهر الجليل أنموذجا، مركز الكويت للفنون الإسلامية، الطبعة الأولى: 2017م، راجع الصفحات: 37 - 59 - 60 - 61 - 62 - 63 - 64 - 95 - 96.

[269] - المقري، نفح الطيب، ج/4، ص: 171.

[270] - المقري، نفح الطيب، ج/6، ص: 7.

[271] - ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، ص: 65. انظر أيضا:

- كتاب العبر لابن خلدون، ج/7، ص: 532.

وحتـى نتعـرف علـى حضـور ظـاهرة تجليـل وتغليـظ الخطوط في المغرب، نقترح شكلا أجرينا من خلاله مقارنة دلالية بين ثلاثة أشكال من الحمدلة ترجع أولاها إلى العصر الموحدي، وتمثل صورة العلامة السلطانية التي اتخذتها هذه الدولة. بينما ترجع الثانية إلى العصر السعدي وتمثل أيضا صورة العلامة السعدية؛ وهي أبرز شكل للطغراء المغربية. أما الثالثة فترجع إلى عصر الدولة العلوية؛ وتمثل صورة حمدلة الافتتاح التي كان يستعملها السلاطين العلويون في وثائقهم.

وبعد إجراء المقارنة بين هذه الصور الثلاث للحمدلة تبين لنا أن:

* الحمدلة خلال العصر الموحدي كُتبت بالمشـــرقـي المتمـغـــرب.
* الحمدلة خلال العصر السعدي كتبت بالخـط الفاسي المشفّـر.
* الحمدلة خلال العصر العلـوي كُتبت بالخط الفاسي المجوهر.

(انظر شكل: 26).



علامة موحدية مستخرجة من رسالة بعث بها المرتضى الموحدي للبابا إينوصانت الرابع سنة: 648هـ/1250م

علامة سعدية مستخرجة من رسالة بعث بهـا المنصور السعدي لملكة بريطانيا إليزابيث سنة: 998هـ/1590م



حمدلة علوية مستخرجة من وثيقة للسلطان العلوي الحسن الأول. مؤرخة في سنة: 1292هـ/1875م

مقارنة ثلاثية بين أشكال:

*** الحمدلة خلال العصر الموحدي، وكُتبت بالمشـرقي المتـمغـرب.**
*** الحمدلة خلال العصر السعدي، وكتبت بالخـط الفاسي المشفَر.**
*** الحمدلة خلال العصر العلوي، وكُتبت بالخط الفاسي المجوهر.**
شكل: 26

أمـــا فـي المشـرق، فـإن التجليـل كـان يرتبـط بـقلـم: "**الجليل**"، وهو أضخم الأقلام التي ارتبطت في ظهورها بعصر الدولة الأموية، وكان يسمى أيضا بقلم: "**الطومار**"، وهو القلم الـذي استُعمـل فـي مـراسلات وتـوقيعـات الخلفـــاء الأمـوييـن والخلفـاء العبـاسيين مـن بعدهـم، وفي هـذا المعنـى؛ يذكـر ابن النديـم (ت.438هـ/1047م) فـي: "**الفهرست**" أن "**قلـم الجليل يدق صلـب الكاتب [كان] يُكتب به عن الخلفاء إلى ملوك الأرض**

في الطوامير"[272]. ويذكر الجهشياري (ت.331هـ) في: **"كتاب الوزراء والكُتّاب"** أن "**الوليد [بن عبد الملك كان] أول من كتب من الخلفاء في الطوامير، وأمر بأن تعظم كتبه ويجلل الخط الذي يكاتب به. وكان يقول: تكون كتبي والكتب إلى خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض"**[273].

وقد ربط القلقشندي (756 - 821هـ/1355 - 1418م)، خلال العصر المملوكي في مصر بين التوقيعات السلطانية و بين هذا القلم، ويستنبط ذلك من قوله: "**..فإن أراد الخليفة نجاز الأمر.. [حُملت رسالته] إلى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها بالقلم الجليل، ويخلي موضع العلامة، ثم تعاد إلى الخليفة فيكتب في موضع العلامة: يعتمد. وتثبت في الدواوين بعد ذلك"**[274]. وفي موضع آخر، يذكر أن "**ما كان يكتب به الخلفاء أسماءهم في الزمن القديم و به يكتب الملوك أسماءهم الآن [يقصد العصر المملوكي المزامن لعصر المرينيين في المغرب] [هو] قلم الطومار وهو القلم الجليل الذي لا قلم فوقه"**[275].

وقد عُرف الجليل في المصادر التاريخية بعدة مسميات؛ ففضلا عن تسميته بالقلم الجليل، عرف أيضا بالجليّ، والغليظ، والطومار. وفي هذا السياق، يشير أحمد رضا في: **"رسالة الخط"** - وهو من المتأخرين - إلى أن **"قلم الطومار"** هو الذي كان يسمى في أيام بني أمية بـ: **"القلم الجليل الشامي"**[276]، وقد اتفق معه في هذا الطرح الباحثة العراقي يوسف ذنون[277]،

---

[272] - ابن النديم، الفهرست، ص: 18.

[273] - الجَهْشَيَاري (أبو عبد الله محمد بن عَبْدوس)، كتاب الوزراء والكُتّاب، قدم له: حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت: 1988م، ص: 34.

[274] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج/3، ص: 564.

[275] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج/6، ص: 186.

[276] - رضا (أحمد)، رسالة الخط، مطبعة العرفان، صيدا، 1914م، ص: 47.

[277] - ابن النديم، الفهرست، ص: 18. انظر أيضا:

- يوسف ذنون، قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، ص: 13.

وإذا كان مصطلح: "**الجليل**" قد ظهر على يد قطبة المحرر (ت.154هـ/770م)، خلال عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي (86 - 96هـ/705 - 715م)[278]، فإن استعماله قد انتشر بشكل كبير خلال عصر الدولة العباسية، حيث أضحى يطلق على الكتابات ذات المسافات الكبيرة[279]. أما مصطلح: "**الجلي**"، فقد عُرف لأول مرة - حسب ما توصلنا إليه - عند ياقوت الحموي (574 - 626هـ/1178 - 1229م)، الذي سماه في كتابه: "**معجم الأدباء**" بـ: "**القلم الجليَ**"[280]، وقد ميّز بعض الباحثين بين مصطلحي: "**الجلي**" و"**الجليل**" حيث جعلوا الثاني أثقل من الأول[281]، ولا شك أن تسمية: "**الجلي**" التي أطلقها الأتراك خلال عصر الدولة العثمانية، على الخطوط التي تكتب بقطة عريضة، لتمييزها عن الخطوط الدقيقة، هي تسمية عربية من جذر عربي، ومن هذا الجذر العربي أتت - عند الأتراك - تسمية: "**الثلث الجلي**" و"**الديواني الجلي**" وهكذا...

بل الأكثر من ذلك كله، هو أن التسمية الصحيحة والصريحة للخطوط المجوّدة الرائقة التي تكتب بالقطة العريضة - بدون أدنى شك - هي تسمية: "**الجليل**" وليس "**الجلي**" الذي لا يعدو أن يكون سوى تحجيم خطي ارتبط مدلوله بالتمييز والتوضيح في علم المخطوط، لتجنب السقط والتصحيف، أي: توضيح الحروف لرفع اللبس عن القارئ والمتلقي، وفي لسان العرب، ورد أن "**الجلي**" هو: "**البَيِّنُ الْوَاضِحُ**"[282]. "**وأَمرٌ جَلِيٌّ: وَاضِحٌ؛ تَقُولُ: اجْلُ لِي هَذَا الأَمرَ أَي: أَوضحه.. والجَلاءُ، بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ: الأَمرُ الجَلِيُّ، وَتَقُولُ مِنْهُ: جَلا لِيَ الخبرُ أَي: وَضَح**"[283]. أما

---

[278] - ابن النديم، الفهرست، ص: 18.

[279] - بهنسي (عفيف)، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة: 1995م، ص: 27 - 28. وأيضا: ص: 31 - 32.

[280] - الحموي، معجم الأدباء، ج/3، ص: 1106 - 1107.

[281] - بهنسي، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، ص: 27 - 28. وأيضا: ص: 31 - 32.

[282] - ابن منظور (أبو الفضل أحمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة: 1993م، ج/14، ص: 150.

[283] - ابن منظور، لسان العرب، ج/14، ص: 150.

"الجَليل.. لَا يَكُونُ إلا لِلْعَظِيمِ. والجُلَّى: الأَمر الْعَظِيمُ، وَجَمْعُهَا جُلَل مِثْل كبْرى وكبَر"[284].

وعليه، فمصطلح: "**جلي**" ارتبط - تحديدا - بأعمال النساخة التي كانت خلال العصور الوسطى شبه سجينة للخطوط الدقيقة بسبب ارتفاع تكلفة الرقوق والأوراق المستعملة في أعمال الكتابة والتدوين.. بخلاف مصطلح: "**جليل**" الذي ارتبط بجليل الأمور وعظيمها، كالمكاتبات الرسمية والأوامر السلطانية التي تتعلق بسيادة الدولة وقوتها، وحتى نؤكد هذا الأمر بشاهده التاريخي الذي يرتبط بالتقاليد السلطانية - العربية، نشير إلى أن القلقشندي (756 - 821هـ/1355 - 1418م)، خصص فصلا في كتابه: "**صبح الأعشى**"، ربط من خلاله بين قلم "**الثلث الجليل**" وبين العلامات السلطانية والتوقيعات الطغرائية؛ التي كانت تُكتب به خلال العصر المملوكي في مصر[285].

وكما نلاحظ ذلك، فإن القلقشندي - وهو من أفقه فقهاء الخط بالمشرق - استعمل تسمية: "**جليل**" بدل: تسمية: "**جلي**" عند حديثه عن الثلث المشرقي المستعمل في المكاتبات السلطانية المملوكية، ولتعزيز هذا الدليل بدليل آخر من وجهة أخرى، حاولنا تتبع تسمية: "**جلي**" في المصادر التاريخية العربية التي أتت بعد ياقوت الحموي - الذي أسلفنا أنه أول من ذكر مصطلح: "**جلي**" - فوجدنا محمد بن فضل الله المحبي (1061 - 1111هـ/1651 - 1699م)، قد سماه في: "**خلاصة الأثر**" خلال القرن الثاني عشر الهجري، بـ: "**الخط الْوَاضِح الْمُبين**"[286]. وسماه أيضا، بـ: "**الخط الجلي القويم**"[287]. وفي موضع آخر، ربط التجلية في الخطوط بخط الثلث المشرقي، فسماه: "**الْخط الثُّلُث الجلي**"[288]. أما في تعريفه لابن أحمد بن

---

[284] - ابن منظور، لسان العرب، ج/11، ص: 118.

[285] - القلقشندي، صبح الأعشى، ج/13، ص: 169.

[286] - المحبي، خلاصة الأثر، ج/4، ص: 349.

[287] - المحبي، خلاصة الأثر، ج/4، ص: 349.

[288] - المحبي، خلاصة الأثر، ج/4، ص: 367.

منصور بن محب الدين الدمشقي الحنفي، فقد أشار ابن الغزي (1096 - 1167هـ/1685 - 1754م)، في: **"ديوان الإسلام"** إلى أن هذا العالم المحقق كان: **"صاحب الخط الجلي الذي ملأ به هوامش الكتب وظهور الدفاتر"**[289]. وهذا معناه أن **"الجلي"** كان يرتبط بنسخ المخطوطات - وتحديدا المخطوطات المعتنى بها - أكثر من ارتباطه بالوثائق والعلامات السلطانية التي كانت ترتبط بـ: **"الجليل"**.

وفي عصر الدولة العثمانية، أصبح كل خط من **"الخطوط الستة"** - التي وضع أصولها ابن مقلة خلال عصر الدولة العباسية - يتفرع إلى خطين مختلفي الحجم؛ أحدهما خفي (دقيق)، والآخر جلي (واضح)[290]. وقد ارتبط كل خط من الخطوط المذكورة في العصر نفسه بالوظائف التي تتناسب معها، ويميز من بين تلك الخطوط: التوقيع والرقاع اللذان تم تخصيصهما للأعمال الديوانية، حيث ارتبط الأول بالفرمانات والمناشير، بينما ارتبط الثاني بالمكاتبات والمراسلات، وفي ذلك يقول الباحث العثماني - ذو الأصل الفارسي - حبيب أفندي بيدابيش (1251 - 1312هـ/1835 - 1894م)، في كتابه: **"خط وخطاطان" (الخط والخطاطون)**[291] :

---

[289] - ابن الغزي (شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن)، ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1990م، ج/4، ص: 135.

[290] - بيدابيش (حبيب افندي)، الخط والخطاطون، ترجمة وتقديم: سامية محمد جلال، مراجعة: أحمد الصفصافي القطوري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى: 2010م، ص: 106.

[291] - بيدابيش، الخط والخطاطون، ص: 106.

وقد وردت الأبيات في النسخة العثمانية الأصلية التي طبعت في استانبول سنة: 1306هـ/1888م؛ على الشكل التالي:

"ريحـاني" كتابـت مصـاحف وادعيـه ده ... "نسـخ" تفاسـير واحاديثـده

"ثلـث" تعلـيم وورزش خطـده ... "توقيـع" تحريـر فرمـان ومنشـورده

"رقـاع" مكاتبـات ومراسـلاتده ... "محقـق" ثبـت قصـايد واشـعارده

- بيدابيش (حبيب افندي)، خط وخطاطان، مطبعة أبو الضيا، قسطنطينيه، 1306هـ/1888م، ص: 22.

"فالريحاني" في كتابة المصاحف والأدعية "والنسخ" في التفاسير والأحاديث
"والثلث" في التعليم وأعمال الخط "والتوقيع" في كتابة الفرمان والمنشور
"والرقاع" في المكاتبات والمراسلات "والمحقق" في ثبت القصائد والأشعار

بناء على المقارنات السابقة المشفوعة والمعززة بشهاداتها المصدرية وشواهدها المادية، يمكن اعتبار الخط الفاسي المجوهر؛ خط الدواوين السلطانية في المغرب منذ العصر المريني إلى يومنا هذا.. حيث أخذ تسميته مؤخرا من ملامحه الفنية (جواهر = مجوهر)، وليس من حيث حقيقته ووظيفته كما كان الشأن بالنسبة للخط الديواني العثماني (ديوان = ديواني)، والحقيقة الظاهرة؛ هي أن الخط الفاسي - ونظرا لارتباطه بتحرير الوثائق السلطانية ودواوينها في المغرب - يعتبر خطا ديوانيا تحريريا من حيث حقيقة استعماله الوظيفي، وليس من حيث تسميته التاريخية والفنية، إذ ان مجالات استعماله في المغرب - تقريبا - كمجالات استعمال الخط الديواني في المشرق. وهذا ما يجعلنا نقارنه بالخط الديواني العثماني الذي اكتسب تسميته من خلال وظيفته، وبعبارة أخرى؛ الخط المجوهر هو خط مجوهر يضاهي ويحاكي عقد الجواهر إن عرفناه من منظور جمالي، وهو أيضا خط فاسي إن عرفناه من منظور تاريخي، أما إن عرفناه من منظور وظيفي، فهو خط ديواني كان يُستخدم في تحرير الوثائق والمكاتبات التي تصدر عن الدواوين السلطانية في المغرب. شأنه في ذلك شأن الخط الديواني الذي اتخذه السلاطين العثمانيون خطا

رسميا في دواوينهم، وخاصة في تحرير المراسلات والفرمانات السلطانية، وقد اشتق من الديواني العثماني صنف أضخم منه، يكتب بقلم جليل سموه: **"الديواني الجلي"** أو **"جلي ديواني"**، بخلاف القلم الجليل للخط الفاسي المجوهر الذي لم يكن يُستعمل إلا في حدود ضيقة، مما حال دون تطوره بالشكل المطلوب مقابل سيادة الفاسي المجوهر الدقيق[292].

وهذا ما نلاحظه من خلال نصوص الوثائق السلطانية في المغرب التي كان معظمها محررا بـ: **"الفاسي المجوهر الدقيق"**، ولم يستعمل **"الفاسي المجوهر الجليل" (أو الغليظ)** إلا في بعض المواطن لأغراض تفيد إما التزيين أو التوضيح.. كالانتقال من معنى إلى معنى كما نلاحظه من خلال كلمات: (الحمد لله.. وبعد.. قال فلان أو علان..). أو عبارات الافتتاح (البسملة.. الحمدلة.. الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فصل كذا..) أو عبارات الاختتام (التوقيعات.. الإشهادات.. التصحيحات..).(انظر شكل: 27).

[292] - محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، المصاحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصرين المريني والسعدي. مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأقلامه، ص: 834.



عناوين كتبت بخط فاسي غليظ، استخرجناها من نسخة مخطوطة لكتاب: "الشفا في تعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، يرجع تاريخها إلى عصر الدولة السعدية:

المصدر: متحف والترز، بالتيمور، ولاية ميريلاند - الولايات المتحدة الأمريكية - رقم: W.580

شكل: 27

وفي إطار المقارنة بين الخط الفاسي المجوهر، والخط الديواني العثماني، نشير إلى أن بعض الدراسات تؤكد أن العثمانيين قد استخرجوا الخط الديواني من **"خط التعليق الفارسي"**، وأول من وضع أصول هذا الخط بعد اشتقاقه من خط التعليق، هو الخطاط: "إبراهيم منيف"، في عهد السلطان العثماني: محمد الثاني (855 - 886هـ/1451 - 1481م) الذي فتح القسطنطينية سنة: 857هـ/1453م[293]، ليقلب ظهر المجنّ للصليبيين، ويلقب بعدها بـ: "الفاتح"، ثم سيقضي بعد ذلك على الصفويين في إيران (دولة الشاة البيضاء) سنة: 866هـ/1462م، حيث أخذ كتبة الديوان من فارس إلى القسطنطينية (استانبول) التي أصبحت العاصمة الجديدة للدولة العثمانية[294].

وكان يُستعمل الخط الديواني في تحرير المراسيم والمناشير

---

[293] - فضائلي (حبيب الله)، أطلس الخط والخطوط، ترجمة: محمد التونجي، مكتبة دار طلاس، دمشق، الطبعة الثانية: 2002م، ص: 393.

[294] - الدولة العثمانية. تاريخ وحضارة، ج/2، ص: 744.

والتعيينات (الفرمانات) الصادرة عن الديوان السلطاني، ولهذا سمي بالديواني نسبة إلى وظيفته المرتبطة بذلك الديوان. وبحكم استعماله في مختلف الأغراض الإدارية في الديوان العثماني؛ انبثق منه خطان ديوانيان فرعيان: أحدهما خفي (دقيق)، والآخر جلي (واضح)[295]؛ خُصص للمكاتبات العثمانية الرسمية ذات المستوى الأرفع منذ القرن 10هـ/16م. وكان يجري تعليم هذين الخطين داخل "الديوان الهمايوني"، ولا يجوز استخدامهما خارجه لتعلقهما بأسرار الدولة، وظل الأمر على ذلك، حتى بلغا ذروة تحسينهما في القرن: 13هـ/19م، بل وامتد استخدامهما بصفة حصرية على"الديوان الهمايوني"، حتى أوائل القرن: 14هـ/20م[296]. إلى درجة أصبحت معها تسمية الديوان لصيقة بهما لاقتصار استعمالهما عليه، وهما عبارة عن خط واحد - في الأصل - كان يُطبع بطابع السرية. ولأن الديوان العثماني كان يُعرف بإضافة كلمة: **"همايوني"**، عُرف **"الخط الديواني"** أيضا في الأوساط الرسمية بـ: **"الخط الهمايوني"**[297]، شأنه في ذلك شأن الطغراء التي نُعتت أيضا في الفرمانات العثمانية باسم: **"توقيع همايوني"**[298] كما سبق وأشرنا إلى ذلك.

وقد قام بتجويد هذا الخط بعد إبراهيم منيف، الوزير

[295] - يشير حبيب فضائلي إلى أن الخط الديواني كان يسمى بالخط الهمايوني والخط المقدس، ويُعزى سبب تسميته بالخط المقدس إلى أنه كان خاصا بالكتابات السلطانية، والسلطان [حسب التعريف العثماني] ظل الله في الأرض، وعلى هذا فإنهم قسموا الخط الديواني إلى قسمين: ديواني خفي وديواني جلي، والديواني الخفي يُستخدم عادة مهملا من التشكيل وعاطلا عن التزيين، ونقطة هذا النوع من الديواني والرقعة واحدة، واثنتان بصورة مستطيلة، وثلاث نقط شبيهة بالعدد ثمانية... أما الديواني الجلي فيجيء مشكولا تماما، مع نقط مضلعة وتزيينات بنقط دقيقة، بحيث إنهم يملؤون الخط والشكل والنقطة محل الكتابة في الطول والعرض، ولا يمكن أن يظهر جمال هذا النوع الديواني بغير هذا الترتيب، وتتطلب كتابته وقتا طويلا. انظر:

- فضائلي، أطلس الخط والخطوط، ص: 394.

[296] - الدولة العثمانية. تاريخ وحضارة، ج/2، ص: 744 - 745.

[297] - فضائلي، أطلس الخط والخطوط، ص: 394.

[298] - اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج/2، ص: 341.

الخطاط شهلا أحمد باشا (ت.1167هـ/1753م)، الذي كان معلم الخط في الديوان السلطاني خلال عهد السلطان الخطاط؛ أحمد الثالث (1115 - 1143هـ/1841 - 1902م)[299]. وتدرج هذا الخط في مدارج التجويد حتى بلغ قمة جماله حوالي سنة: 1280هـ/1863م مع الخطاط: "ممتاز بك"[300]. حيث تفرع منه صنفان أو أسلوبان في أواخر الدولة العثمانية، ينسبان إلى القطر الذي تطورا فيه. الأول؛ ويطلق عليه اسم: **"الديواني العثماني"**، من باب التمييز، وهو الأصل الذي انتهى تجويده إلى الخطاط: "محمد عزت" (ت.1306هـ/1889م)، أما الثاني فهو مشتق منه، وقد عرف في أوساط الخطاطين بتسمية: **"الديواني المصري"** أو**"الغزلاني"**، نسبة إلى الخطاط الشهير: "مصطفى غزلان بك" (ت.1356هـ/1937م)، الذي كان خطاطاً لملك مصر فؤاد الأول (1336- 1355هـ/1917 - 1936م)، ورئيس التوقيع بالديوان الملكي، حيث عرف بإتقانه على نحو أبهر الخطاطين، وقد شاع استخدامه في الديوان الملكي المصري، على يد "محمود شكري باشا" رئيس الديوان الذي كان يحبذ كتابته ويجيده. وذلك قبيل سقوط الملكية في مصر سنة: 1952م.

بالإضافة إلى الروايات السابقة، هناك روايات أخرى تذكر أن الخط الديواني تعود جذوره الأولى إلى عهد السلطان العثماني: سليمان القانوني (926 - 974هـ/1520 - 1566م)، الذي ظهر في عهده بشكل رسمي ضمن تسلسل الخطوط المستعملة في تحرير وثائق الدولة ومراسلاتها، وقد لاحظ هذا الأمر، البحاثة العراقي: ناجي زين الدين المصرف، من خلال رسالة أرسلها السلطان العثماني المذكور إلى شارل

---

[299] - إدهام محمد حنش، الخط العربي في الوثائق العثمانية، ص: 79.

[300] - فضائلي، أطلس الخط والخطوط، ص: 393.

الخامس (ت.978هـ/1570م) ملك الإمبراطورية الرومانية في سنة: 930هـ/1523م[301].

وقد تميز الخط الديواني؛ دقيقه، وجليه - على وجه الخصوص - بظهور تركيبات سفينية، عند تحرير الوثائق السلطانية، حيث يتجه السطر في آخره إلى الأعلى على شكل مقدمة السفينة، مما يفسر كتابة الخط بطريقة متداخلة، ليس كباقي الخطوط، وينتهي السطر منهما مرتفعا كلما اقترب من النهاية، ولعل ذلك هو السبب في اختيارهما للاستخدام في الأوراق الرسمية، إذ يصعب على الشخص أن يضيف إلى السطر شيئا يود إضافته، [فضلا عن إضافة سطر آخر] مما يجعل النص المكتوب آمنا من التحريف والتزوير[302].

وإذا كان النمط السفيني سمة مميزة للخط الديواني، دقيقه وجليه في تحرير الفرمانات العثمانية، التي ورثت ذلك عن الفرمانات الفارسية التي تأثر العثمانيون بخطوطها، وبشكلها العام وكذا ببنائها الهيكلي، فإن كتابة الخط الفاسي المجوهر - وفق النمط السفيني - هي قديمة قدم الخط المغربي، ونحن إذ نقول ذلك، لا بد أن نسوق من الشواهد المادية ما يعزز هذا القول، تلك الشواهد التي تجعلنا نذهب إلى أبعد من ذلك، إذ من خلالها نستطيع القول بأن الأشكال السفينية والزورقية في الخط الفاسي المجوهر الذي استعمل في تحرير الوثائق السلطانية المغربية، هي أقدم من تلك التي رأيناها بعد ذلك في الخط الديواني الجلي الذي لم يظهر إلا مع صعود الدولة العثمانية في المشرق، أما في المغرب فقد عثرنا على وثائق سلطانية مرينية حررت بالخط الفاسي المجوهر. أسطرها

[301] - المصرف، مصور الخط العربي، ص: 381.

[302] - الدولة العثمانية. تاريخ وحضارة، ج/2، ص: 745.

منضدة وفق نمط تركيبي سفيني، مما يدل على أسبقية المغاربة في هذا التركيب النمطي - السفيني، لكن للأسف، لم يستمر هذا النمط بالشكل نفسه في عصر الوطاسيين والسعديين الذين حكموا المغرب بعد المرينيين.

أما العثمانيون فلم يُعرف هذا النمط في وثائقهم، حتى أخذوه من الفرس، الذين كانوا يستعملون أسلوبين متباينين في تحرير الرسائل والسجلات منذ أمد بعيد، وهو ما أكّده ابن درستويه بن المرزبان الفارسي (258 - 347هـ/872 - 958م)، في: **"كتاب الكتاب"** بنص قوله: **"واعلم أن لكل ضرب من الكتب ضربا من التقدير في الخط، وقد كان التقدير في كتب الرسائل خاصة أن تُنْبَذ حروفها فتُجعل متفرّقة ويقارب بين سطورها فتكون متدانية. وكان التقدير في السجلات على ضد ذلك من الجمع بين الحروف والمباعدة بين السطور، واجتناب المطّ والفصل فيها"**[303].

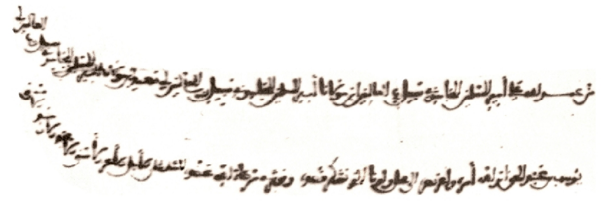
وحتى نؤكد طرحنا الذي ذهبنا إليه، وجدنا أنفسنا ملزمين بمقارنة أنموذج متأخر للديواني الدقيق - السفيني بأنموذج مريني بالخط الفاسي المجوهر - السفيني يرجع إلى عهد أبي الحسن المريني (731 - 749هـ/1331 - 1348م)، استخرجناه من رسالة أرسلها إلى بيير الرابع ملك أراغونة في: 9 جمادى الثانية 745هـ/18 أكتوبر 1344م[304]، والسبب في هذه المقارنة غير المتزامنة تاريخيا، راجع بالأساس إلى تزامن أواخر الدولة المرينية مع بداية الدولة العثمانية من جهة، ومن جهة أخرى، عدم عثورنا في الوثائق الأولى للعثمانيين على ما يشبه هذا النمط لمقارنته بالأنموذج المريني المذكور، لذلك نؤكد على

---

[303] - ابن درستويه (أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد)، كتاب الكتاب، نشره: لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1921م، ص: 74.

[304] - التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج/7، ص: 137.

وجـوب استحضـار الفـارق الزمنـي بـين الأنمـوذجين المقـارنين (انظر شكل: 28).



أنموذج للخط الفاسي، استخرجناه من رسالة للسلطان المريني أبو الحسن (731 - 749هـ/1331 - 1348م). مؤرخة في: 9 جمادى الثانية 745هـ/17 أكتوبر 1344م مصدر الرسالة: أرشيف التاج الأراغوني - برشلونة، رقم: 93/رسائل عربية

أنموذج للديواني القديم، استخرجنـاه من "فرمـــــان" للسلطان محمد الثاني (854 - 885هـ/1451 - 1481م)

شكل: 28

ورغم التخلي عن النمط السفيني في كتابة الخط الفاسي المجوهر بعد سقوط المرينيين، إلا أن استعماله - خطا رسميا - استمر في تحرير الوثائق السلطانية في المغرب إلى عهد قريب، بل إن التشكيل الزخرفي قد داخله خلال أواخر العصر السعدي - على غرار الديواني الجلي - ولا أدل على ذلك - في هذا المضمار - من توقيع سعدي متوج بالحمدلة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، استخرجناه من رسالة لآخر سلاطين السعديين، ألا وهـو: عبد الله **"الـواثـق"** بن محمد؛ أرسلها إلى هولندا بتاريخ: 11 ذو القعدة من سنة: 1068هـ/10

غشت سنة: 1658م[305]. وكما يلاحظ من خلال هذا التوقيع، فإن السلطان السعدي قد أخرجه بخط فاسي مجوهر جليل (أو جلي على تعبير المشارقة)، بل وعمد إلى ملئ فراغاته بالتشكيلات الإعرابية والزخرفية على غرار الديواني الجلي المشرقي، وإذا حرصنا على استحضار مبدأ التزامن التاريخي، وقارنا هذا الأنموذج المجوهري الجليل، بأنموذج ديواني جلي مشرقي يزامنه، فسوف نكتشف إبداع هذا السلطان في إخراج هذا النوع من الخط.(انظر شكل: 29).



توقيع لعبد الله "الواثق" بن محمد السعدي، متوج بالحمدلة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بخط فاسي مجوهر جليل - سعدي. استخرجناه من رسالة له إلى هولندا بتاريخ: 11 ذو القعدة 1068هـ/10 غشت 1658



كتابة بالخط الديواني الجلي (القديم)، مستخرجة من فرمان عثماني للسلطان سليم الثاني، يرجع تاريخه إلى سنة: 981هـ/1573م

شكل: 29

[305] - انظر هذه الرسالة عند دو كاسطر:

- Henry de Castries, Les sources inédites de l'histoire du Maroc. Archives et bibliothèques des Pays-Bas, Tome 6. P. 436.

4 - حضور الخط الفاسي المجوهر في الوثائق المخزنية العلوية وبعض تصرفاته الجمالية:

جرت العادة في سائر الخطوط أن تُدرس صور الحروف ومقاييسها واتصالاتها في حالات: الابتداء والتوسط والتطرف، حيث خُصصت لذلك عدة كراريس خطية تعليمية وخاصة في الخطوط المشرقية، والخط الفاسي المجوهر شأنه في ذلك شأن سائر الخطوط، ينبغي له أن يخضع للقانون نفسه، إذ أن اتصالات حروفه خضعت لمقاييس ونسب معينة تعارف عليها الخطاطون المغاربة بالتواتر، وفيما يلي صور لبعض الحروف المجوهرية؛ ابتداء وتوسطا وتطرفا، وهي الصور التي استخرجناها من **"مراسلات مخزنية"**[306]، ترجع كلها إلى العصر العلوي. (انظر شكل: 30).

بعض الأحرف المفردة والمركبة ومنازلها في الخط الفاسي المجوهر.

مستخرجة من المراسلات المخزنية العلوية

شكل: 30

---

[306] - عن المراسلات المخزنية؛ انظـر:

- رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن و ابنه السلطان مولاي عبد العزيز، تحقيق: عبد الهـادي التازي، القسم الأول، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1970م.

لكن ومن باب التخصيص، نشير إلى أن معظم الباحثين، لم يولوا عناية كافية للاجتهادات التركيبية، المتعلقة بالاختزالات و الإدغامات التي لا تخضع لقانون ثابت، وفي هذا الشأن؛ لاحظنا أن عددا كبيرا من الخطاطين المغاربة - وعند كتابتهم للخط الفاسي المجوهر - بالغوا في تليين بعض الحروف وحرصوا على كتابتها وفق نمط ثعباني التوائي، حتى تزيد الخط بهاء وجمالا. يقول الرفاعي القسطالي (ت.1256هـ/1840م) في هذا المعنى[307]:

وقد يزيد الخط حسنا حرف	**إذا التوى يحار فيه الوصف**
كطاء سلطان سطا ولطفا	**خطه واصطفى وطاء لطفا**
وهاء هاد وبهاء استحسنوا	**التواءها ومذهبي قد أحسنوا**
لكن في التوائها تفصيلا	**فاشرب إذا ما شئت سلسبيلا**

ومما لا شك فيه، فإن الرفاعي انطلق في وصفه من الخط المبسوط الذي حلّت كثير من صوره في الخط الفاسي المجوهر، هذا الأخير الذي ظهرت فيه تركيبات جديدة للحروف خلال العصر العلوي، حيث أضحى الحرف الواحد يتمتع بعدة صور، تتنوع بين ما هو محقق، وما هو مدغم، وما هو مُحوّر، وما هو مختزل.. إلى غير ذلك من الصور المبتكرة. وقد حاول الباحث الهولندي (boogert) جمع بعض من

[307] - الرفاعي (أبو العباس أحمد بن محمد القسطالي)، نظم لآلئ السمط في حسن تقويم بديع الخط، المكتبة الوطنية، الرباط، رقم: 1649، ص: 182.

تلك الصور المعيارية التي استخرجها من مخطوطات مزامنة للعصر العلوي، ثم نشرها في بحثه: **"Some notes on maghribi script"**[308]

ومن باب الأمانة العلمية، نشير إلى أننا استخرجنا كل مادتنا الباليوغرافية التي سنساهم من خلالها في دراسة بعض ملامح الخط الفاسي المجوهر في هذا البحث؛ من عدة رسائل مخزنية علوية، محفوظ بعضها بمديرية الوثائق الملكية بالرباط، والبعض الآخر بمركز الدراسات والبحوث العلوية، بالريصاني بمنطقة تافيلالت[309]، وسنسوق - فيما يلي - تلك الرسائل مرفقة بتواريخها وأرقام تصنيفها:

- مديرية الوثائق الملكية - الرباط:

*رسالة مؤرخة في سنة: 1228هـ/1813م، سجل: 24008.

*رسالة مؤرخة في سنة: 1228هـ/1813م، سجل: 24009.

*رسالة مؤرخة في سنة: 1228هـ/1813م، سجل: 21405.

*رسالة مؤرخة في سنة: 1248هـ/1832م، سجل: 19612.

*رسالة مؤرخة في سنة: 1259هـ/1843م، سجل: 19236.

*رسالة مؤرخة في سنة: 1261هـ/1845م، سجل: 18333.

*رسالة مؤرخة في سنة: 1262هـ/1845م، سجل: 20126.

---

[308] - N. van den Boogert, 'Some notes on Maghribi script', in Manuscripts of the Middle East, vol. 4, Leiden, 1989, pp. 30-43

[309] - تجشمت العناء - كل العناء - في اختيار ثم استخراج الصور المعيارية للحروف مفردة ومركبة بصورها المختلفة، في حالات الابتداء والتوسط والتطرف، وبعدما قمت بتشريحها والتعليق عليها وتحليل صورها الجمالية؛ عهدت بها لزميلي د. امبارك بوعصب الذي قام بإدراجها في كتابه: **"المراسلات والوثائق السلطانية خلال العصر العلوي"**، وبعد مُدّة، قرّرت من باب الإثراء الفني والمعرفي، أن أقوم بإعادة دراستها دراسة معمقة مع إضافة صور أخرى إليها تناولتها بمقاربة فنية مغايرة. انظر:

- بوعصب (امبارك)، المراسلات والوثائق السلطانية خلال العصر العلوي. مساهمة في دراسة الخط المجوهر وسماته الفنية، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى: 2014م.

- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني)، رموز القلم الفاسي وأسرار الخط المجوهر بين إشكالية التسمية ودلالة الاستعمال. مساهمة في تحقيق المخطوطات والوثائق المغربية، منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية، فاس، الطبعة الأولى: 2018م.

*رسالة مؤرخة في سنة: 1262هـ/1845م، سجل: 17734.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1262هـ/1845م، سجل: 19059.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1263هـ/1846م، سجل: 19795.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1263هـ/1846م، سجل: 19033.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1263هـ/1846م، سجل: 18987.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1263هـ/1846م، سجل: 18989.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1263هـ/1846م، سجل: 19153.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1263هـ/1846م، سجل: 17961.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1302هـ/1884م، سجل: 19627.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1307هـ/1889م، سجل: 29241.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1311هـ/1893م، سجل: 19500.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1311هـ/1893م، سجل: 18470.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1311هـ/1893م، سجل: 18472.

- مركز الدراسات والبحوث العلوية - الريصاني:

*رسالة مؤرخة في سنة: 1318هـ/1900م، رقم: 97.
*رسالة مؤرخة في سنة: 1318هـ/1900م، رقم: 98.

4 - 1 - الدراسة الباليوغرافية:

في البداية، نستهل دراستنا الباليوغرافية بإحدى المراسلات المخزنية[310]، التي يظهر من خلالها أن الخطاط الذي حررها قد تفنن بشكل كبير في خلق مسارات حلزونية، من خلال تطويعه لبعض الأحرف تطويعا يستحيل الاعتماد عليه في باقي الخطوط الأخرى، ولعل هذه الخاصية هي أبرز سمة تميز بها الخط الفاسي المجوهر عن غيره من الخطوط، فلو أخذنا من الرسالة المذكورة مثلا كلمة: **"مثقالا"**:

[310] - وثيقة مؤوخة في أواسط رمضان 1262هـ، مديرية الوثائق الملكية - الرباط، سجل رقم: 18983.

للاحظنا كيف قام الخطاط بتطويع لام الألف وإدغامها مع الألف الذي يسبقها، الشيء الذي خلق توازيا على مستوى قائمتي الألف ولام الألف، كما خلق تجاوبا وتناغيا جماليا في النسق العام للكلمة، وما ذكرناه ما هو إلا إدغام بسيط، قد يستخدمه الخطاط بشكل أكثر تعقيدا في تركيباته الإدغامية لحروف أخرى كما هو الشأن بالنسبة للراء والهاء، في بعض الكلمات التي استخرجناها من رسائل أخرى.

وحتى نُعرّف الإدغام في الخط الفاسي المجوهر، فإنه تركيب ما لايجوز تركيبه. فالراء مثلا، لا يجوز اتصالها اتصالا بَعديا، لكن بعض الخطاطين أبوْا إلا أن يركّبوها مع حرف الهاء المتطرفة ليعطوها شكلا جماليا، يتماشى مع أشكال التوقيعات والإمضاءات التي عادة ما تكون جميلة المبنى، ملغوزة المعنى، كما نلاحظه مثلا من خلال العلامات والطغراوات السلطانية[311].

والأغرب من ذلك كله، لجوء بعض الخطاطين إلى إشباع حرف الدال الذي يسبق الراء، لدرجة اختلط معها شكله بشكل الراء، بل وبدا أكبر منها حجما، لاسيما بعد إدغام الراء بالهاء، ومع ذلك لا يمكن إلا أن نشيد بهذا التصرف الفني الذي طبع به الخط الفاسي المجوهر، لأنه جعله أكثر طواعية، وأضفى عليه رونقا منقطع النظير، ولو تأملنا هذا التركيب، للاحظنا أن الدال تحتوي الراء، والراء تحتوي الهاء المتطرفة وفق نسق تراتبي يطبعه التكرار والاختزال، أي: تكرار الأشكال المؤتلفة من خلال الأحرف المختلفة، واختزال زيادات الأحرف التي قد

[311] - لمزيد من التفصيل، انظر: - محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني، المصاحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصرين المريني والسعدي. مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأقلامه، صص: 392 - 409.

تشوه النسق الجمالي للتركيب، كما هو الشأن بالنسبة للهاء التي بدت بمعالمها كاملة في كلمة: **"قدره"**:

والملاحظ أن هذه الكلمة قد وظفت بنفس الشكل والتركيب في رسالتين مختلفتين، ولإعطائها جمالية حلزونية، تم إدغام الطرف الأعلى للهاء بالطرف الأعلى للدال، والراء تسبح بينهما.

والجدير بالذكر أن كتابة الراء بشكل أصغر من بعض الحروف التي تكبرها - وذلك حسب النسبة الطبيعية لكل حرف من الحروف الأخرى - هو في الأصل من التصرفات الغريبة في الخط الفاسي كما هو الشأن بالنسبة لحرف الدال الذي نتحدث عنه، والذي يرسم بديهة ـ وكما هو مسلم به ـ أصغر من الراء، لكن هذه القاعدة غالبا ما تكون معكوسة في الخط الفاسي المجوهر، لاسيما إذا تعلق الأمر بظاهرة الاحتواء التي تستعمل بكثرة في الخط المذكور لاختزال المساحة، حيث ترسم الراء أصغر من الدال إذا جاءت بعده، وذلك للتمكن من حشرها في فضاء الدال كما لاحظناه من خلال كلمة: **"القدر"** في الجملة التالية[312]:

على النقيض من ذلك، وجدنا الخطاط قد عمد في رسالة أخرى - في الكلمة نفسها - إلى إدغام الطرف الأسفل للهاء بالطرف الأسفل للراء، والدال المشبعة تحتضنهما، وحتى لا

[312] - مستخرجة من وثيقة مؤرخة في: 5 شوال 1311هـ، وهي نسخة من كتاب وُجّه للسلطان مولاي الحسن الأول.

تبدو الهاء المتطرفة ثخينة ومشوهة؛ بشكل يعتقد معه المتلقي والقارئ أن القلم فاض بمداده على الطرس، تخلص الخطاط من الحلقة الملموسة للهاء، مادام قد أدغمها مع الراء في الطرف السفلي، حرصا منه على أن تبدو مليحة ورشيقة، والأغرب من ذلك كله أن يدغم الدال إدغاما معقودا في منتهى طرف تعريقته بمنتهى تعريقة طرف الراء المتطرفة، كما هو الشأن في عبارة: "**ويقدر قدره**"[313]. وكذا في كلمة: "**صدره**"[314]:

وقد جرت العادة أن تكتب الوثائق المخزنية المعتنى بها؛ بخط فاسي مجوهر محقق يبتعد من خلاله الخطاط عن كثرة الإدغامات والاختزالات، حيث يعطي كل حرف حقه ونسبته الطبيعية من بين الحروف، وللاستدلال على هذا الأمر، نسوق الكلمة نفسها (نقصد كلمة: "**قدره**")، التي استخرجناها هذه المرة من رسالة إسماعيلية بديعة، ونسجل أن الخطاط الذي نفّذها، حرص على تحقيق الحروف وإشباعها، كما نلاحظه من خلال حرف الهاء المتطرفة في كلمة: "**قدره**"، وقد حرص الخطاط أيضا على التراتب نفسه في حروف: الدال والراء ثم الهاء على غرار التركيبات السابقة، لكنه فضل عدم إدغام الهاء المتطرفة في الحرف الذي سبقها، ألا وهو: الراء، بل فضل أن يكتبها (الهاء المتطرفة) محققة - مشبعة على شاكلة المبسوط[315]:

---

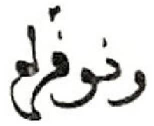
[313] - مستخرجة من رسالة للسلطان عبد الرحمن بن هشام، مؤرخة في: 2 رجب الفرد 1263هـ.

[314] - مستخرجة من رسالة سلطانية مؤرخة في أواسط رمضان 1262هـ، مديرية الوثائق الملكية، الرباط - سجل: 18983.

[315] - مستخرجة من رسالة إسماعيلية مؤرخة في: 1110هـ.



ونلاحظ من خلال الرسالة نفسها، أن الخطاط التجأ إلى إدغام بعض الحروف كما هو الحال في كلمة: **"ونوقره"**، وخاصة حرف الهاء المتطرفة - التي لاحظنا من خلال النماذج السابقة أنها تفقد شخصيتها - إلا أنه ورغم إدغامه لهذا الحرف مع الحرف الذي يسبقه ألا وهو: الراء، أبى إلا أن يرسمه محققا - مشبعا دون تحوير أو اختزال:



ورغم ما قلناه، فإن الرسالة الإسماعيلية وإن كان يغلب عليها تحقيق صور الحروف وإشباعها دون تحوير أو اختزال، إلا أن الخطاط أبى إلا أن يوظف بعض الصور المختزلة للحرفيْن المذكورين، حيث عمد إلى استعمال الهاء المدغمة عوض الهاء المحققة، بغية خلق تناسق واتساق جماليين، لاسيما بعدما استعمل التصرف نفسه في كلمتين مختلفتين معنى، مؤتلفتين مبنى وصورة. وهذا نقف عليه في المقطعين: ما لم **"نره"** لــغـ **"يره"**[316]:



حيث تبدو فيهما الهاء - على غرار الكلمة السابقة - كألف مُحوّر كما وقفنا عليه في أشكال أخرى، وهنا نستدل بالكلمات التالية: **"سيدنا"**. **"بشهادتهما"**. **"علاه"**، والتي تختلط

[316] - مستخرجة من رسالة إسماعيلية مؤرخة في: 1110هـ.

فيها صورة الألف المُحوّر في حالة التطرف بصورة الهاء في الحالة نفسها، ولولا دلالة المعنى، لتعسّر علينا التمييز بين تلك الكلمات[317] :

وحتى نؤكد بأن هذا التشابه بين الحرفين ليس من قبيل الصور الشاذة، نشير إلى أننا عثرنا على التوظيف نفسه في رسالة أخرى من خلال كلمتي: **"أيده". "سيدنا"**[318]:

من خلال ما سبق، يتضح أن حرفي الدال والراء قد نالا أكبر حظ من التصرفات الجمالية في الخط الفاسي المجوهر، وذلك لكونهما يقبلان كافة أشكال التطويع والتليين، ولو أخذنا الراء - مثلا - لوجدناها تُدغم مجازا، وربما اجتهادا في بعض الحروف التي تأتي بعدها، إن بصورتها المحققة أو بصورتها المدغمة، كما لاحظناه آنفا من خلال كلمات: **"قدره". "صدره"**. ونضيف إلى ذلك، كلمات أخرى كما نلاحظه من خلال كلمة: **"خطّارة"**، التي قام الخطاط من خلالها بإدغام حرف الراء بالحرف الذي يليه من طرفها العلوي[319]:

والملاحظ أن حرف الراء لم يدغم بحرف الهاء المتطرفة وحدها - وإن كان هذا الإدغام هو الشائع - بل وجدناها تدغم

---

[317] - مستخرجة من رسالة جوابية من الحاج محمد بن الحاج إدريس الحباب إلى أبي المعالي سيدي بن محمد بن إدريس (مؤرخة في 23 شوال عام 1253هـ).

[318] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في: 11ذو القعدة 1318هـ مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني. رقم: 98.

[319] - مستخرجة من رسالة للوصيف مسعود الشباني إلى الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمن (مؤرخة في رمضان 1228هـ).

مع أحرف أخرى غيرها، كما نلاحظه مثلا من خلال كلمة: **"الأقارب"**، التي أدغمت فيها بالحرف الذي يليها (الباء)، من طرفها السفلي[320]:

ويمكن تسمية هذا التصرف بالإدغام غير الكامل، قياسا على ما هو معمول به في علم تجويد القرآن الكريم عند إدغام النون الساكنة والتنوين، وذلك لأن الراء تدغم في الحرف الذي يليها دون أن تفقد صفتها التي تتجلى في التحقيق، فتكون على هذا الفهم راء محققة في صورتها، مدغمة في الحرف الذي يليها.

أما الإدغام الكامل، فيمكن إسقاطه في هذه الحالة على الراء المدغمة أصلا، أي أنها تكون مدغمة في حالة الإفراد، وعند التركيب تدغم مرة أخرى مجازا أو اجتهادا في الحرف الذي يليها كما نلاحظه من خلال كلمات: **"البازي"**. **"العامري"**. **"المقري"**. فتكون الراء على هذا الفهم، راء مدغمة في صورتها، مدغمة في الحرف الذي يليها[321] :



ومن المعلوم تحقيقا أن حرف الراء يكتب محققا في الخط المبسوط، أما في الخط الفاسي المجوهر فيكتب مدغما في أغلب الأحيان، وذلك تبعا لطبيعة هذا الخط الذي تحكمه الليونة

[320] - مستخرجة من رسالة جوابية للسلطان مولاي عبد الرحمن إلى ابنه سيدي محمد (مؤرخة في: 19 ربيع الثاني 1263هـ).

[321] - مستخرجة من:

- رسالة جوابية للسلطان مولاي عبد الرحمن إلى ابنه سيدي محمد (مؤرخة في: 19 ربيع الثاني عام 1263هـ).

- وثيقة مؤرخة في: 5 شوال الأبرك 1311هـ

المتناهية، حيث تظهر الراء بشكل مدغم إلى درجة تؤثر معها على صورة الحرف الذي يليها، والذي قد يدغم فيه جوازا حتى و لو كان طابع الاستقامة يحكمه، كما هو الشأن بالنسبة لحرف الألف الوارد في الكلمتين التاليتين: "**المراسلة**"[322]. "**الأمراء**"[323]:

ويسترعي انتباهنا أن الراء تدغم جوازا مع بعض الأحرف التي تأتي بعدها لاسيما في حالة التطرف كالياء والهاء، وما يقال عن الراء يقال عن الدال التي لا يجوز اتصالها البَعدي، لكن بعض الخطاطين المتفننين، تصرفوا في تركيبها على النحو نفسه الذي نهجوه في تركيب الراء، حيث أدغمت بالحرف الذي يليها من طرفها السفلي كما نلاحظه من خلال كلمتي: "**سيدنا**" و"**مولانا**"، التي مثّل من خلالها الخطاط وجهاً آدميا بعين تشكّلها نقطة النون من مقطع: "**نا**"، وحاجباً تشكّله فتحة النون من المقطع نفسه، وفماً يشكّله إدغام الطرف السفلي للدال مع المقطع نفسه دائما[324]:

الأمر نفسه ينطبق في رسالة أخرى على: "**الصلاة على رسول الله**" (صلى الله عليه وسلم)، حيث أبى الخطاط إلا أن

---

322 - مستخرجة من رسالة إسماعيلية مؤرخة في: 1110هـ.

323 - مستخرجة من وثيقة مؤرخة في: 5 شوال 1311هـ وهي نسخة من كتاب وُجّه للسلطان مولاي الحسن الأول.

324 - مستخرجة من رسالة جوابية للسلطان مولاي عبد الرحمن إلى ابنه سيدي محمد (مؤرخة في: 19 ربيع الثاني عام 1263هـ).

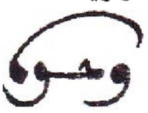
يدغم اسم الجلالة، فرسمه على شكل: **"S"** معكوسة، بينما شكّل صورة الوجه الآدمي من خلال كلمة: **"سيدنا"**[325]:



ولأن الهاء المتطرفة تشكّل الطرف الثاني في الإدغام، لم يكن من المستغرب أن نجد بعض الخطاطين يتفننون - بعد إدغامها في الحرف الذي سبقها وخاصة حرف الدال - في إرسال منقارها، وإعطائه أكثر ما يستطيعه من إشباع، وقد وقفنا على هذا التصرف من خلال كلمة: **"هذه"**[326]:



لكننا نقف على التصرف المذكور - بشكل أكبر - في كلمة: **"وحده"** الموظفة في عبارة الحمدلة، وكملاحظة إضافية لا تتعلق بالهاء، قام الخطاط باجتهاد فريد، حيث سعى - ولخلق نوع من التماثل في هذه الكلمة - إلى إعطاء صورة الواو للدال، مما جعل الكتلة الخطية تبدو متوازنة من خلال الارتكاز على قوسي: **"الواو"** و**"الدال الواوية"**[327]:



---

[325] - مستخرجة من رسالة للوصيف مسعود الشباني إلى الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمن (مؤرخة في: رمضان من عام 1228هـ).

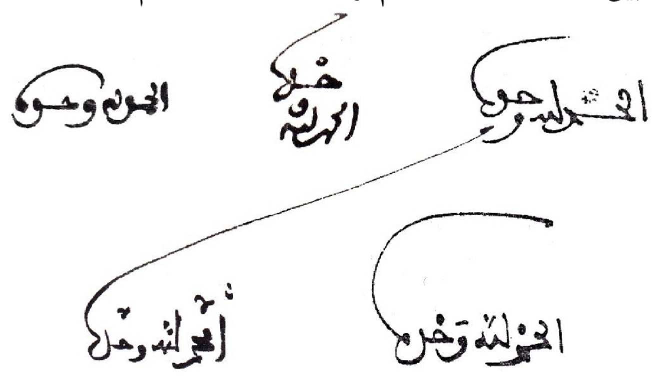
[326] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في فاتح ذي الحجة 1310هـ، مديرية الوثائق الملكية الرباط، سجل رقم: 18163.

[327] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في: 8 شوال 1228هـ.

وقد بالغ بعض الخطاطين في إرسال منقار الهاء المتطرفة، حيث اتجه به استدارة نحو اليمين حتى رَتَقَهُ بالحاء[328]:



بل إننا وقفنا على وجوه للمبالغة في إرسال منقار الهاء المتطرفة، بلغت حد الشطط، حيث يتخلى المنقار - في هذه الحالة - عن صفته كمنقار، ويتبنى صفة أخرى هي أقرب ما تكون إلى صفة التوقيعات الملغوزة، كما هو الأمر في كلمة: "وحده" المستعملة في عبارة الحمدلة (الحمد لله وحده) التي استخرجناها من عدة مراسلات مخزنية علوية ينحصر تاريخها بين سنة: 1228هـ/1813م. وسنة: 1263هـ/1846م[329]:



[328] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في: 14 رمضان 1262هـ، مديرية الوثائق الملكية الرباط، سجل رقم: 18981.

[329] - مستخرجة من:

- رسالة تحمل تاريخ: 8 شوال عام 1228هـ، من الوصيف مسعود الشباني إلى الأمير سيدي محمد.
- رسالة مؤرخة في: 18 من شوال عام 1228هـ، بعثها الوصيف مسعود الشباني إلى الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمن.
- رسالة مؤرخة في: 7 شوال 1263هـ، بعثها السلطان إلى ابنه سيدي محمد.
- رسالة مؤرخة في: 28 ربيع الأول 1263هـ، بعثها السلطان عبد الرحمن بن هشام إلى ابنه سيدي محمد.
- رسالة مؤرخة في: 2 محرم 1323هـ، مديرية الوثائق الملكية، سجل رقم: 23728.

ومن الصور الشائعة في الخط الفاسي المجوهر أن تُرسم الهاء في حالة التوسط مختزلة مشقوقة على غرار التطرف، كما نلاحظه على سبيل المثال من خلال كلمات: "**صيانتها**". "**وكتانها**". "**سلهام**"[330]. وكلمة: "**فيهما**"[331]، وهي الكلمات التي قارناها بكلمة: "**عهده**" التي استخرجناها من كراسة الخطاط العثماني: "محمد عزت" (ت.1306هـ/1889م):

الهاء المشقوقة بالخط الفاسي المجوهر[332]

الهاء المشقوقة بالخط الديواني وفق الأسلوب العثماني كما كتبها محمد عزت[333]

وقد بالغ بعض الخطاطين في اختزال الهاء، حتى كادت أن تختلط صورتها بحرف الميم، كما نلاحظه من خلال كلمة: "**محلها**"[334]:



وتركب الهاء في حالة التطرف بعدة صور، منها الصورة

---

[330] - مستخرجة من رسالة للسلطان عبد الرحمن بن هشام (مؤرخة في: 2 رجب الفرد 1263هـ).

[331] - مستخرجة من رسالة إسماعيلية مؤرخة في: 1110هـ

[332] - مستخرجة من:

- رسالة مؤرخة في: 2 رجب 1263هـ، بعثها السلطان عبد الرحمن بن هشام إلى ابنه سيدي محمد.
- رسالة مؤرخة في أواخر ذي القعدة 1307هـ، بعثها الخليفة السلطاني المولى الرشيد إلى السلطان مولاي الحسن الأول.

[333] - عزت (محمد)، خطوط عثمانية، طبعة حجرية، شركة خير به صحافيه: 1300هـ/1882م، ص: 39.

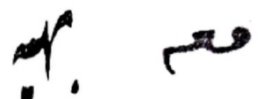
[334] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في: 2 رجب الفرد 1262هـ، مديرية الوثائق الملكية، الرباط، سجل رقم: 18626.

المحققة التي تختلف عن المبسوط بالطمس، وكذا رسم الضلع العمودي مجزوءا أو مبتورا، كما في الكلمتين التاليتين[335]:



وترسم أيضا في الحالة نفسها بشكل مختزل كما نلاحظه من خلال كلمة: **"جهة"**[336]:

ذلك الاختزال الذي قد يبالغ فيه الخطاط إلى درجة يحذف معها السن المميز للهاء أو(التاء المربوطة) المختزلة، حيث يرسمها على شاكلة خط الرقعة المشرقي كما في كلمة: **"معه"**[337]. وللمقارنة نقترح كلمة: **"بهية"** التي استخرجناها من كراسة الخطاط العثماني محمد عزت[338]:



من هنا يمكن القول انه إذا كانت الهاء تمتلك صورتين اثنتين في حالة الإفراد، فإنها تمتلك في حالة التركيب صورا عديدة نذكر منها: **"الصورة المحققة"** وتكون فيها الهاء لها حلقتان معقودتان، وهي الصورة التي تستعمل في حالتي: الابتداء والتوسط[339]:

---

[335] - مستخرجتان على التوالي من:

- رسالة إسماعيلية مؤرخة في: 1110هـ.

- رسالة من علي الراشدي الخليفة السلطاني (مؤرخة في: 4 شوال 1311هـ).

[336] - وثيقة مؤرخة في فاتح ذي الحجة 1310هـ، مديرية الوثائق الملكية - الرباط، سجل رقم: 18163.

[337] - وثيقة مؤرخة في فاتح ذي الحجة 1310هـ، مديرية الوثائق الملكية - الرباط، سجل رقم: 18163.

[338] - عزت، خطوط عثمانية، ص: 40.

[339] - مستخرجة من:

- رسالة إسماعيلية مؤرخة في: 1110هـ.

وفي بعض الأحيان تُحلّى الهاء المحققة بترويس على شكل زلفة تزيينية كما نلاحظه من خلال كلمة: "وهذا"[340]، وهي شبيهة إلى حد ما بهاء الثلث المشرقي كما كان في بدايته الأولى:

وتستعمل الهاء مدغمة ابتداء وتوسطا كما في الحالات التالية[341]:



وكما نلاحظ من خلال كلمة: "هم" فإن الهاء موصولة بميم معقوفة صورتها أقرب ما يكون إلى الخط الديواني العثماني الذي يُعرف بجماله ودقته، الأمر نفسه بالنسبة للخط الفاسي المجوهر المليح الذي يطبع بهذا الطابع، ألا وهو رقة الحروف

- رسالة جوابية مؤرخة في: 29 ربيع الثاني عام 1261هـ، من السلطان مولاي عبد الرحمن إلى ولد عمه المولى المأمون بن المكتفي.

- رسالة مؤرخة في: 7 صفر 1311هـ، من الخليفة السلطاني المولى الرشيد إلى السلطان مولاي الحسن الأول.

[340] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في أواخر ذي القعدة 1307هـ، موجهة من الخليفة السلطاني المولى الرشيد إلى السلطان مولاي الحسن الأول.

[341] - مستخرجة من:

- رسالة مؤرخة في: 9 شوال 1262هـ، بعثها السلطان مولاي عبد الرحمن إلى ابنه سيدي محمد.

- وثيقة مؤرخة في فاتح ذي الحجة 1310هـ، مديرية الوثائق الملكية - الرباط، سجل رقم: 18163.

والدقة في تنفيذها، ولو أخذنا الأنموذجين التاليين؛ لوجدنا الميم المعقوفة تكتب إما مجموعة كما هو الشأن في كلمة: **"للعلم"** أومرسلة كما هو في عبارة: **"أنهى لعلم"**، والجدير بالذكر أن الأنموذجين مستخرجين من وثيقة واحدة، مما يدل على أن الخطاط الذي حررها كان على قدر كبير من التمكن والإجادة:



الميم المركبة بالخط الفاسي المجوهر[342]

الميم المركبة بالخط الفاسي المجوهر[343]

الميم المركبة بالخط الديواني وفق الأسلوب العثماني كما كتبه محمد عزت[344]

وترد الميم في أروع صورها مستوية حيث استعارت صورة الياء السيفية أو (الراجعة)، وقد ظهرت صورتها إما مرسلة أومقبوضة بحسب عدد الأحرف التي وردت قبلها، حيث تؤطرها تأطيرا يطبعه قانون التوازي بعدما شكلت قاعدة ترتكز عليها الكتابة[345]:

---

[342] - مستخرجة من رسالة بعثها علي الراشدي الخليفة السلطاني تحمل تاريخ: 4 شوال 1311هـ.

[343] - مستخرجة من وثيقة مؤرخة في فاتح ذي الحجة 1310هـ مديرية الوثائق الملكية الرباط، سجل رقم: 18163.

[344] - عزت، خطوط عثمانية، ص: 37 - 38.

[345] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في: 7 صفر 1311هـ، من الخليفة السلطاني المولى الرشيد إلى السلطان مولاي الحسن الأول.

ورجوعا بنا إلى حرف الدال الذي ينبغي أن نستوفي الحديث عنه وعن تركيباته الاجتهادية الشبيهة بتركيبات الراء والنون وغيرهما من الحروف في الخط الفاسي المجوهر، نلاحظ أن بعض الخطاطين قاموا بإدغامه دون وصله بالحرف الذي يليه كما نلاحظه من خلال كلمة: "سيدنا"، ولإعطاء الكلمة نوعا من التناغم والتوازن على مستوى الملاءمة والمواءمة والتماهي بين الكتلة الخطية والفراغ، قام الخطاط برسم حرفي: "**نا**" بشكل مستلق مُوازٍ لكشيدة الياء، مما جعلها تبدو ككاف زنادية مشبعة، ويعد هذا التصرف من الاجتهادات التي لا نعثر عليها إلا لماما في الخط الفاسي:

ودائما وفي إطار حديثنا عن حرف الدال، نشير إلى أنه يجوز إدغامه سواء من طرفه السفلي أومن طرفه العلوي، فقد وجدنا بعض الخطاطين يقومون بإدغام طرفه العلوي مع ألف المد من مقطع: "نا"، كما نلاحظه من خلال كلمة: "**سيدنا**"[346]:

وقد وقفنا على مثل هذا التصرف في عدة رسائل مخزنية، وردت فيها الكلمة نفسها بالتركيب نفسه[347]:

---

[346] - مستخرجة من رسالة للوصيف مسعود الشباني إلى الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمن (مؤرخة في: رمضان 1228هـ).

[347] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في: 8 شوال 1228هـ، بعثها الوصيف مسعود الشباني إلى الأمير سيدي محمد.

بل إن خطاطا قام - في رسالة أخرى - بإدغام ألف المد مع الطرف العلوي للدال، وطوّع حرف النون تطويعا متناهيا، أكسبه معه كل ما يستطيعه من تدوير، حتى التقى مع ألف المد عند الطرف العلوي للدال، لدرجة بدت معها النون الممدودة: "**نـا**" من كلمة: "**سيدنـا**" كحرف مفرد للنون مقفل الحلقة، تتوسطه نقطة النون، مما أكسبها شكلا تجسيديا لمقلة العين، ولو جمعنا شكلها بشكل الدال لبدت مثل رقم: "**9**"[348]:

وتحليق النون، هو تصرف فني وقفنا عليه في الرسالة نفسها، ولكن الخطاط استعمله في رسم النون المفردة، وليس في رسم حرفين مدغمين (النون وألف المد)، وهنا نستدل - للمقارنة - بكلمة: "**حملان**" التي قارنا نونها المتطرفة بنظيرتها في الخط الديواني العثماني[349]:

"النون المفردة" في الخط الفاسي المجوهر **"النون المفردة" في الخط الديواني**

مقارنة بين "النون المفردة" في الخط الفاسي المجوهر ونظيرتها في الخط الديواني من كراسة الخطاط العثماني: محمد عزت[350]

---

348 - مستخرجة من رسالة للسلطان إلى ابنه سيدي محمد (مؤرخة في: 7 شوال المبارك 1263هـ).

349 - عزت، خطوط عثمانية، ص: 37.

350 - عزت، خطوط عثمانية، ص: 37.

وقد تكون النون المحلقة غير مقفلة بالكامل، كما هو الشأن في كلمتي: **"أذهان"** و**"لأن"**، حيث تبدو صورتها أقرب ما يكون إلى خط الرقعة العثماني[351]، ولتجسيد هذا التشابه؛ سنقوم أيضا بإجراء مقارنة بين الخطين - الفاسي المجوهر والديواني العثماني - في كلمة **"أذهان"**[352]:

وأيضا في كلمة: **"لأن"**[353]:

"النون المفردة" في الخط الفاسي المجوهر **"النون المفردة" في خط الرقعة**

مقارنة بين "النون المفردة" في الخط الفاسي المجوهر، ونظيرتها في خط الرقعة من كراسة الخطاط العثماني: محمد عزت[354]

وللإشارة، فإن حوض النون يعد الصورة الأساسية التي تساهم في توالد مجموعة من الحروف التي يستعمل فيها هذا الحوض بكامل تفاصيله مقبوضا كان أو مرسلا. ومن الأحرف التي يضاف إليها حوض النون: حروف (الياء والقاف والصاد وأختها والسين وأختها). ومنه يمكن القول أن ما يهم حوض النون في سائر الحالات التركيبية - ابتداء وتوسطا وتطرفا - يهم الأحرف التي تولدت عنها.

[351] - عزت، خطوط عثمانية، ص: 27.

[352] - مستخرجة من رسالة للسلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى الفقيه مولاي عبد الهادي (مؤرخة في 16 ذي الحجة 1248هـ).

[353] - مستخرجة من رسالة جوابية من السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام إلى مولاي المأمون بن المكتفي.

[354] - عزت، خطوط عثمانية، ص: 27.

ومن خلال تشريحنا للوثائق المخزنية المدروسة، عثرنا على عدة صور للنون نقترح منها ما يلي:

- اجتهد الخطاطون في رسمها حيث تبدو في الخط الفاسي المجوهر محلقة قد تضاف لها زيادة للتحلية، كما نلاحظه في كلمة: "**للمومنين**"[355]:

وفي بعض الأحيان قد يضيف إليها بعض الخطاطين منقارا يجعلها مجموعة وهو ما يساهم في إقفال الكلمة التي وردت فيها، كما نلاحظ في كلمة: "**ثمن**"[356]:

- قام بعض الخطاطين أيضا باعتماد صورة النون المرسلة المشبعة في التقعير لاحتضان كلمة أو حرف، كما هو الشأن بالنسبة لـ: "**من**" التي كتب فيها حرف النون محققا غير مرسل، وذلك حتى تحتضنه النون المرسلة المشبعة في التقعير، مما أعطى توازنا في كيفية توزيع الكتلة الخطية بين الجانبين في الجملة التالية[357]:

وأيضا ما ورد في في العبارة التالية[358]:

---

355 - مستخرجة من رسالة جوابية مؤرخة في: 29 ربيع الثاني 1261هـ، من السلطان مولاي عبد الرحمن إلى ولد عمه المولى المأمون بن المكتفي.

356 - مستخرجة من رسالة بعثها الوصيف مسعود الشباني إلى الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمن مؤرخة في سنة: 1228هـ.

357 - مستخرجة من رسالة موجهة من السلطان عبد الرحمن بن هشام إلى ابنه سيدي محمد في: 21 ربيع النبوي عام 1263هـ.

358 - مستخرجة من رسالة بعثها السلطان إلى ابنه سيدي محمد مؤرخة في: 7 شوال 1263هـ.



حيث تم استغلال حوض النون المشبعة المرسلة لكتابة كلمة كاملة لجأ الخطاط في رسمها إلى إدغام الدال في التاء المربوطة المتطرفة، وذلك قصد وضعها كاملة في الفضاء الذي يتيحه حوض النون. ومن خلال الجملة التالية نلاحظ كيف وظف الخطاط ثلاث صور مختلفة للنون بحسب ما تقتضيه الضرورات الجمالية وكذا ضرورات التوزيع والموازنة بين الكتل الخطية والفراغ[359]:

ونلاحظ أن هذا الخطاط قد أبدع في رسم النون، وما يذهب إليه بعض الخطاطين من كون مركز الثقل يوجد في جهة اليسار من الحوض لا دليل عليه، إذ أن النون تبدو بصورة مثالية في هذه الكلمة حيث تبدو كقوس متوازن معالمه كاملة، ومركز ثقله في الوسط وليس في اتجاه اليسار[360]:

بالإضافة إلى ذلك، نلاحظ استعمال النون المرسلة المدغمة التي يُستغل حوضها لاستيعاب عدة مقاطع أو بالأحرى عدة كلمات في بعض الأحيان، وذلك لتدبير استغلال المساحة المتاحة للكتابة، لاسيما إذا كان حرف النون في أسطر متوازية وهوامشها متماثلة من كلا الجانبين[361]:

[359] - مستخرجة من رسالة بعثها السلطان إلى ابنه سيدي محمد مؤرخة في: 7 شوال 1263هـ.

[360] - مستخرجة من رسالة بعثها السلطان إلى ابنه سيدي محمد مؤرخة في: 7 شوال 1263هـ.

[361] - وثيقة مؤرخة في: متم المحرم الحرام فاتح عام 1263هـ، مديرية الوثائق الملكية - الرباط، سجل رقم: 19935.

ومنصور ينتصر من المقصورة

الأمر نفسه يقال عن النون المحققة كما نلاحظه من خلال المقطع التالي[362]:

التاجر الحاج المهدي بن عبد الرحمان رحمه الله

بل إننا وقفنا على بعض التصرفات الجمالية التي تنم عن الحس الفني للخطاط المغربي لاسيما فيما يتعلق بجدلية الكتلة الخطية والفراغ، فلو تمثلنا بالأنموذج التالي الذي يتكون من العبارة التالية: "..**أخبر بأن أهل أبي عام..**" لأدركنا فعلا كيف استطاع الخطاط أن يبدع في توزيع الكتلة الخطية لتبدو متوازنة، حيث ترك كتلة خطية عن اليمين تقابلها كتلة أخرى تماثلها عن اليسار. وما بقي من الكلمات: "..**أهل أبي..**" وظف حوض النون لاحتوائها بعدما جعل منه قاعدة مركزية تستوي في الوسط لتعطي توازنا عاما للعبارة[363]:

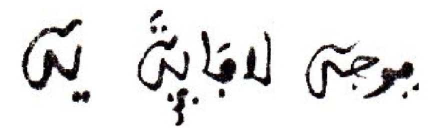
أخبر بأن أهل أبي عام

وبالرغم من استعمال هذه التصرفات التي تفيد احتواء الحروف؛ كما هو الشأن بالنسبة لحرف النون، أو التصرفات التي تفيد إدغام الحروف بعضها في بعض؛ كما هو الشأن بالنسبة لحروف الراء والدال والهاء على سبيل المثال لا الحصر، إلا أن كل حرف من هذه الحروف كان يحافظ على صفته، لكن ما يثير الاستغراب، هو أن نقف على بعض الحالات الإدغامية التي يكون فيها الإدغام ذاتا وصفة. أي: ان الحرفين

[362] - مستخرجة من رسالة لعلي الراشدي الخليفة السلطاني تحمل تاريخ: 4 شوال 1311هـ.

[363] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في: 28 ربيع الأول النبوي 1263هـ من السلطان عبد الرحمن بن هشام إلى ابنه سيدي محمد.

بعد الإدغام قد يصيرا حرفا واحدا كما قد يتخيله البعض، فلا يحافظ أي منهما على صورته الأصلية سواء كانت محققة أو مدغمة، وهذا ينطبق على الكلمات التالية: **"يوجهه". "لافائدة". "يده". "فساعده". "يساعده"**، وهي الكلمات التي أُدغم من خلالها حرف الدال بحرف الهاء المتطرفة، حتى بدت صورة إدغام هذين الحرفين، كصورة حرف الهاء الثلثية التي ترسم صورتها في خطي الثلث المشرقي والمغربي معا، أو كحرفي: الدال والهاء المدغمتين في الخط الديواني، ولكن مع فارق جوهري مهم، يتميز في كون الهاء المتطرفة في الديواني العثماني، تحتفظ بملامحها كاملة، بينما تتخذ الدال - تقريبا - الصورة نفسها التي تتخذها في الخط الفاسي المجوهر، وهذا ما يجعل الإدغام - في هذه الحالة - في الديواني لا يقع معه لبس لدى المتلقي والقارئ، بخلاف نظيره في الخط الفاسي المجوهر الذي تفقد فيه الهاء المتطرفة صورتها بعد إدغامها مع الدال التي تسبقها؛ كما هو الشأن بالنسبة لكلمات: **"لافائدة". "يده". "فساعده". "يساعده"**، الأمر نفسه ينطبق عليها إذا ما تم إدغامها مع الهاء التي تسبقها كما هو الشأن بالنسبة لكلمة: **"يوجهه"**. لتبدو (الهاء المتطرفة) - تبعا لذلك - كتعريقة مشبعة للحرف نفسه الذي يسبقها (الدال أو الهاء)، لدرجة تلتبس معها صورتها بصورة الهاء المتطرفة في الخطوط الأخرى المغربية كخط الثلث المغربي. والمشرقية؛ كخط الثلث والديواني وغيرهما[364] :



[364] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في: 22 شوال 1318هـ، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، رقم: 97.

ولمعرفة موقع وترتيب هذه الكلمات في الجمل الموظفة فيها، نقترح المقطع التالي المستخرج من رسالة مخزنية علوية[365]، إذ من خلالها نستطيع قراءة الكلمات الآنفة الذكر، وذلك من خلال استنادنا على دلالة المعنى:

"الدال والهاء المدغمتان" في الخط الفاسي المجوهر "الدال والهاء المدغمتان" في الخط الديواني العثماني



مقارنة بين "الدال والهاء المدغمتان" في الخط الفاسي المجوهر ونظيرتهما في الخط الديواني العثماني من كراسة الخطاط العثماني: محمد عزت[366]

"الهاءان المدغمتان" في الخط الفاسي المجوهر "الهاء المتطرفة" في خط الثلث المشرقي



مقارنة بين "الهاءان المدغمتان" في الخط الفاسي المجوهر و"الهاء المتطرفة" في خط الثلث المشرقي من كراسة الخطاط العثماني: محمد عزت[367]

---

365 - مستخرجة من رسالة مؤرخة في: 22 شوال 1318هـ، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، رقم: 97.

366 - عزت، خطوط عثمانية، ص: 39.

367 - عزت، خطوط عثمانية، ص: 5.

وفي بعض الحالات، ولكي يرفع الخطاط اللبس عن القارئ، وخاصة في حالة الإدغام الكلي ذاتا وصفة، يلجأ إلى عقد الحرفين معا في نقطة التقائهما، كي يبين للقارئ موطن التقاء الحرفين، للحيلولة دون اعتبارهما حرفا واحدا كما مر بنا، وهذا نقف عليه على سبيل المثال في الكلمات التالية: **"سيدي"**[368]، **"الذي"**، **"المهدي"**[369]:

وقد جرت العادة أن ترسم الدال في حالة الإفراد على شكل قوسين يلتقيان بطرفيهما في جهة اليمين. يبدأ القوس الأول بزلفة أو ترويس، وينتهي الثاني بآخر، وربما يتم الاقتصار على الترويس في الطرف الثاني المرتكز على قاعدة سطر الكتابة، بل وربما يتم تجريدهما معا من الترويس المذكور، وعادة ما يتخذ حرف الدال شكل زاوية 45 درجة، وفي بعض الأحيان يتم التخلي عن شكلها المزوى لصالح الشكل اللين الذي اتخذ في بعض الأحيان شكلا شبه محلق يتجه بحدبته إلى جهة اليمين، وللوقوف على هذه الأشكال نقترح الصور التالية[370]:

وتكتب الدال في حالة التركيب غير المتصل معتدلة بحجمها

---

[368] - مستخرجة من رسالة للسلطان عبد الرحمن بن هشام إلى خليفته على تافيلالت المولى محمد تبين امتعاض قبيلة أهل غريس من تصرفات ممثلي المخزن الذين يثقلون عليهم في الكُلف.

[369] - مستخرجة من رسالة لعلي الراشدي الخليفة السلطاني (مؤرخة في: 4 شوال 1311هـ).

[370] - مستخرجة من:

- رسالة من السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى الفقيه مولاي عبد الهادي، مؤرخة في 16 ذي الحجة 1248هـ.

- رسالة جوابية مؤرخة في: 29 ربيع الثاني 1261هـ، من السلطان مولاي عبد الرحمن إلى ولد عمه المولى المأمون بن المكتفي.

نفسه في حالة الإفراد كما وقفنا عليه خلال بعض الكلمات، التي لا تقبل حروفها الاتصال البعدي أو القبلي إذا اجتمعت معا كما نلاحظه في كلمة: "**ورد**" [371]:

وقد تأخذ الدال - في حالات التركيب التي تكون فيها متصلة بالحرف الذي قبلها - حجم النون نفسه عند بعض الخطاطين لأغراض جمالية، كتأطير حرف أو احتوائه كما هو الشأن بالنسبة لحرف الواو الذي تم احتواؤه في حوض الدال، بعدما أرسل هذا الأخير إرسالا مشبعا ليلامس النون المتطرفة من كلمة: "**بدون**". وفي بعض الأحيان قد يتسع حوض الدال ليحتوي حرفين معا كما نجد ذلك في كلمة: "**الخدمة**" التي احتوى فيها فضاء الدال حرفين مركبين هما: الميم والتاء المربوطة[372]:

التصرف نفسه وجدناه في الوثيقة نفسها التي استخرجنا منها المقطعين السابقين، حيث احتوى حوض الدال حرفين مفردين هما: الواو والألف، بل وتم إرسال الدال لتقارب حجم حوض النون الواردة في كلمة: "**التمكين**"، وذلك من أجل خلق نوع من التماثل الذي يضمن توازن الكتلة الخطية. التصرف نفسه وجد أيضا في الوثيقة نفسها، وتحديدا في عبارة: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث وظف فضاء الدال لاحتواء: "نـا" في كلمة: "**سيدنا**"، كما احتوى الدال في كلمة: "**محمد**" حرف الـواو. وهذه هي السمة الغالبة كما أشرنا إلى

[371] - مستخرجة من رسالة إسماعيلية مؤرخة في: 1110هـ.

[372] - مستخرجة من رسالة لعلي الراشدي الخليفة السلطاني، تحمل تاريخ: 4 شوال 1311هـ.

ذلك سلفا، حيث دائما ما ترسم الواو أو الراء أصغر من الدال إذا جاءت الدال قبلهما. وفي بعض الأحيان قد يحتوي حوض الدال حرفين كاملين، مما يدل على استيعاب هذا الحرف كل أشكال التطويع والإشباع كما نلاحظه في كلمة: "**قديما**" التي احتوى حرف الدال فيها مقطع: "**يما**". الأمر نفسه ينسحب على كلمة: "**خلد**" التي احتوى حرف الدال فيها حرف: "**في**"[373]:

وفي بعض الأحيان، تُماثل الدال النون، لكن حجمها يبدو أصغر منها بما يقارب الثلث، وهذه هي الصورة الأصح بناء على قانون التناسب[374]، الذي تفرضه الحروف فيما بينها (أي النسبة الصحيحة لكل حرف من الحروف الأخرى)، وهذا الأمر نلاحظه على سبيل المثال في عبارة: "**أحمد بن محمد**" التي تبدو النون كواسطة العقد التي تؤلف بين الدالين[375]:

الأمر نفسه ينطبق على الواو مع الياء كما نلاحظه من خلال كلمة: "**الأجلاوي**" (الكلاوي)[376]، التي شكّل من خلالها

---

[373] - مستخرجة من رسالة لعلي الراشدي الخليفة السلطاني، تحمل تاريخ: 4 شوال 1311هـ.

[374] - النسب الطبيعية للحروف بعضها من بعض، سواء كانت جلية أو دقيقة، حيث يستخدم - السلم الرياضي نفسه - في سائر الحروف المنتمية لخط معين، وذلك للحفاظ على نسب الفروق بين أحجام الحروف وامتداداتها.

[375] - مستخرجة من رسالة لعلي الراشدي الخليفة السلطاني، تحمل تاريخ: 4 شوال 1311هـ.

[376]- مستخرجة من رسالة مؤرخة في11 ذي القعدة 1318هـ، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني رقم: 98.

إدغام الواو بالياء المتطرفة حلقة معقودة، لكن هذا لا يعني أنها استعملت دائما بالشكل نفسه، فعلى غرار تركيبها مع الدال تطرفا - كما لاحظناه من خلال الكلمات السابقة (**"يوجهه"**. **"لافائدة"**. **"يده"**. **"فساعده"**. **"يساعده"**) - أفقد بعض الخطاطين الياء صورتها في كتابة الكلمة نفسها: **"الجلاوي"** (الكلاوي)[377]، حيث يبدو الواو وكأنه لا حرف بعده، سوى زائدة زخرفية - تزيينية كما يخيل للقارئ بادئ الأمر:

بالإضافة إلى الأحرف السابقة، يعتبر حرف الكاف من أهم الحروف التي طوعها الخطاطون المغاربة، بعدما أكسبوها أشكالا عديدة، وصورا مختلفة، منها؛ صورتها المحققة في آخر الكلمة، كما هو الأمر في كلمة: **"عليك"**[378]:

وهذه الصورة تسمى: **"الكاف الدالية"**، وعادة ما كانت تستعمل في حالة التطرف، وتعد هذه الصورة من أجمل الأشكال التي تُميز الخط المغربي عن الخط المشرقي، وتُعبر عن خصوصيته، بخلاف الكاف الزنادية التي تعتبر قاسما مشتركا بين الخط المغربي والخط المشرقي مع بعض الاختلافات الطفيفة.

وفيما يلي مجموعة من الكلمات، تبين استعمال هذه الصورة

---

[377] - مستخرجة من رسالة مؤرخة في: 22 شوال 1318هـ، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، رقم: 97.

[378] - مستخرجة من رسالة جوابية مؤرخة في: 29 ربيع الثاني 1261هـ، بعثها السلطان مولاي عبد الرحمن إلى ولد عمه المولى المأمون بن المكتفي، في شأن بعض أوضاع تافيلالت السياسية والاقتصادية.

في حالة التطرف، مستخرجة من عدة وثائق مخزنية، صورها تُميز بينها بعض الاختلافات الطفيفة التي تتراوح بين التحقيق والإختزال:

وقد قام الخطاط المغربي - إضافة إلى ذلك - بابتكار صور أخرى مدغمة ومختزلة، وبدأ ذلك - وكخطوة أولية - بإدغام الكاف المحققة (الدالية) كما نلاحظه من خلال كلمتي: **"عليك". "بك"**[379]:

وهذه الصورة تُعد صورة معقودة بشكل بسيط (عقدة واحدة) كما نلاحظه من خلال كلمة: **"لك"**[380]:

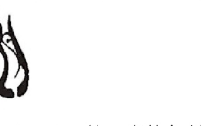
أو تكون معقودة بشكل مركب (عقدتين)، إلى درجة أنه قد يتبادر إلى الذهن أننا أمام لام الألف على شاكلة الديواني العثماني الجلي، لكن الحقيقة غير ذلك، إذ أننا أمام رسم خطي فاسي مجوهري أصيل. والقراءة الصحية لهذا الحرف هو: **"لك"** وليس: **"لا"** كما يتبادر للذهن أول وهلة:

---

379 - مستخرجة من رسالة جوابية من السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام إلى مولاي المأمون بن المكتفي يستحسن فيها وقوفه إلى جانب الأمين بن الطاهر كممثل للسلطة المركزية في منطقة تافيلالت.

380 - مستخرجة من رسالة تحمل تاريخ: 8 شوال 1228هـ، من الوصيف مسعود الشباني إلى الأمير سيدي محمد.

"لك" بالخط الفاسي المجوهر   "لام الألف" بالخط الديواني العثماني الجلي



مقارنة بين كلمة: "لك" بالخط الفاسي المجوهر من وثيقة مخزنية علوية[381].
وحرف لام الألف بالخط الديواني العثماني الجلي من كراسة الخطاط العثماني مصطفى حليم[382]

وحتى نؤكد ذلك، نورد هذه الكلمة كما وردت في وثيقة مخزنية علوية، حيث وُظفت في الجملة التالية: **"كتبنا لك عليه"**[383]:

ولأن الخط الفاسي المجوهر يعتبر من أغنى الخطوط المغربية على الإطلاق من حيث صور حروفه، وقفنا على عدة أشكال من الكاف المستعملة في حالة التطرف، ونخص بالذكر:

* **الكاف الهمزية:** وهي كاف مستعملة أيضا في الخطوط المشرقية، وتستعمل في الحالة نفسها (أي: في حالة التطرف)، ولا يجوز استعمالها في غير هذه الحالة في الخطين معا؛ المشرقي والمغربي معا.

وفيما يلي مجموعة من الكلمات، تبين استعمال هذه الصورة في حالة التطرف، مستخرجة من عدة وثائق مخزنية:

"بذالك"."ذلك"."عليك"."لذالك"."بذلك"."ذلك":

---

[381] - مستخرجة من رسالة بعثها الوصيف مسعود الشباني إلى الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمن، في: 18 شوال 1228هـ.

[382] - مصطفى (حليم اوزيازيجي)، أمشاق وخطوط في الديواني والديواني والرقعة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول "IRCICA"، 2003م، ص: 15.

[383] - مستخرجة من رسالة بعثها الوصيف مسعود الشباني إلى الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمن، في: 18 شوال 1228هـ.

بذلك ذلك عليك لذلك

ذلك بذلك ذلك[384]

ويعتبر لام الألف من أكثر الحروف التي استعملت فيه صور مختلفة في الخط الفاسي، إذ من الصعب أن توجد في خط آخر مشرقي أو مغربي سوى في الخط الفاسي المجوهر، وتتراوح صوره بين التحقيق والاختزال والإدغام والاجتزاء.. إلى غير ذلك من الصور التي يصعب حصرها، والتي وقفنا منها على أزيد من 30 صورة. وفيما يلي؛ نسوق جملة من تلك الصور موظفة في كلمات مختلفة، استخرجناها من بعض الوثائق المخزنية العلوية[385]:

ببرنا وهو كانا أكرمنا بها مكانا

---

[384] - مستخرجة على التوالي من:

- رسالة سلطانية محفوظة بمركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، رقم: 98

- رسالة غير مؤرخة للسلطان عبد الرحمن بن هشام إلى خليفته على تافيلالت المولى محمد.

- رسالة للسلطان مولاي عبد الرحمن إلى ابنه سيدي محمد مؤرخة في: 9 شوال الأبرك عام 1262هـ.

- رسالة جوابية من السلطان مولاي عبد الرحمن إلى ابنه سيدي محمد (مؤرخة في: 19 ربيع الثاني 1263هـ).

- رسالة من علي الراشدي الخليفة السلطاني (مؤرخة في: 4 شوال 1311هـ).

[385] - مستخرجة على التوالي من:

- رسالة مؤرخة في: 7 صفر 1311هـ، بعثها الخليفة السلطاني المولى الرشيد إلى السلطان مولاي الحسن الأول.

- رسالة مؤرخة في أواخر ذي القعدة 1307هـ، موجهة من الخليفة السلطاني المولى الرشيد إلى السلطان مولاي الحسن الأول.

- رسالة مؤرخة في سنة: 1318هـ.

- رسالة مؤرخة في 16 ذي الحجة 1248هـ، بعثها السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام إلى الفقيه مولاي عبد الهادي.

- رسالة مؤرخة في: 23 شوال 1253هـ، بعثها الحاج محمد بن الحاج إدريس الحباب إلى سيدي بن محمد بن إدريس.

- وثيقة مؤرخة في: أواخر محرم 1263هـ، مديرية الوثائق الملكية - الرباط، سجل رقم: 19935.

- وثيقة مؤرخة في: 14 رمضان عام 1262هـ، مديرية الوثائق الملكية - الرباط، سجل رقم: 18981.

- رسالة مؤرخة في: 7 شوال 1263هـ، بعثها السلطان إلى ابنه سيدي محمد.

- رسالة مؤرخة في: 2 رجب 1263هـ، بعثها السلطان عبد الرحمن بن هشام إلى ابنه سيدي محمد.

وفي وثيقة مخزنية أخرى، ربط بعض الخطاطين بين دلالة الرسم الغرافيكي، وقوة المعنى اللغوي، كما نلاحظه - على سبيل المثال - من خلال عبارة الحوقلة (لا حول ولا قوة إلا بالله) التي تفيد نفي الحول والقوة عن العبد وتُثبِته لله وحده لا شريك له، حيث وجدنا الخطاط تبعا لما قلناه، يحاول استحضار هذا المعنى برسمه الخطي، فرسم لام الألف التي تفيد نفي الحول والقوة عن العبد بالصورة نفسها (شكل مدغم)، فيما رسم لام الألف بصورة محققة لاقترانها بحول الله وقوته، كما هو مبين في الجملة التالية[386]:

[386] - مستخرجة من وثيقة مؤرخة في: غرة ربيع الثاني عام 1263هـ، مديرية الوثائق الملكية، سجل رقم: 19114.

وقد عثرنا أيضا على صور للام الألف بالخط الفاسي المجوهر شبيهة بتلك المستعملة في الخط الديواني العثماني، وللاستدلال على ذلك؛ نسوق الأنموذجين التاليين:

لام الألف بخط فاسي مجوهر **الألف بخط ديواني عثماني**



مقارنة بين لام الألف بالخط الفاسي المجوهر مستخرج من وثيقة مخزنية علوية[387]. وحرف الألف بالخط الديواني العثماني من كراسة الخطاط العثماني محمد عزت[388].



مقارنة بين لام الألف بالخط الفاسي المجوهر (موظفة في كلمة: "وسلام")[389].
ولام الألف بالخط الديواني العثماني من كراسة الخطاط العثماني محمد عزت[390].

---

[387] - مستخرجة من رسالة جوابية من السلطان مولاي عبد الرحمن إلى ابنه سيدي محمد، مؤرخة في: 19 ربيع الثاني 1263هـ.

[388] - عزت، خطوط عثمانية، ص: 38

[389] - وثيقة مؤرخة في: 16 ربيع الأول عام 1262هـ، مديرية الوثائق الملكية، سجل رقم: 18416

[390] - عزت، خطوط عثمانية، ص: 37

4 - 2 - الشكل والإعجام وعلامات الترقيم في الخط الفاسي:

لم يرفض المغاربة كل ما جاء إليهم من المشرق، فقد قبلوا ترتيب الحروف الهجائية مع اختلاف يسير، كما تبنوا قانون الإعجام والإهمال الذي جاء من المشرق، إلا أنهم اختلفوا مع المشارقة في إعجام بعض الحروف (نقط الفاء بواحدة من أسفل، والقاف واحدة من أعلى)، ومما يلاحظ أيضا في كتابة المغاربة؛ نقط حروف: الفاء والقاف والنون والياء في حالة التطرف (التركيب في آخر الكلمة) خلال القرون الأولى، وقد علق ابن عبد الملك المراكشي (634 - 703هـ/1237 - 1303م) على ذلك في كتابه: **"الذيل والتكملة"** بقوله معبرا عن تلك الأحرف بحرف النون الذي اشتقت أحواضها منه: "**[إن نقط النون المتطرفة] غلط جرى عليه جمهور الكُتّاب لأن النون المتطرفة لا وجه لنقطها إذ هي متميزة بصورتها وإنما تُنقط مبتدأً بها ومتوسطة، وحالها في ذلك حال الفاء والقاف والياء المسفولة [الياء النونية]، فإنهن إذا ما تطرفن تميزن بصورهن فاستغني عن نقطهن، إذ الداعي إلى النقط خوف الإلباس، فإذا ارتفع الإلباس كان الإعجام عبثا وكلفة لا جدوى فيها؛ والهلال إنما يشبه بالنون المتطرفة كما يشبه بالراء أول ليلة والله أعلم**"[391].

وعموما فقد خلت هذه الحروف وتعرّت فيما بعد من النقط في تلك الحالة في سائر الخطوط المغربية بما في ذلك الخط الفاسي المجوهر، وهي الحروف التي تجمع في كلمة: "**ينفق**"، ومازالت صورتها على ذلك إلى اليوم.. كما أشار إلى ذلك أحمد الرفاعي القسطالي (ت.1256هـ/1840م) عند حديثه عن الفاء والقاف، حيث قال[392]:

---

[391] - ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ج/2 ، ص: 130.

[392] ـ الرفاعي، نظم لآلئ السمط، ص: 178.

والفاء مثل الميم أيضا جاءت ... لكن لها ساق عليها قامت

قد وصلت بالسطر والقاف الوسط ... كذا وإن أخرتها دع النقط

ومسألة الإعجام هذه، من أبرز السمات التي تميز الخطوط المغربية عن الخطوط المشرقية، وخاصة فيما يتعلق بنقط الفاء والقاف، وقد أشار إليها أبو عمرو الداني (371 - 444هـ/981 - 1053م) في كتابه: "**المحكم في نقط المصاحف**"، حيث قال: "**أهل المشرق ينقطون الفاء بواحدة من فوقها والقاف باثنيْن من فوقها، وأهل المغرب ينقطون الفاء بواحدة من تحتها والقاف بواحدة من فوقها، وكلهم أراد الفرق بينهما بذلك**"[393].

وفي تقييمه لهذه المسألة، رأى ابن شريفة أنه لا يمكن تحديد المرحلة التي ظهر فيها هذا الفرق بدقة، ثم ذهب إلى افتراض ظهوره قبل القرن الرابع الهجري، منطلقا في ذلك من مخطوط قيرواني كتب بالخط الكوفي في الثلث الأول من القرن الرابع للهجرة، يبدو من خلاله بوضوح نقط الفاء والقاف حسب الاستعمال المغربي[394].

ولعل ظهور هذه الخصوصيات الخاصة بالإعجام والشكل في الخط القيرواني، هو ما سمح بانتقالها إلى الخط الفاسي عبر الخط الأندلسي، وذلك بحسب الترتيب الكرونولوجي والمسار التطوري للخطوط المغربية عبر محطاتها التاريخية.

وكيفما كان الحال، فقد فضلنا الاقتصار على بعض من أدوات الترقيم والتحقيق، فضلا عن بعض الحركات الإعرابية المستعملة في الوثائق المخزنية العلوية المدروسة، والتي جمعنا ثلة منها في اللوحة التالية:

---

[393] - الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد)، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية: 1997م، ص: 37.

[394] - ابن شريفة، نظرة حول الخط الأندلسي، ص: 75.



ختاما يمكن القول ان "محطة فاس" تُعد المحطة التاريخية التي تحيلنا على هيمنة مدينة فاس على عموم منطقة الغرب الإسلامي خلال عصر الدولة المرينية، وذلك لأنها كانت في تلك المرحلة عاصمة للمذهب المالكي، وقاعدة ملك المرينيين، لذلك فلا يستغرب أن يكون المغرب في تلك المرحلة؛ هو المدرسة التاريخية المحورية التي أخذت على عاتقها مسؤولية تطوير الخط المغربي وبلورته، من خلال اختزال التجارب الفنية الإقليمية السابقة لدول الغرب الإسلامي بما في ذلك الأندلس، وبالتالي الإعلان عن ولادة ما يسمى في وقتنا الحاضر بـ: **"الخط المغربي"** وأصنافه المعروفة، وحينما نستعمل تسمية: "الخط المغربي" فإننا نحددها بالمفهوم الإقليمي الضيق، الذي يحيلنا على المغرب الأقصى وليس كما يحاول البعض تسميته في وقتنا الحاضر بـ: **"الخط المغاربي"**.

ونحن إذ نردّ هذا الادعاء، نشير إلى أن الخط المغربي بدأ يعرف خصوصيته الإقليمية بشكل بارز منذ العصر السعدي،

الذي سيشهد فيه طفرة نوعية على المستوى الفني، وخاصة في عهد السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (986 - 1012هـ/1578 - 1603م) الذي حافظ على استقلال المغرب، ليكون بذلك الدولة الوحيدة في العالم الإسلامي التي لم تدخل تحت سلطة العثمانيين، مما أسهم في ظهور ما يمكن أن نسميه بـ: **"الخصوصية المغربية"** في كافة المجالات، مقابل عملية **"التتريك"** أو بالأحرى **"العثمنة"** التي خضعت لها سائر الولايات الشمال - إفريقية إلى حدود الجزائر.

ولترسيخ تلك الخصوصية في الخط وفنونه؛ قام أحمد المنصور الذهبي بتأسيس مدرسة لتكوين الخطاطين، وتدريس الخط على أصوله، حيث بدأ الخط المغربي - بفضل تلك التجربة الرائدة - يأخذ شكله النهائي في هذا العصر، فبدا متميزا عن باقي الخطوط المتداولة في الغرب الإسلامي، وبدأت تتضح أصنافه وأنواعه وأساليبه.

ولأن **"الخط المجوهر"** كان هو الخط الأكثر إقليمية بالمقارنة مع الخطوط المغربية الأخرى؛ وذلك بالنظر إلى اعتماده خطا "ديوانيا" رسميا في تحرير المكاتبات والمراسلات السلطانية بالمغرب، وكذا اعتماده خطا "نساخيا" أو"وراقيا" في نسخ الكتب العلمية وأعمال الوراقة، فضلا عن اعتماده خطا "تعليميا" في تدريس العلوم الشرعية بجامعة القرويين بفاس وهي أقدم جامعة عالمية؛ فإنه كان من الطبيعي أن ينال صفة إقليمية محدَّدة، وتسمية مُميِّزة، تميزه عن غيره من الخطوط، ألا وهي تسمية: **"الخط الفاسي"**، حيث نُسب إلى "مدينة فاس" مهد جامعة القرويين، كما نُسب أيضا إلى "دولة المغرب الأقصى" وهي: "دولة فاس" كما كان يعرّفها العثمانيون منذ العصر السعدي.

بيبليوغرافيا

المصادر

- ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم الخزرجي)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- ابن أبي زرع (علي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي):

* التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995م.

* تحفة القادم، علّق عليه: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 1986م.

- ابن الأحمر (أبو الوليد):

* روضة النسرين في دولة بني مرين، مطبوعات القصر الملكي، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م.

* مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق: محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي، المطبعة المهدية، تطوان، 1964م.

- ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني)، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 2003م.

- ابن الزيات (يوسف بن يحيى التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم: 22، الطبعة الأولى: 1984م.

- ابن الغزي (شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن)، ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1990م.
- ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي):
* المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق: محمد رزوق، مكتبة المعارف، الرباط، 1986م.
* جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.
* ذيل وفيات الأعيان، المسمى: "درة الحجال في غرة أسماء الرجال"، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الأولى، 1970م.
- ابن القاضي عياض (محمد)، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الثانية: 1982م.
- ابن القطان (أبو محمد علي بن حسن الكتامي)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1990م.
- ابن النديم (محمد بن إسحاق البغدادي)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: 1997م.
- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، 1955م.
- ابن خاقان (الفتح بن أحمد بن غرطوج)، قلائد العقيان، طبعة: مصر، 1866م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن):
* المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: 1988م.
* تاريخ ابن خلدون المسمى: "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: 1988م.
* رحلة ابن خلدون، أو مايسمى بـ: "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا"، عارضها بأصولها وعلق على حواشيها: محمد بن تاويت الطَّنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى: 2004م
- ابن درستويه (أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد)، كتاب الكتاب، نشره: لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1921م.

- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي)، تعليق من أمالي ابن دريد، تحقيق: السيد مصطفى السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، قسم التراث العربي، السلسلة التراثية رقم: 10، الطبعة الأولى: 1984م.
- ابن شيت (عبد الرحيم بن علي القرشي)، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، علق على حواشيه: الخوري قسطنطين الباشا المخلصي، المطبعة الأدبية، بيروت، 1913م.
- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك)، المن بالإمامة. تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة: 1987م.
- ابن طباطبا (أبو الحسن محمد بن أحمد)، رسالة في استخراج المُعمّى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الهدلق، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، المجلد: 32، الجزء: 1، يناير - يونيو، 1988م.
- ابن عبد الملك المراكشي (أبو عبد الله محمد الأنصاري)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى: 2012م.
- ابن مرزوق (محمد)، المسند الصحيح الحسن، في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- ابن منظور (أبو الفضل أحمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة: 1993م.
- ابن نباتة (جمال الدين المصري)، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1964م.
- الإفراني (محمد الصغير)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1998م.
- البشاري (أبو عبد الله محمد المقدسي)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل، الطبعة الثانية، ليدن، 1906م.
- البلوي (خالد بن عيسى)، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د. ت.
- البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي):
* أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.
* المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

- التمكروتي (علي بن محمد)، النفحة المسكية في السفارة التركية، تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م.
- التنسي (محمد بن عبد الله)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان. مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق وتعليق: محمود أغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011م.
- التوحيدي (أبو حيان)، رسالة في علم الكتابة، نشرت ضمن كتاب: "ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي"، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، 1951م.
- الجزنائي (علي)، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية: 1991م.
- الجَهْشَيَاري (أبو عبد الله محمد بن عَبْدوس)، كتاب الوزراء والكُتّاب، قدم له: حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت: 1988م.
- الحميدي (محمد)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966م.
- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد)، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، طبعة: 2006م.
- الرازي (أحمد بن سهل)، أخبار فخ وخبر يحيي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، دراسة وتحقيق: د. ماهر جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1995م.
ـ الرفاعي (أبو العباس أحمد بن محمد القسطالي)، نظم لآلئ السمط في حسن تقويم بديع الخط، المكتبة الوطنية، الرباط، رقم: 1649.
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة: 2000م.
- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى)، أدب الكتاب، صححه وعلق على حواشيه: محمد بهجة الأثري، ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الآلوسي، المطبعة السلفية، مصر - المكتبة العربية، بغداد: 1922م.
- الطيبي (محمد بن حسن)، جامع محاسن كتابة الكتاب ونزهة أولي البصائر والألباب، نشر و تقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962م.
- العاملي (ابن سماك)، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، تحقيق: سليمان القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.

- العروضي (أبو الحسن أحمد بن محمد)، الجامع في العروض والقوافي، تحقيق: زهير غازي زاهد - هلال ناجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى: 1996م.
- العمري (أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي)، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1988م.
- الفشتالي (أبو فارس عبد العزيز)، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبد الكريم كريم، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. ت.
- الفيروز آبادي (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، تحت إشراف محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة: 2005م.
- القلقشندي (أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل، نشر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 1987م.
- القللوسي (أبو بكر محمد بن القضاعي)، تحف الخواص في طرف الخواص، في صنعة الأمدة والأصباغ والأدهان، تحقيق: حسام أحمد مختار العبادي، نشر: مكتبة الإسكندرية، طبعة: 2007م.
- الكندي (أبو يوسف يعقوب بن إسحاق)، استخراج المُعمّى، تحقيق: محمد مراياتي - يحيى مير علم- محمد حسان الطيان، نُشر في كتاب: علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ج/1، 1987م.
- المحبي (محمد)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المطبعة الوهبية، مصر، د.ت.
- المراكشي (ابن عذاري):
* البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ.ليفي بروفنصال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة: 1983م.
* البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1985م.
- المراكشي (عبد الواحد بن علي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دراسة وتحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، نشر: المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى: 2006م.

- المقري (أحمد بن محمد):
* أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق: مصطفى السقا - إبراهيم الأبياري - عبد الحفيظ شلبي، منشورات المعهد الخليفي للأبحاث المغربية (بيت المغرب)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، طبعة: 1939م.
* روضة الآس العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية: 1983م.
* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى: 1997م.
- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق ولدي المؤلف: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.
- بيدابيش (حبيب افندي):
* خط وخطاطان، مطبعة أبو الضيا، قسطنطينيه، 1306هـ/1888م.
* الخط والخطاطون، ترجمة وتقديم: سامية محمد جلال، مراجعة: أحمد الصفصافي القطوري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى: 2010م.
- دي صالدينا (أنطونيو)، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق: إبراهيم بوطالب، عثمان المنصوري، ولطفي بوشنتوف، إعداد النص الأصلي: أنطونيو دياش فارينا، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 2011م.
- رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 1988م.
- رسائل موحدية. مجموعة جديدة، تحقيق: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية - القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم: 2، الطبعة الأولى: 1995م، ج/1.
- رسائل موحدية. مجموعة جديدة، تحقيق: أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية - القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم: 2، الطبعة الأولى: 2001م، ج/2.
- رسائل سعدية، تحقيق: عبد الله كنون، معهد مولاي الحسن، دار الطباعة المغربية، تطوان، طبعة: 1954م.
- رسائل مخزنية على عهد السلطان مولاي الحسن و ابنه السلطان مولاي عبد العزيز، تحقيق: عبد الهادي التازي، القسم الأول، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1970م.

- سكيرج (أحمد بن العياشي)، إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد: 53، الجزء الثاني، نونبر 2009م.
- عياض (القاضي أبو الفضل السبتي)، التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة، تحقيق: محمد الوثيق - عبد النعيم حميتي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى:2011م.
- مجموع رسائل موحدية من إنشاء كُتّاب الدولة المؤمنية، اعتنى بإصدارها: إفاريست ليفي بروفنصال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الجزء العاشر، الرباط، 1941م
- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار - عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الطبعة الأولى: 1979م.
- مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تحقيق: عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، الطبعة الأولى: 1994م.
- مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة: د.محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى: 2010م.
- مرتضى الزّبيدي (أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي)، معجم الأدباء؛ المسمّى: "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1993.
- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد)، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية: 1997م.

المراجع

- ابن منصور (عبد الوهاب)، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.
- أفا (عمر) والمغراوي (محمد)، الخط المغربي. تاريخ وواقع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م.
- التازي (عبد الهادي):
* التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مطابع فضالة، المحمدية، (طبعات أجزاء الكتاب بين سنتي: 1986م - 1989م).
* الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1983م.

* جامع القرويين. المسجد والجامعة بمدينة فاس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى: 1972م.

- الخربوشي (حميد)، التجليل في الخط المغربي. المجوهر الجليل أنموذجا، مركز الكويت للفنون الإسلامية، الطبعة الأولى: 2017م.

- الدولة العثمانية. تاريخ وحضارة، مجموعة من الأساتذة الجامعيين تحت إشراف: أكمل الدين إحسان أوغلي، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، منظمة المؤتمر الإسلامي. مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول (إرسيكا)، الطبعة الثانية: 2010م.

- الطباع (إياد خالد)، منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب: شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى: 2003م.

- العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، كتاب أنجزه مجموعة من المؤلفين، تنسيق: عبد الرحمن المودن - عبد الرحيم بنحادة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة الأمنية، الطبعة الأولى: 2005م.

- العروي (عبد الله):

* مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، 1999م.

* الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية (1830 - 1912م)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت، الطبعة الأولى: 2016م.

- القطوري (أحمد الصفصافي)، الوثائق العثمانية (الدبلوماتيك). دراسة حول الشكل والمضمون، القاهرة، الطبعة الثانية: 2011م.

- المخطوط العربي وعلم المخطوطات، تنسيق: أحمد شوقي بنبين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى: 1994م.

- المصرف (ناجي زين الدين)، مصور الخط العربي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ببغداد، مطبعة الحكومة، بغداد، 1968م.

- المصري (حسين مجيب)، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: 2004م.

- المنوني (محمد):

* العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ، رقم: 6، الرباط، الطبعة الثانية: 1977م.

* حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1989م.

* تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات جامعة محمد الخامس، رقم: 2، كلية الآداب - الرباط،1991م.

* ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية: 1996م.

* قبس من عطاء المخطوط المغربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى: 1999م.

* تقنيات إعداد المخطوط المغربي، أبحاث مختارة، مطبعة دار المناهل، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، فبراير: 2000م.

- اوزتونا (يلماز)، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، 1988م.

- بنعلة (مصطفى)، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، من خلال حوالات تارودانت وفاس، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى: 2007م

- بهنسي (عفيف)، معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة: 1995م.

- بوعصب (امبارك)، المراسلات والوثائق السلطانية خلال العصر العلوي. مساهمة في دراسة الخط المجوهر وسماته الفنية، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الأولى: 2014م.

- جادور (محمد)، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، سلسلة أبحاث، منشورات عكاظ، 2011م.

- حنش (إدهام محمد):

* الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المناهج، عمان، الأردن، الطبعة الأولى: 1998م.

* الخط العربي وحدود المصطلح الفني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. قطاع الشؤون الثقافية إدارة الثقافة الإسلامية، دولة الكويت، الطبعة الأولى: 2008م.

- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني):

* العلاقة الجدلية بين المغرب وشبه الجزيرة الإيبيرية خلال العصر الوسيط، الإجازة في الآداب، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 2000 م.

* مدينة فاس وعلاقتها بقيام وسقوط الدول المغربية خلال العصر الوسيط، دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الآداب، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فـاس، 2002م.
* المصاحف والكتب المخطوطة في المغرب خلال العصرين المريني والسعدي. مساهمة في دراسة أصناف الخط المغربي وأقلامه، أطروحة لنيل الدكتوراه، سُجّلت سنة: 2002م، وقُدّمت للمناقشة في الموسم (2010 - 2011م) بكلية الآداب، سايس/جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
* الخط المغربي بين التجريد والتجسيد. دراسة تاريخية - فنية من خلال مخطوطات مرينية وسعدية، مطبوعات أمينة الأنصاري - فاس - الطبعة الأولى: 2013م.
* "الطغراء والأختام السلطانية وعلاقتها بإشكالية السيادة بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية"، مطبوعات أمينة الأنصاري، فاس، الطبعة الأولى: 2013م.
* "الطغراء المغربية. العلامة السعدية أنموذجا - مدخل لدراسة تاريخ العلاقات المغربية العثمانية وخصوصية التراث المغربي"، مطبوعات أمينة الأنصاري، فاس، الطبعة الأولى: 2014م.
* "العلامات السلطانية بين المشرق والمغرب من خلال كتاب مستودع العلامة لابن الأحمر - تأصيل تاريخي للعلاقات الدبلوماسية بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية"، منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية، فاس، الطبعة الأولى: 2018م.
* "العلامة المغربية والطغراء المشرقية من خلال الوثائق السلطانية"، منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية، فاس، الطبعة الأولى: 2018م.
* رموز القلم الفاسي وأسرار الخط المجوهر بين إشكالية التسمية ودلالة الاستعمال. مساهمة في تحقيق المخطوطات والوثائق المغربية، منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية، فاس، الطبعة الأولى: 2018م.
* الخط العربي في بلاد المغرب. شهادات مصدرية وشواهد مادية، إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة: 2021م.
- دائرة المعارف الإسلامية، انتشارات جهان ، تهران، الطبعة الأولى: 1933م.
- ذنون (يوسف):
* الكتابة وفن الخط العربي. النشأة والتطور، سلسلة الفن الإسلامي (1)، دار النوادر، سورية - لبنان - الكويت، الطبعة الأولى: 2012م.
* زينة المعنى (الكتابة، الخط، الزخرفة)، كتاب الدوحة 50، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، 2015م

- رضا (أحمد)، رسالة الخط، مطبعة العرفان، صيدا، 1914م.
- صديق (محمد يوسف)، الطغرا واستخدامها في الكتابات العربية في البنغال، مجلة صوت الأمة، مجلد: 1، عدد: 3، 1988م.
- عبادة (عبد الفتاح)، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي، المطبعة الهندية بمصر، 1915م.
- عوني (موسى الحاج)، فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، منشورات عكاظ 2010م.
- فضائلي (حبيب الله)، أطلس الخط والخطوط، ترجمة: محمد التونجي، مكتبة دار طلاس، دمشق، الطبعة الثانية: 2002م.
- محمد مراياتي - يحيى مير علم - محمد حسان الطيان، علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ج/1، 1987م.
- مصطفى (حليم اوزيازيجي)، أمشاق وخطوط في الديواني والديواني والرقعة، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول "IRCICA"، 2003م.
- ملين (محمد نبيل)، السلطان الشريف. الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، ترجمة: عبد الحق الزموري - عادل بن عبد الله، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، السويسي، الرباط، 2013م.

المقالات

- ابن شريفة (محمد)، نظرة حول الخط الأندلسي، نشر في كتاب: المخطوط العربي، وعلم المخطوطات، تنسيق: أحمد شوقي بنبين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة فضالة، المحمدية، الطبعة الأولى: 1994م
- الفاسي (محمد)، حساب القلم الفاسي، مجلة مجمع اللغة العربية، عدد: 1988م، ج/62.
- الكتاني (محمد إبراهيم)، الكتاب المغربي وقيمته، مجلة الحكمة، عدد: 12، 1997م. صص: 325 - 399.
- المنوني (محمد)، مركز المصحف الشريف بالمغرب، مجلة دعوة الحق، الرباط ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد: 3، السنة الحادية عشرة، يناير، 1968م.

- بنحادة (عبد الرحيم)، الدخول التركي إلى مدينة فاس بين الوثائق الإسبانية، والوثائق العثمانية، 1554 - 1576. قراءة في الاختلاف والتكامل. دراسة وردت في كتاب: العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية والمتوسطية، تنسيق: عبد الرحمن المودن - عبد الرحيم بنحادة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة الأمنية، الطبعة الأولى: 2005م.

- خبطة (محمد عبد الحفيظ الحسني):

* "العَلاَمة الطغرائية بين المغرب السعدي وتركيا العثمانية. دراسة تاريخية - فنية"، العدد: 35 (2015م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس، الرباط، صص: 179 - 212.

* الخط المجوهر والخط الديواني بين الاستدقاق والتجليل. دراسة تاريخية - فنية، العدد: 34 (2014م)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس، الرباط، صص: 233 - 273.

- ذنون (يوسف)، قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، مجلة المورد، من إصدار دار الشؤون الثقافية، بغداد. عدد: 1986م.

ـ سكيرج (عبد الكريم)، الخط العربي المغربي، مجلة الثقافة المغربية، العدد الثاني، شتنبر 1941م، صص: 67 ـ 72، نقلا عن المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ملحق، ص: 321 ـ 322.

- عبد اللطيف (محمد الصادق)، الخط الأندلسي... تاريخ... وفكر... ومسيرة، مجلة التاريخ العربي، عدد: 15، صيف 2000م.

- مرزوق (محمد عبد العزيز)، المصحف الشريف - دراسة تاريخية فنية، مجلة المجمع العلمي العراقي، عدد: 20، سنة: 1970م.

- هوداس (أوكتاف)، محاولة في الخط المغربي، ترجمة: عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية، العدد: 3، 1966م.

المراجع والمقالات باللغات الأجنبية

- Joseph Hammer. Ancient Alphabets and Hiroglyphic characters explained, in Arabic language by Abu Beker Bin Wahshih and in English, London 1806.

- Bel, A. L'épigraphie dans la décoration des médersas mérinides de Fès, Actes du Congrès d'histoire de l'art, Paris, 1921, p. 294-309

- Georges Colin. Note sur le système cryptographique du Sultan Ahmad al- Mansûr, hesperis, Tome: VII. 1927 .2ème Semestre. pp. 221- 228.

- Harakat Brahim. Le makhzen sa'adien. In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°15-16, 1973. Mélanges Le Tourneau. II. pp. 43-60

- Henry de Castries. "Les signes de validation des chérifs saadiens", Hespéris, Rabat, 1921,TOM. I, fasc. 3. p.p. 231 - 252

- Henry de Castries. Les sources inédites de l'histoire du Maroc. Dynastie Saadienne (1530 - 1660). Archives et bibliothèques des Pays-Bas, E. Leroux (Paris), Paul Geuthner, 1923.

- Hopkins (J. F. P.). Letters from Barbary, 1576-1774: Arabic documents in the public record office, Oxford, 1982.

- Marco Ortiz Palanques. La "Reconquista" Española y elDiscurso "Anti Español y Pro Indígena" Latinoamericano: ¿Coincidencia o Continuidad Histórica? Mérida - Venezuela - ISSN 0798-3069 - AÑO 11 - N° 32 - SEPTIEMBRE - DICIEMBRE - 2001, p.p. 390 - 420.

- Mohamed Kably. "À propos du Makhzen des origines. cheminement fondateur et contour cérémonial", Maghreb Review, vol. 30, n° 1, 2005, pp. 2-23

- N. van den Boogert. 'Some notes on Maghribi script', in Manuscripts of the Middle East, vol. 4, Leiden, 1989, pp. 30-43

- Peritié, A. Les médersas de Fès, in Archives Marocaines, 1918, p. 257-372

- Terrasse Charles. Médersas du Maroc .A. Morancé (Paris): 1928. p.p : 21 - 23. et p.p : 25 - 33.

محتوى الكتاب

المشاركون :

- أ. بسام محمد ديوب
- أ. خالد الجلاف
- د. خوسيه ميغيل بويرتا
- د. صلاح الدين شيرزاد
"ضيف شرف الملتقى، ومشارك في الندوة الدولية"
- د. محمد حمزة إسماعيل الحداد
- د. محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني

أ.بسام محمد ديوب
سوريا

حاصل على الإجازة في الآثار، كلية الآداب سنة: 2001م، ودبلوم في الآثار الكلاسيكية سنة: 2003م من جامعة دمشق.
في سنة: 2004م أكمل دراساته العليا بتخصص الآثار الإسلامية في جامعة السوربون (باريس الأولى)، حيث نال شهادة الماجستير سنة: 2006م بموضوع: "التحصينات المدنية لمدينة دمشق. السور والأبواب"، وشهادة الدكتوراه سنة: 2016م حول "توسع مدينة دمشق خارج الأسوار من العصر السلجوقي حتى العصر المملوكي. حي الميدان نموذجاً".
تنقل بين أعمال عديدة في مجال التدريس والبحث العلمي الأكاديمي، وآخرها باحث علمي لمدة ثلاث سنوات في متحف اللوفر، باريس (2016 - 2019م) للعمل على مشروع التراث العمراني الإسلامي

فـي سوريـا والعـراق فـي الأرشيفـات العــامـة الفرنسيـة (اختصاراً PAPSI).

له العديد من المقالات العلمية المنشورة في مجلات علمية مختصة ومحكّمة باللغتين العربية والفرنسية، وكذلك أوراق بحثية في عدد من المؤتمرات العلمية، والتي تتركز حول مدينـة دمشق فـي مجـالات التـاريخ والآثــار والمخطوطـات والنقوش الكتابية.

واضع كتاب بعنوان: (محمل الحج وقافلة الحج الشامي) الصادر سنة: 2012م.

أ. خالد الجلاف
الإمارات

فنان وباحث إماراتي ولد عام 1962، وأنهى ليسانس تخصص الحقوق من جامعة الإمارات في العام 1984، إلا أن الخطّ العربي راح يأخذ حيزاً مهماً من حياته إلى أن أصبحَ في طليعة اهتماماته، فشق الطريق نحو إبداع اللوحة الخطّية، ناثراً أعماله زهراً فوق الدروب.

يترأس الجلاف حالياً جمعيّة الامارات لفن الخطّ العربي والزخرفة الإسلامية، ومن اللافت أن نقرأ في سيرته أنه عضو مؤسس في نقابة الخطاطين المصريين، كما أنه عضو بالجمعيات المصرية والعراقية والمغربية لفن الخط العربي، وهذا تأكيد على امتدادات الفنان العربية.

شارك في العديد من المعارض الشخصية والجماعية المحلية والدولية والعالمية، وهو إلى جانب كونه رئيساً للجنة فرز أعمال الدورة الحالية من ملتقى الشارقة

للخط، فقد شارك بصفته محكّماً فـي العديد من المسابقات المحلية أو الإقليمية في مجال فن الخط العربي، فيما حاز على جوائز عدة في مجالي الخطّ العربي والرسم.

د. خوسيه ميغيل بويرتا
إسبانيا

من مواليد غرناطة (إسبانيا) العام 1959، وهو دكتور في اللغة العربية، وأستاذ في جامعة غرناطة مختص بالفن العربي، وعضو في الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة بغرناطة. ألّف الكتب التالية: "البنية الطوباوية لقصور الحمراء"، و "تأريخ الفكر الجمالي العربي"، و "مغامرة القلم. تاريخ الخط العربي وفنانيه وأساليبه"، و"قراءة الحمراء"، و "شعرية الماء في الإسلام"، و "معنى قرطبة الفني"، و "مسجد قرطبة الأموي: قبلة الإسلام في الأندلس"، و"فقير في بلاط الحمراء"، والعديد من المقالات حول الفن العربي الكلاسيكي والحديث.

شارك أيضاً في تنسيق وتأليف مشروع "موسوعة الثقافة الأندلسية" (7 أجزاء)، كما شارك في تنظيم بعض المعارض، مثل معرض "الحرية والإبداع، الخط

العربي المعاصر" برعاية مؤسسة البيت العربي في مدريد وقرطبة (2010-2011م)، ومعرض "ثقافات الأندلس وفنونها. سلطة الحمراء" المنعقد تحت رعاية حكومة أندلسيا.

ترجم إلى الإسبانية أعمالاً نثرية وشعرية وبحوثاً لكتّاب عرب كثيرين. وهو كاتب في مجلة "الشارقة الثقافية" منذ إصدارها في عام 2016.

د. صلاح الدين شيرزاد
العراق - تركيا

ضيف شرف الملتقى، ومشارك في الندوة الدولية.

تنفتح تجربة صلاح الدين شيرزاد (1948) على فضاءات متنوّعة في عوالم هذا الفن الأصيل - الخطّ العربي، يعود اهتمام شيرزاد بفنون الخط العربي وتاريخه في الأصل إلى دراسته الأكاديمية، حيث أنهى في العام 1971 بكالوريوس دراسات إسلامية وآداب من كلية الآداب - جامعة بغداد، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل واصل تعليمه لينال درجة الدكتوراه في العام 1996 في تاريخ الفن الإسلامي من جامعة إسطنبول في تركيا.

صلاح الدين شيرزاد عضو مؤسس لجمعية الخطّاطين العراقيين، كما أنه عضو في جمعية الخطّ العربي في الإمارات، وجمعية الحفاظ على الكتابة العربية بنيويورك، وجمعية الفنون التشكيلية الإماراتية، وهو أيضاً عضو مستشار في رابطة الخطاطين العرب.

منح في العام 2004 وسام المتميزين من مجلس الوزراء العراقي، ونال تكريم "الروّاد" من المركز الثقافي العراقي للخط والزخرفة في العام 2013. كما حصل على العديد من الجوائز والتكريمات.

د. محمد حمزة الحداد
مصر

أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية (تخصص عام)، والعمارة الإسلامية (تخصص دقيق).
عميد كلية الآثار، جامعة القاهرة.
مساعد رئيس جامعة القاهرة لشؤون المدن الجامعية السابق.
رئيس مجلس إدارة مركز صيانة الآثار والمخطوطات ومقتنيات المتاحف.
عضو مجلس إدارة المجلس الأعلى للآثار في وزارة الآثار المصرية السابق.
رئيس مجلس أمناء مؤسسة مصر المستقبل للتراث والتنمية والابتكار.
حاصل على عدد من الجوائز والتكريمات.
له عشرات الكتب والبحوث والدراسات المؤلفة

والمترجمة في مجالات التاريخ والعمارة الإسلامية وفنون الخط والزخرفة التي يعد واحداً من أبرز المتخصصين فيها.

د. محمد عبد الحفيظ خبطة الحسني
المغرب

رئيس "المركز المغربي للدراسات التاريخية في فنون المصاحف وتقاليد المراسلات السلطانية"، فاس.

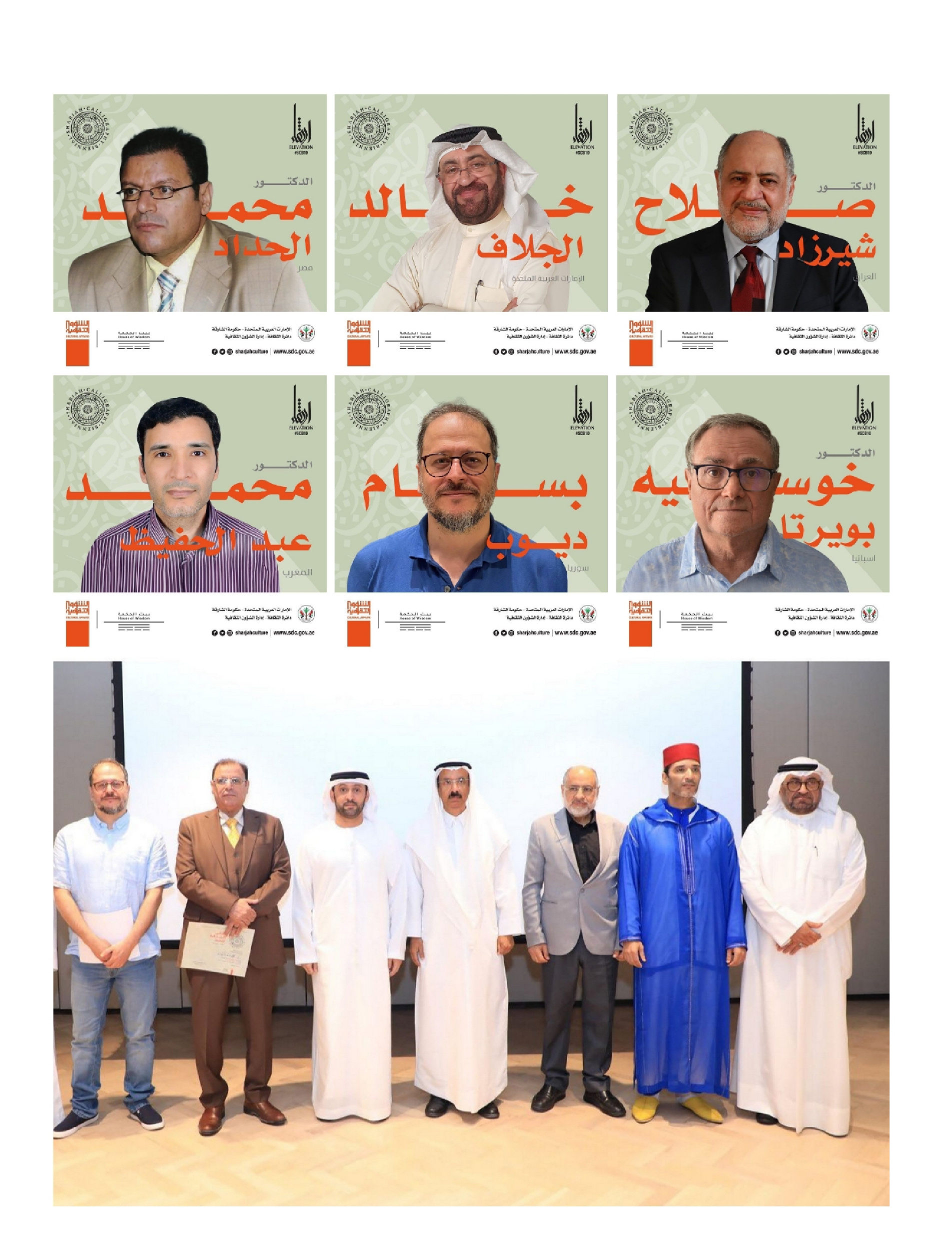
أستاذ زائر بجامعة القرويين - فاس، مادة أساليب كتابة المصحف الشريف، ومادة تاريخ الخط، إضافة إلى الإشراف على بحوث التخرج - مسلك الخطّ العربي والزخرفة.

أستاذ سابق في مادة التاريخ والجغرافيا بالسلك الثانوي التأهيلي (سلك الباكالوريا).

الدكتوراه في الآداب، شعبة التاريخ، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

له ما يزيد على عشرين كتاباً، فضلاً عن عشرات البحوث والمقالات والدراسات المنشورة في الدوريات العربية، والمشاركات في الملتقيات والندوات والمؤتمرات العلمية.

يعد واحداً من أبرز المتخصصين في قضايا التراث، وتاريخ المصاحف والكتب المخطوطة، وتاريخ الوثائق والمراسلات الرسمية، وتاريخ الخط العربي.



الدكتور
الحداد
مصر
الجلاف
الإمارات العربية المتحدة
الدكتور
شيرزاد
ELEVATION
#SCB10
الدكتور
محمد
عبد الحفيظ
المغرب
ديوب
الدكتور
بويرتا
اسبانيا
sharjahculture | www.sdc.gov.ae

شهادات إبداعية لمبدعين أجانب
ندوة "ملتقى الخط".. متابعات بحثية للخطوط
العربية بـ"الشام ومصر والمغرب"



الإمارات العربية المتحدة - حكومة الشارقة
دائرة الثقافة - إدارة الشؤون الثقافية

sharjahculture
www.sdc.gov.ae

محتوى الندوة

الإمارات العربية المتحدة
حكومة الشارقة
دائـرة الـثـقـافـة
إدارة الـشـؤون الـثـقـافـيـة

United Arab Emirates
Government of Sharjah
Department of Culture
Directorate of Cultural Affairs





ELEVATION

#SCB10


9 789948 811664



www.sdc.gov.ae    sharjahculture